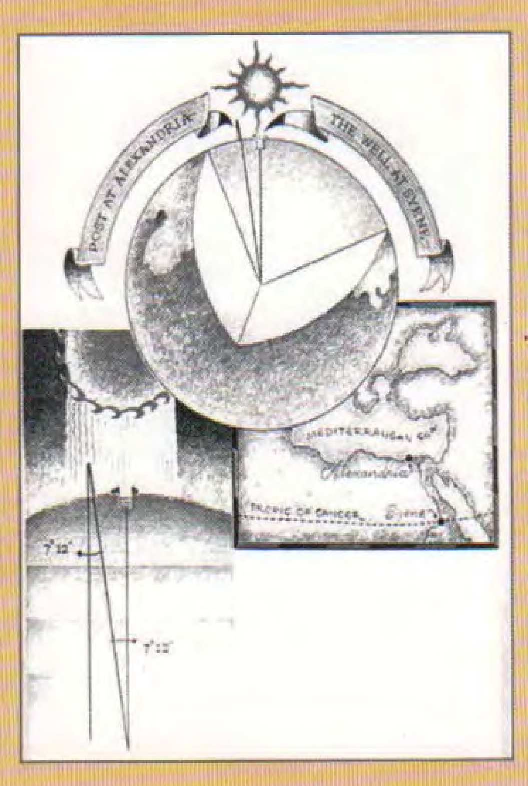
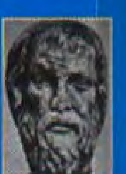
الدكتور عبد السلام بن ميس

مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة

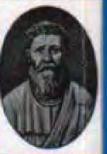
(دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)



الطبعة الثانية 2010



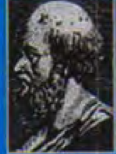
اريستيوس



اوغوستنوس



ابوليوس



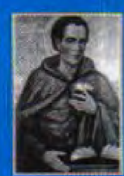
اراطوستنس



ماسينيسا



الالاهة افريقيا



اوغسطينوس


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الدكتور عبد السلام بن ميس

مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة

(دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)

الطبعة الثانية 2010

الطبعة الثانية: 2010

رقم الإيداع القانوني: 2005/2107



بمناسبة الطبعة الثانية

أشكر كل الزملاء والأصدقاء الذين شجعوني على تحضير الطبعة الثانية (2010) لهذا الكتاب. لقد نفذت فعلا الطبعة الأولى ونفذ معها صبر الذين لا يزالون يبحثون عن نسخة من الكتاب. وهذا دليل على الاهتمام المتزايد الذي يوليه الأمازيغيون لثقافتهم منذ انتعاش المسألة الأمازيغية بالمغرب المعاصر.

لكنني كنت تمنيت لو أن هذا الكتـــاب شكَّل نقطة انطلاق لمشروع حضاري عام يهدف إلى استعادة ما ضاع من التراث الثقافي العلمي الأمازيغي الذي يمثل جزءا هاما من التراث المغاربي، وحتى من التراث العالمي ككل. كان من المفروض تشكيل فريق بحث متخصص في التأريخ للفكر الأمازيغي، وكان من المفروض أيضا خلق شعب للدراسات الأماريغية بالجامعات المغاربية. ولكن هذا لم يحصل. وفي ذلك دليل على أن وعي المسؤولين ببلدان شمال إفريقيا لا يزال لم يرق إلى مستوى النظرة الشمولية للتاريخ وللثقافة. ولا يزالون يعانون من سيطرة التوجه العروباني الضيق الذي لا يتردد في إقصاء المكونات الهوياتية الأخرى للمغاربة.

أتمنى أن تمثل الطبعة الثانية لهذا الكتاب فرصة جديدة للتفكير في بناء مشروع ثقافي متكامل لإعادة الاعتبار لتاريخنا الثقافي القديم، باعتباره ملكا لكل المغاربة. وإدماجه في التاريخ العام للمغارب.

في الختام، تجدر الإشارة إلى أن التراث الثقافي الأمازيغي ملك لجميع المغاربيين، سواء أكانوا عربفونيين أو أمازيغفونيين. وكلما تنوع كلما اغتنى. ومن واجب كل مغاربي الدفاع عنه كجزء من هويته. كما تجدر الإشارة أيضا إلى وجوب الكف عن رد التراث الأمازيغي إلى الجانب اللغوي والأدبي فقط؛ لأن الأمازيغيين اهتموا بكل أشكال الأنشطة الفكرية البشرية كالعلوم التجريبية والرياضيات والهندسة والمنطق وعلم الفلك بالإضافة إلى الريطوريقا والنحو والشعر والمسرح. ومن هنا جاءت ضرورة الاهتمام بتاريخ الأفكار لإغناء التأريخ للثقافة الأمازيغية بشكل عام.

ذ. عبد السلام بن ميّس

الرباط يوم 28 يونيو 2010

؈

◻ مقدمة عامة

هذا الكتاب هو عمل في تاريخ الأفكار. ويهتم على الخصوص بمباحث المنطق الصوري والتطبيقي والرياضيات. لكن هذا العمل محصور في الزمان وفي المكان. الزمان هو ما يسمى بالفترة القديمة حسب المفاهيم الكرونولوجية الغربية، وتبدأ من القرن 12 قبل الميلاد لتنتهي مع نهاية القرن السادس بعد الميلاد. أما المكان فهو ما سوف نسميه بالمغارب، أو شمال إفريقيا (باستثناء مصر).

لماذا التفكير في موضوع من هذا النوع؟ السبب بسيط و يتمثل في الحيف الذي لحق تاريخ الأفكار بإفريقيا بشكل عام وبشمال إفريقيا بشكل خاص، سواء تعلق الأمر بالأفكار العلمية أو غير العلمية. ومن بين مظاهر هذا الحيف كون أغلب المؤرخين للعلم، خاصة للعلوم الصورية والتجريبية، ينطلقون من أفكار مسبقة، غالبا ما يصعب الدفاع عنها. ومن بين هذه الأفكار المسبقة سوف نكتفي بذكر الأمثلة التالية.

1 . الفكر المغاربي القديم فكر عملي أكثر من كونه نظريا. فهو يهتم، على سبيل المثال، بطرق زراعة الحقول وكيفية تخمير العنب وتربية الحيوانات وكيفية توزيع مياه السقي العمومي، وما شابه ذلك. وسوف نرى أن هذا الإعتقاد غير صحيح لأن لدينا أعمالا مغاربية قديمة غارقة في التجريد في ميادين مثل الرياضيات والمنطق الصوري.

2 . الفكر المغاربي القديم فكر شفوي. وهذا أيضا غير صحيح لأن المغاربيين كتبوا في لغات غير لغتهم الأم. هذا دليل على كونهم عبّروا عن أفكارهم كتابة. فمنهم من كتب باليونانية ومنهم من كتب باللاتينية ومنهم من كتب بالعربية ومنهم من كتب بالفرنسية وغيرها. ومن هنا جاء خطأ آخر يتمثل في تجريد المغاربيين من أعمالهم وإلحاقهم بالشعوب التي كتبوا في لغاتها. وهكذا، فالقديس أو غسطينوس (Augustinus)، مثلا، يعتبر كاتبا لاتينيا، وإيراطو ستينيس(Eratosthenes) يعتبركاتبا يونانيا. وابن رشد وابن خلدون والجابري يعتبرون كتابا عربا. وشبيه هذه الأمثلة كثير.

3 . يعتقد أغلب مؤرخي الأفكار العرب بأن شمال إفريقيا كان منطقة جرداء قبل غزو العرب والمسلمين لها. فلم يكن، في نظرهم، عند الأمازيغ قبل مجيئ الإسلام، أي شكل من أشكال الإنتاج الأدبي أوالعلمي أوالفني. وهذا طبعا خطأ .أو على الأصح تاكتيك إيديولوجي يهدف إلى محو هوية السكان المحليين والتنقيص من قدرتهم العقلية على الإنتاج الفكري مع الإعلاء من شأن العرب الوافدين. وسوف نضحد هذا الرأي بتقديم أمثلة حية في الأدب وفي الفلسفة وفي المنطق وفي الرياضيات.

ما قلناه عن الفترة القديمة يمكن أن يقال عن الفترة القروسطوية التي تمتد في المغرب الكبير من القرن السابع الميلادي حتى نهاية القرن 19م. وقد يبدو هذا غريبا لمن يشتغل بالتاريخ، لكن الأفكار في بلادنا، والحق يقال، استمرت قروسطورية أكثر من اللازم. ولكن الذي نريد التنبيه

إليه هو أن كثيرا من الأفكار العلمية التي كانت في الأصل من إنتاج مغاربي تم اختلاسها ونسبتها إلى شعوب غير مغاربية. وللتدليل على ذلك، نقدم في ما يلي أمثلة لا يخفى أصلها إلا على من ضَحَلَ زاده العلمي.

1. في العصور الوسطى أخذ الأوروبيون عن المغاربيين ما يسَمّى اليوم بالأرقام العربية (1، 2، 3،...)، التي هي في الواقع ليست عربية، بل مغاربية، ظهرت لأول مرة بشمال إفريقيا، ولم يسبق للمشارقة أن تداولوها حتى الآن.
2. أخذ أيضا الأوروبيون عن المغاربيين فكرة "العلمانية" التي دشنها وطورها ابن رشد قبل انتقالها إلى دوائر الرشديين المسيحيين القروسطويين ثم إلى عصر الأنوار.
3. أخذ أيضا الغربيون عن المغاربيين مجموعة من اللأفكار التي تعتبر اليوم أساس الفكر الحديث، ومن أهمها : فكرة وحدة العقل البشري التي طورها ابن رشد أيضا وتبناها ديكارت وفكرة الحتمانية الكونية التي تبناها سبينوزا وفكرة الطبيعانية وغيرها. والغريب أن كثيرا من المغاربة اليوم يعتبرون هذه الأفكار دخيلة على أنظمتهم الثقافية. وفي هذا جهل بحقائق التاريخ واحتقار للذات.

من كل هذا نستنتج أن القول بكون المغاربة، خاصة القدامى، لم يعرفوا إلا الجبال والخيام ورعي الماشية، وأن ثقافتهم كانت منحصرة في قليل من الأفكار البدائية المرتبطة بالجانب العملي للحياة، قول فيه نوع من الحيف. والهدف من هذا الكتاب هو رفع هذا الحيف. وسوف

نبين أن المغاربة القدامى عرفوا كل العلوم التي عرفتها شعوب العالم القديم وبرعوا في أكثرها تجريدا مثل الرياضيات والمنطق والفلسفة. وبنوا المدارس حتى في القرى الصغيرة. وعرفوا أنظمة التعليم المؤسس على مراحل (ابتدائي، ثانوي،عالي). ومارسوا المحاماة والجدل الديني والريطوريقا البيانية والقضائية. وأدارو أكاديميات بأثينا وبروما وبشمال إفريقيا. وساهموا في خلق وتطوير توجُهَات فكرية ذات قيمة علمية لا تنكر.

بالإضافة إلى هذه المقدمة العامة، يحتوي هذا الكتاب على سبعة فصول مستقلة. يتناول الفصل الأول بعض معالم الفكر المغاربي القديم. وهو مجرد ومضات تاريخية وليس بحثا أكاديميا في التاريخ. ويتناول الفصل الثاني مسألة التأريخ للمنطق المغاربي بشكل عام والقديم بشكل خاص. أما الفصل الثالث فيهتم بالمنطق الصوري عند المغاربيين القدامى، نموذج أبوليوس المداوري . ويتناول الفصل الرابع المنطق الصوري أيضا ولكن على مستوى ترجمة النصوص اليونانية الأصلية. واتخذنا في هذا الفصل نموذجا الفيلسوف والمفكر المغاربي القديم فيكتورينوس الأفريقي. أما باقي الفصول من هذا الكتاب، ابتداء من الفصل الخامس، فهي مخصصة لتطبيقات المنطق ومناهجه. وهكذا خصصنا الفصل الخامس لمنطق الخطابة القضائية. واتخذنا في هذا نموذجا المنطقي الريطوريقي المغاربي فرونطو. وخصصنا الفصل السادس لمنطق التأويل والمناظرة، نموذج تيكونيوس. أما الفصل السابع والأخير، فقد خصصناه لمنطق التأويل والجدل. واتخذنا في ذلك نموذجا المجادل المغاربي الكبير القديس أو غسطينوس.

أخيرا نخبر القارئ الكريم أن هذا البحث ليس إلا لبنة أولى في مشروع ضخم الغرض منه هو إعادة كتابة تاريخ الأفكار، وخاصة العلمية، بشمال إفريقيا بشكل عام. وبالتالي إعادة الاعتبار لمساهمات المغاربيين في ميادين العلوم المختلفة واسترجاع ما ضاع من تراثنا الفكري المغاربي ثم إلحاقه بأصوله الأولى دون تحيز ولا مبالغة ودون شوفينية ولا عنصرية.

د. عبد السلام بن مَيْسَ

الرباط، يوم 13 أكتوبر 2005

الفصل الأول

بعض معالم الفكر المغاربي القديم

▫ عُجالة تاريخية حول شمال إفريقيا القديم

مشكلة التسمية الجغرافية:

هناك غموض تاريخي، وأحيانا جغرافي، حول التسمية التي يمكن أن تطلق على ما يعرف اليوم بالمغرب الكبير، وذلك لاختلاف الأنظمة السياسية التي توالت على هذه المنطقة ولعدم استقرار الحدود السياسية للبلدان التي تنتمي إليها، إما بسبب النزاعات القبلية بين أهلها أو بسبب تدخل الدول المستعمِرة عبر العصور التاريخية في المنطقة.

أول تسمية احتفظ بها التاريخ تتمثل في كلمة ـ ليبيا ـ والتي أطلقها اليونان القدامى على شمال "إفريقيا"[1]. أما الرومان فقد أطلقوا كلمة "أفريقيا" (بفتح الهمزة) على جزء من شمال إفريقيا يشمل فقط تونس الحالية، بينما أطلقوا كلمة "مَاوْريتانيا" على أجزاء من المغرب والجزائر[2]. ولما جاء العرب، سمَّوا شمال إفريقيا (باستثناء مصر) "جزيرة المغرب" أو فقط "المغرب". ولقد قسم الجغرافيُّون العرب بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام، باعتبار قربها من أو بعدها عن مكان الحج ومقر الخلافة. وهذه الأقسام هي: المغرب الأدنى ويشمل منطقتي طرابلس وتونس وكانت قاعدته هي مدينة القيروان، ثم مدينة تونس؛ المغرب الأوسط ويشمل بلاد الجزائر الحالية وقاعدته مدينة تلمسان ثم مدينة الجزائر؛ المغرب الأقصى ويبدأ بنهر ملوية لينتهي بالمحيط الأطلسي غربا[3] . أما في القرن 19م فقد استعمل المؤرخون

---

(1) Cf. Herodotus, *The Histories*, book IV.

(2) انظر خريطة "أفريقيا الرومانية" بعده.

(3) حول هذه التقسيمات الجغرافية للمغرب الوسيط، انظر : عبد الوهاب بن منصور (1968)، قبائل المغرب، ج 1 ، ص 25–26 ، المطبعة الملكية. انظر أيضا ابن خلدون، تاريخ البربر، ص 128.

الفرنسيون كلمة بيربيري (Berbérie) للإشارة إلى شمال إفريقيا باستثناء مصر. واستعملوا أحيانا التسميات: "إفريقيا الشمالية الفرنسية" و "إفريقيا الصغرى"[4].

يبدو أن لا واحدة من التسميات التي تم إطلاقها على شمال إفريقيا بشكل عام تنطبق تمام الإنطباق على هذه المنطقة. فقولنا "شمال إفريقيا" غير صائب، لأن شمال إفريقيا يشمل أيضا مصر. وبما أن هذه الأخيرة شكلت دائما وحدة مستقلة عن باقي شمال إفريقيا، خاصة القديم، فإن التسمية المذكورة غير لائقة. أما تسمية هذه المنطقة باستعمال كلمة "ليبيا" كما فعل اليونان، فهي الأخرى غير لائقة لأن هناك التباسا بينها وبين ليبيا الحالية، ولأن الإغريق أطلقوا هذا الإسم على منطقة كانت محصورة بين خليج سيرتا والنيل فقط. أما استعمال كلمة "أفريقيا" من طرف الرومان فلم يكن يقصد منه إلا منطقة تونس الحالية. واستعمال التسمية "أفريقيا الرومانية" أو "أفريقيا الفرنسية" من طرف المؤرخين الغربيين فيه نفحة استعمارية واضحة. بقيت التسميات "أفريقيا الصغرى" و "بيرببري". فالأولى، رغم كونها قد تكون صائبة بالاصطلاح، فهي غير واضحة في أذهان الذين لايشتغلون بالتاريخ. أما كلمة "بيربري" فصائبة هي الأخرى نظرا لكونها تغطي موطن شعب سماه اليونان والرومان والعرب بالبربر. ومن مميزات هذه التسمية كونها تستثني مصر من شمال إفريقيا بالتعريف أو بالبداهة باعتبار تطابق اسم الوطن واسم الشعب الذي يسكن الوطن. لكن كلمة "بربر" و "بيربيري" كلمات قدحية بالإضافة إلى أن سكان شمال إفريقيا القديم لم يطلقوا قط هذه التسميات على

---

(4) Cf. E. Guernier (1950), *La Berbérie, l'Islam et la France*, Tome I, Paris, Edition de l'Union Française.

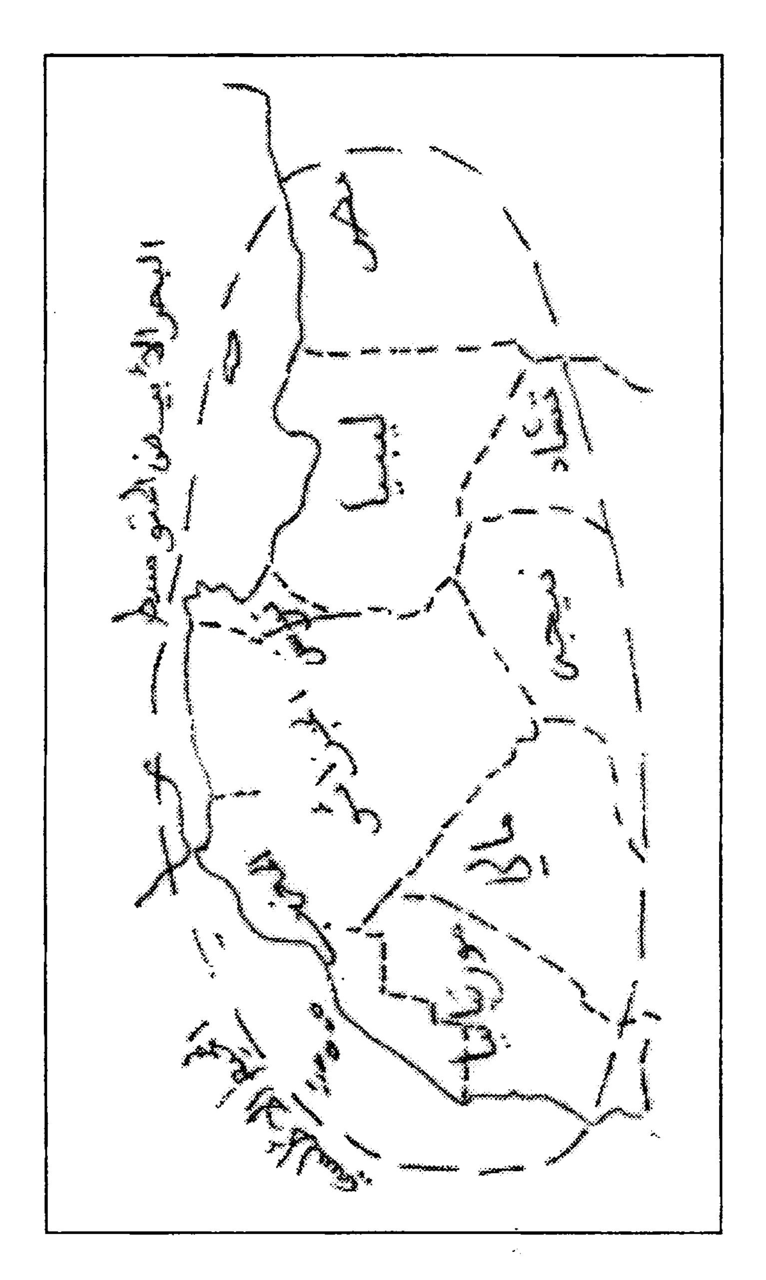
أنفسهم بل هي تسميات صاغتها الشعوب الأجنبية الوافدة عليهم. أما الإسم المحلي الذي أطلقوه على أنفسهم والذي تبناه السكان الأصليون لشمال إفريقيا اليوم فهو: "الأمازيغيون" (أو إمازيغن). ونحتوا بعد ذلك، انطلاقا من هذا الأصل، اسم ا لوطن الذي ينتمون إليه، وهو: "تامازغا". وهو الإسم الذي يُطلق اليوم على شمال إفريقيا (باستثناء مصر)، أي على كل ما كانت تشير إليه كلمة" بيربيري" الفرنسية. ولهذه التسمية الأمازيغية مجموعة من المزايا نذكر من بينها:

1. كونها تغطي، بدون زيادة ولا نقصان، منطقة شمال إفريقيا باستثناء مصر: وهي منطقة لها خصائص حضارية وسكانية وجغرافية وتاريخية تجعلها تختلف عن مصر اختلافا كبيرا. وفي العصر القديم كانت هذه المنطقة تمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى نهر النيل شرقا[5] .
2. كونها تعبر عن نوعية السكان الذين يسكنون تلك المنطقة.
3. كونها تتجنب المعاني القدْحية التي قد تحملها أسماء مثل "بيربيري" انفرنسيه، وكونها أيضا تتجنب الالتباسات التي قد تخلقها كلمة "أفريقيا" وكلمة "ليبيا"، وتتجنب كذلك النفحات الإستعمارية التي تحملها بعض التسميات مثل: "إفريقيا الرومانية" أو "افريقيا الفرنسية" أو غيرها.

لنذكّر أخيرا أن التسمية "المغرب العربي" التي تتداولها بعض الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية المعاصرة لم تنل رضى الأمازيغيين المعاصرين؛ ويفضلون بدلها عبارة: "المغرب الكبير" التي تشير تقريبا، إلى نفس المنطقة المشار إليها باستعمال كلمة "تامازغا". (انظر الخريطة بعده).

---

(5) انظر خريطة تامازغا رفقته.



حدود تمازغا القديمة

حول تاريخ شمال إفريقيا القديم:

لا يعرف المؤرخون إلا القليل عن تاريخ شمال إفريقيا قبل دخول الرومان إليها (أي قبل القرن 2 ق.م.). هناك حكاية يقصها أفلاطون في محاورتي تيماوس وكريتياس ويتحدث فيها عن مملكة أطلنطيس (Atlantis). ويعتقد أن هذه المملكة سيطرت على شمال إفريقيا وحاولت الاستيلاء على مصر واليونان(6) . لكن المؤرخين لم يتعرفوا حتى الآن على موقع أطلنطيس القديم مع العلم أن هذه القارة القديمة انشطرت إلى أجزاء متعددة. غير أن بحوثا جديدة تؤكد أن أطلنطيس كانت قرب جزر الأصور الموجودة الآن غرب الشواطئ الغربية للبرتغال على بعد 1500 كلم. ومن المعتقد أن الباسكيين والإسبان القدامى والغاليين وقبائل جزر كاناريا وجزر الأصور وبعض قبائل الهنود الحمر، كلهم من أصل أطلنطي. لكن هذه الحضارة انقرضت تحت الماء(7) . و بغض النظر عن كل هذا، من المؤكد أن سكان شمال إفريقيا القديم سيطروا على واحات النيل وذلك حوالي3300 ق.م. بل كانت هناك مملكة ليبية مصرية قديمة(8) و عائلات فرعونية من أصل ليبي أهمها تلك التي انحدرت من شيشونغ الأول (القرن العاشر قبل الميلاد)(9) . عرف أيضا شمال إفريقيا أثر الشعب الفينيقي ابتداء من القرن 12 ق.م. ووصل هذا الأثر أوجه مع تأسيس قرطاج سنة 814 ق.م. واستمر لمدة ألف عام تقريبا. كما سيطر اليونان على بعض مناطق شمال إفريقيا

---

(6) Cf. Plato, *Critias*, 114; *Timaeus*, 22, 23, 24.

(7) Charles Pellegrino (2001), *Understanding Atlantis*, Avon.

(8) Cf. Charles André Julien (1951), *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, Payot, p. 53.

(9) ظهر اسم الشعب الليبي في الكتابات الهيلوغريفية للفرعون مينيفتاح وذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. أنظر: Carcopino J. (1943), p. 24

وخاصة منطقة قورينا (ليبيا الحالية) على الأقل منذ سنة 631 ق.م. واختلط اليونان بالسكان المحليين بتبادل النساء والرجال والديانات والعادات والتقاليد واللغة والثقافة. وألف المغاربيون باليونانية كما سنرى بل ومارسوا تدريس الفلسفة بأثينا. وأسسوا لأنفسهم مدارس فلسفية بشمال إفريقيا على غرار المدارس الفلسفية اليونانية[10] . كما تأثر المغاربيون أيضا بالرومان وبالوندال والبيزنطيين وبالعرب وأخيرا بالاوروبيين المحدثين. وإلى جانب هذه التأثيرات الخارجية، خضع أيضا تاريخ شمال إفريقيا لتأثيرات مؤسسات سياسية وسوسيوثقافية محلية تمثلت في الأنظمة الملكية التي أسسها زعماء أمازيغيون من أمثال ماسينيسا وسوفاكس ويوبا وغيرهم.

شمال إفريقيا القديم واليونان:

استقر اليونان بشمال افريقيا القديم منذ سنة 631 ق.م. كما ذكرنا، وكوّنوا لهم مستوطنة بمنطقة قوريناكا (Cyrénaïque) بليبيا الحالية[11] ، وأسسوا بها مدنا هامة مثل قورينا (Cyrène) وباركا (Barca) وأوهيسيريد(Euhespérides) (بن غازي الحالية) وغيرها. وكانت لهؤلاء اليونان المستعمرين علاقات ثقافية وتجارية مع قرطاج ومع مصر ومع أثينا. كما خاضوا صراعات مختلفة مع السلطة المركزية بأثينا من جهة ومع السكان المحليين من جهة ثانية لغرض توسيع مستعمراتهم على الخصوص. وأصبحت قورينا دولة مستقلة ابتداء من 258 ق.م. ثم سيطر عليها الرومان عام 96 ق.م. وأخيرا استولى عليها العرب عام 642 م. أما من الناحية الثقافية فقد ظهرت

(10) مدرسة قورينا على سبيل المثال.

(11) Cf. Lévèque, P. (1964), p. 20.

بقورينا مدرسة فلسفية أسسها أريستيبوس القوريني (القرن الرابع قبل الميلاد). ومن بين ممثليها أنيكيريس(Anniceris) وهيجسياس(Hegessias) وأريتي(Areté)[12] . طور هؤلاء فلسفة أخلاقية أساسها اللذة. وعادلوا بين هذه الأخيرة والسعادة والفضيلة. وهكذا لم تكن مدينة قورينا عاصمة سياسية فقط بل كانت أيضا عاصمة ثقافية للمستوطنين اليونان بشمال إفريقيا القديم، وخاصة عاصمة لهذه المدرسة الفلسفية المعروفة باسم المدرسة القورينية والتي ساهم في تأسيسها وتطويرها، بالإضافة إلى الذين ذكرناهم، كل من كاليماخوس (Callimaque) وكارنياديس (Carnéade) وإراطوستينيس (Erathostène) وثيودور (Théodore). وكان أيضا حضور اليونان مكثفا في مدن مغاربية أخرى خاصة مدينة قايصاريا على عهد الملك يوبا الثاني.

شمال إفريقيا القديم والفينيقيون:

ظهر الفينيقيون بالمغرب في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. لكن علاقتهم بتاريخ شمال إفريقيا لا تبدأ بوضوح إلا بتاريخ تأسيس قرطاج[13]، أي سنة 814 ق.م. مع العلم أن قرطاج لم تكن المنطقة الوحيدة التي تبادل فيها الفينيقيون وسكان شمال إفريقيا التأثير والتأثر. بل كانت هناك مراكز أخرى ممتدة على طول الشواطئ المغاربية من طرابلس حتى أكادير[14] .

وفي كل هذه المراكز اختلط الفينيقيون بسكان شمال إفريقيا سواء عن طريق الجيش أو عن طريق الزواج أو غيرهما. ولما ازدهرت

---

(12) انظر بعده.

(13) Cf. Guernier E. (1950), p. 51.

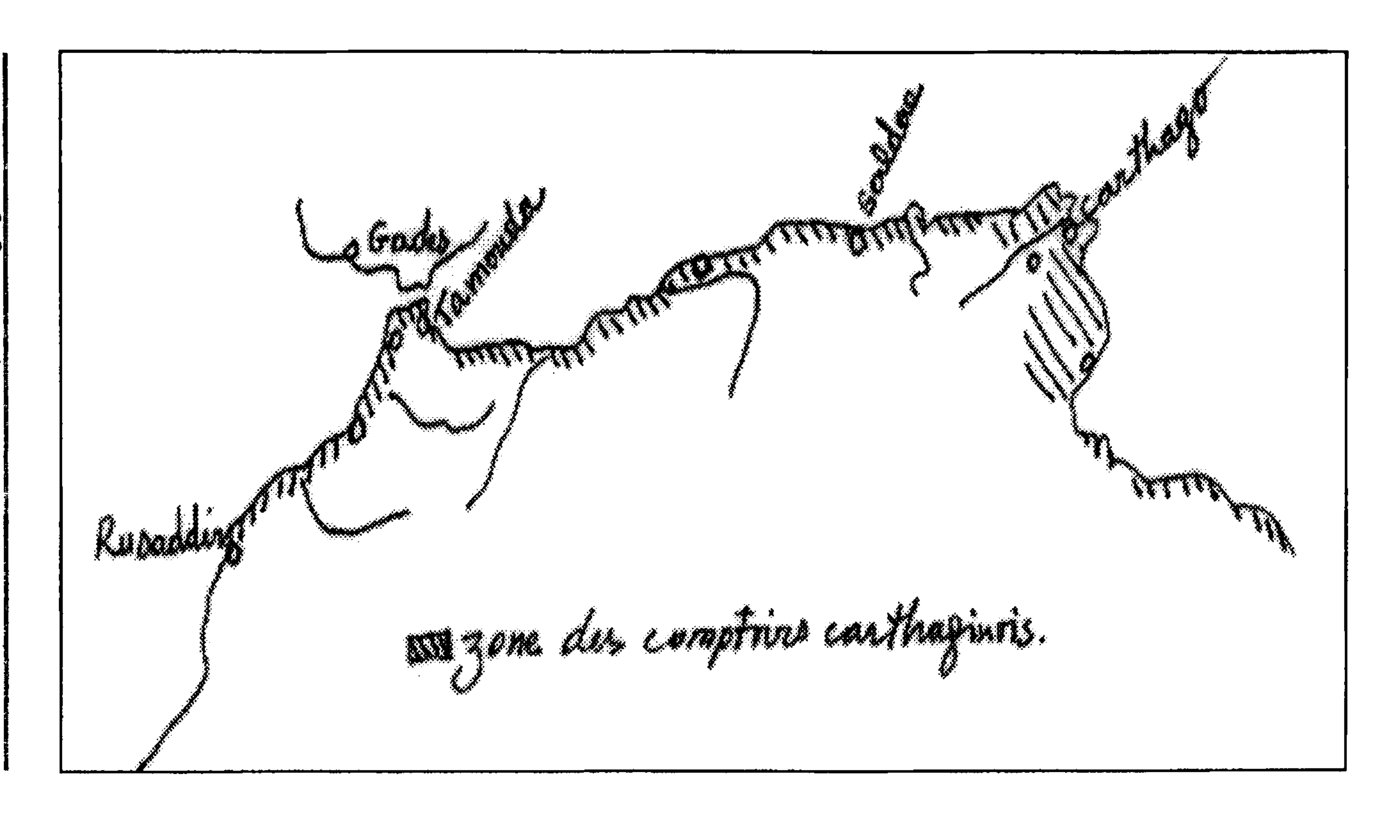
(14) انظر الخريطة رفقته.

الحضارة البونيـة بشمال إفريقيا، خاصة بقرطاج ونواحـيها، لم يعد من الممكن الفصل بين العنصرين. وبما أن نسـبة السكان المستوطنين تكون عادة أقل من نسـبة السكان المحليين فإن الحضـارة القرطاجية وغـيرها من الحضـارات التي تعاقبت على شـمال إفريقـيا هي من صنع السكان المحليين بـاعـتــبـارهم يشكلون الأغـلبـيـة[15] . لكن السكـان المحليين ارتبطوا ارتباطا شـديدا باللغة البونية وتبنوها خـلال كل الفترة الثقـافية الفينيقـيـة الـتي دامت من القـرن 12ق.م حـتى سنة 146 ق.م. يقـول مونصو في هذه الصـدد إن الديانة المسيحية في عـهد أوغسطينوس (ق 4 - 5 م) كانت تقدّم باللغة البونية بالإضافة إلى الـلاتيـنيـة وبقيـت اللغـة البونـيـة حية في الأوسـاط الشـعبيـة حتى القرن 11م، أي أربعة قرون بعد مجيء العرب[16] .

ورث سكان شمـال إفريقيا عن القـرطاجيين خصـوبة المخيلة والميل نحـو التـصـوف. وورثـوا عنهم على الخـصـوص الإحـسـاس بـالعـملي والاهتـمـام بالنافع. وعن أجـدادهم الأمـازيـغيـين ورث المغـاربة العناد وحـدة الـطبع. وورثوا عنهم أيـضـا الإحـسـاس بالشـخـصـيـة وحب الإستقلال وحب الأسفار الطويلة مع الارتباط بالبلد الأصل والعودة إليه.

(15) Cf. Gsell, *Hist. an. de l'Af. du Nord*, p. 115.

(16) Monceaux, (1894), *Les Africains: Etudes sur la Littérature latine d'Afrique (les païens)*, Paris, Lecène, Oudin et Cie, Editeurs, p. 37.


Rusaddir
Gades
Tamouda
Saldae
Carthago
zone des comptoirs carthaginois.

شمال إفريقيا القديم والرومان:

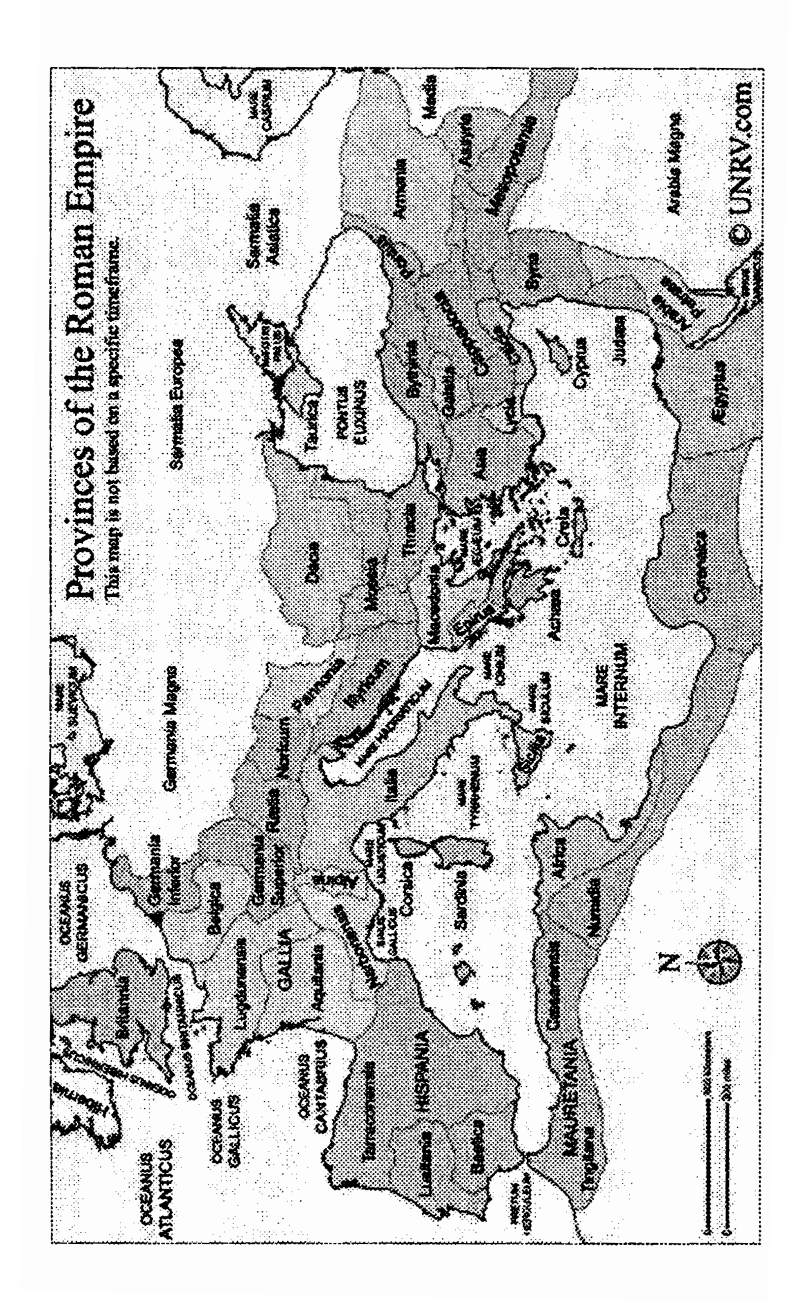
منذ سقوط قرطاج سنة 146 ق.م وحتى سنة 40ق.م. كانت روما تحاول استعمار شمال إفريقيا. وفعلا نجحت في الاستيلاء عليه، لكن في ظروف وفترات مختلفة. استولت على قرطاج سنة 146ق.م. واستولت على نوميديا (بالجزائر الحالية) سنة 46 ق.م . واستولت على ماوْريتانيا (المغرب الأقصى الحالي) سنة 40 م. واستولت على قورينايكا (ليبيا الحالية) سنة 96 ق.م، وعلى الاسكندرية سنة31 ق.م. ومنذ ذلك الحين، أصبح القاموس السياسي الدولي آنذاك يحتوي على تسمية جديدة لشمال إفريقيا القديم وهي: "إفريقيا الرومانية".(Africa romana). وبعد حرب ضارية بين الرومان والملوك الأمازيغيين القدامى انتهت بانتصار الرومان، أصبحت إفريقيا الرومانية تمتد من منطقة قورينايكا شرقا حتى نهر ملوية غربا. ثم امتدت الحدود الغربية لتصل إلى طنجة وإلى سلا. ولكن، رغم ذلك لم تكن روْمَنة شمال إفريقيا متجانسة نظرا لوجود مقاومة أمازيغية مستمرة بالجبال، وحتى بالمناطق السهلية. ولم تسقط هذه المناطق بين يدي روما إلا بفضل مساعدات بعض سكان شمال إفريقيا المنشقين عن الجماعة. ودام الإستعمار الروماني لشمال إفريقيا مدة ستة قرون (من 146 ق.م حتى 450 م). أي منذ سقوط قرطاج حتى دخول الوندال إلى شمال إفريقيا.

من مميزات الإستعمار الروماني بشمال إفريقيا القديم كونه لم يحمل معه أية ثقافة. ورغم القوة العسكرية التي كانت تتمتع بها روما

فإن الثقافة المتداولة سواء بروما أو بشمال إفريقيا القديمين بقيت يونانية. وتميزت أيضا روما بكونها استعملت العنصر المحلي في تسيير الإدارات وفي تسيير المدن المغاربية. وهكذا تمكنت من مخزنة أطرها ورومنة جزء لا يُستهان به من الشعوب المغاربية. وبالتالي، ابتداء من القرن 2 م، أصبح المغاربيون المرومنون هم الذين يحكمون إفريقيا الرومانية.

ولإحكام قبضتها على شمال إفريقيا، من الناحية الإدارية والسياسية والعسكرية، عمدت روما إلى تقسيم شمال إفريقيا المرومن إلى أربع جهات أساسية: إفريقيا البروقنصلية ونوميديا وماورِيتانيا القيصرية وماورِيتانيا الطنجية(17) .

(17) انظر الخريطة رفقته.


Provinces of the Roman Empire
This map is not based on a specific timeframe.
© UNRV.com
OCEANUS ATLANTICUS
OCEANUS GALLICUS
OCEANUS CANTABRICUS
OCEANUS GERMANICUS
Britannia
Tarraconensis
HISPANIA
Lusitania
Baetica
MAURETANIA
Tingitana
Caesariensis
Numidia
Africa
GALLIA
Aquitania
Lugdunensis
Belgica
Germania Inferior
Germania Superior
Germania Magna
Raetia
Noricum
Pannonia
Illyricum
Italia
Corsica
Sardinia
Sicilia
MARE TYRRHENUM
MARE INTERNUM
Dacia
Moesia
Thracia
Macedonia
Epirus
Achaea
Creta
Sarmatia Europea
Sarmatia Asiatica
Taurica
PONTUS EUXINUS
Bithynia
Galatia
Asia
Lycia
Cappadocia
Cilicia
Cyprus
Syria
Judaea
Aegyptus
Cyrenaica
Armenia
Assyria
Mesopotamia
Media
Arabia Magna
N

حول سكان شمال إفريقيا القديم:

لا نريد الدخول هنا في تفاصيل مسألة الأصل الإثني لسكان شمال إفريقيا القديم؛ لأن هذه المسألة تهم المؤرخين وتخرج عن إطار هذا الكتاب. لكن، يمكن القول بشكل عام، في إطار هذه العجالة التاريخية التي تمهد لموضوعنا، أن الطريق نحو الحسم في هذه المسألة أصبح يتضح أكثر فأكثر. فمن المؤكد اليوم أن العنصر الأمازيغي ينحدر من العنصر الليبي القديم الذي سكن شمال إفريقيا منذ أزل غير معروف. ومن المؤكد أيضا أنه، رغم التمازج العنصري الذي شهده شمال إفريقيا (مع اليونان والفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين والعرب والأوروبيين)، بقي العنصر السكاني الأصلي يحتفظ بأهم خصائصه الحضارية. يقول أندري جوليان في هذا الشأن: "إن الأمازيغي، رغم كونه استقبل حضارات مختلفة، قد احتفظ بهويته الأصلية. إن الحضارات المتتالية القادمة من خارج شمال إفريقيا كانت بالنسبة للأمازيغي عبارة عن ألبسة يُضيف بعضها إلى بعض، ويبقى جسده داخلها هو هو لا يتغير" [18]. ومن العوامل التي ساعدت سكان شمال إفريقيا الأصليين على الإحتفاظ بهويتهم طبيعةُ البلاد الجبلية التي مكنتهم من العيش في مأمن من كل التيارات الحضارية العابرة لشمال إفريقيا القديم. ومنها أيضا ميول الشخصية الأمازيغية نحو التمسك بكل ما هو أصيل. أما الأطروحة التي تقول بأن سكان شمال إفريقيا القديم أتوا من اليمن، فهي دعوى ثبت الآن بطلانها. ولا شك أن تبنيها قد حصل عن خلط بين السكان الأمازيغ الأصليين الذين استوطنوا شمال إفريقيا منذ زمن

(18) Charles André Julien (1951). *Histoire de l'Afrique du Nord*, Payot, Paris, chap. III.

يصعب تحديده والفينيقيين الذين أتوا فعلا من الشرق واستوطنوا شمال إفريقيا القديم[19] . ولقد تم استغلال سوء الفهم هذا من طرف بعض المتطرفين العروبيين المعاصرين وحتى من طرف بعض المؤرخين لإيهام أنفسهم ومن يساندهم أن سكان شمال إفريقيا الحالي هم من أصل شرقي، تماما كالعرب، وبالتالي ليس هناك أي مبرر، في اعتقاد هؤلاء العروبيين، لمعارضة التيار العروبي المعاصر الذي يَرُدُّ كل شيء إلى الشرق. ومن حسن حظ الموضوعية التاريخية أن شبابا من أبناء شمال إفريقيا المعاصرين قاموا ويقومون ببحوث علمية جديدة حول أصل سكان شمال إفريقيا[20] . ولقد ثبت في هذا الصدد أن الإنسان قد سكن هذه المنطقة قبل استقرار المجموعات البشرية الأولى بالشرق العربي. ونحن جميعا نعرف أن إفريقيا هي مهد الإنسانية الأول على الإطلاق. وبالتالي فإن الإنتقال حصل في الواقع من إفريقيا إلى الشرق وليس العكس.

اللغات المتداولة بشمال إفريقيا القديم:

ما يُعرف اليوم بتامازيغت، أو اللغة الأمازيغية، هوصيغة لسنية تولدت عما كان يُعرف قديما باللغة الليبية. وهي عنصر من عناصر مجموعة اللغات الإفريقية. وكما امتزج السكان الأصليون بشعوب مختلفة، امتزجت أيضا اللغة الليبية بلغات تلك الشعوب. وهكذا نجد سكان شمال إفريقيا القديم قد تحدثوا، بالإضافة إلى لغتهم الأصل، اللغة البُونِيَّة واللغة اليونانية واللغة اللاتينية. كما تحدث القروسطويون منهم اللغة العربية وتحدث المحدثون والمعاصرون الإسبانية والفرنسية

(19) هذه فكرة اقتبسناها عن الأستاذة غازي حليمة، استاذة التاريخ القديم بجامعة محمد الخامس ـ أكدال، الرباط.

(20) Cf. Malika Hachid (2000), *Les premiers Berbères*, Edisud.

إلى جانب اللغة االأم. وفي العصر القديم كانت اللغة الليبية والبوينية لغتي الشعب والطبقات المتوسطة، بينما كانت باقي اللغات (مثل: اليونانية واللاتينية) تُعلَّم بالمدارس[21] . ورغم كون اللغة الليبية (الأمازيغية) نسقا لغويا يتمتع بكل خصائص الأنساق اللغوية المتداولة حاليا، ورغم كونها تتمتع بأبجدية منذ عهد ماسينيسا على الأقل (240-149 ق.م)، فإن الأمازيغيين المثقفين القدامى لم يُدوِّنوا أفكارهم بلغتهم الأصل. بل اختاروا لغات الشعوب الوافدة. وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة أعمق. وبالتالي لا نستطيع نحن اليوم تقديم حكم بشأنها، بالإضافة إلى أن هذا ليس الموضوع المركزي لهذا الكتاب.

الديانات التي مارسها سكان شمال إفريقيا القديم:

قبل دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا القديم، أي قبل نهاية القرن السابع الميلادي تقريبا[22] ، تدين المغاربيون بديانات مختلفة بعضها سماوي وبعضها وثني، بعضها محلي وبعضها مستورد. فمن بين الآلهة المحلية الإله هاووس(Haos) (بنواحي مدينة تاكاست) وليليوس(Lillieus) (بنواحي مدينة مداورا مسقط رأس الفيلسوف أبوليوس) وجيرو (Jeru) (بنواحي مدينة كيرتا) وميداوروس (Medaurus) (بنواحي مدينة لمبير) وبالدير (Baldir) (بنواحي مدينة كيبولا) وباكاكس (Bacax) (بنواحي مدينة تيبيليس). وعبد أيضا المغاربيون القدامى آلهة محلية أخرى مثل: أنتي (Anthée) وأوليسوا (Awliswa) وإيشمون (Eschmoun) وتانيت (Tanit) وغيرها. وتبنّى

(21) Cf. Monceaux, *Les Africains*, p. 37 sqq.

(22) دخل العرب إلى مصر عام 640م ، وإلى قورينا عام 642م ، وإلى بيزنسيا عام 665م ، وإلى قرطاج عام 695م.

المغاربيون أيضا آلهة فينيقية ورومانية قبل أن يعتنقوا اليهودية والمسيحية وأخيرا الإسلام. وهنا يجب التذكير أن سكان شمال إفريقيا عرفوا فكرة وحدة الإله (التوحيد) قبل مجيئ المسيحية والاسلام، وذلك بفضل انتشار الديانة اليهودية في شمال إفريقيا بشكل عام.

عرف المغاربيون المسيحية منذ القرن الأول للميلاد وتشبثوا بها تشبثهم اليوم بالإسلام لمدة قرون. وتضلعوا في علومها وألّفوا وتجادلوا في مسائلها العقائدية والشرائعية. فأصبح من بينهم قدِّيسون وعلماء وبابوات[23] . ولقد بلغت المشادات الكلامية الدينية أوجها في فترة سيطرت فيها المسيحية على شمال إفريقيا لما ظهرت النزع المسيحية الإفريقية المسماة بالضوناتية (Donatisme) وذلك عام 312 م.

الضوناتية هي أولا ثورة اجتماعية نوميدية قادها زعيم من السكان المحليين عُرف باسم ضونا الأكبر (Donat le grand) أوضونا القرطاجي أوضونا النوميدي. وهو واحد من الأمازيغيين المعارضين للكنيسة الرسمية. انتشرت النزعة الضوناتية على الخصوص بالقُرى النوميدية (بالجزائر الحالية) قبل أن تنتقل إلى قرطاج وإلى روما[24] . أما أسباب نشأتها وانتشارها فيمكن إرجاعها إلى ما يلي:

1 . التعذيب الذي مارسه الإمبراطور ديو قليانوس على المسيحيين بشكل عام.

2 . الحزازت الشخصية بين رجال الدين.

3 . التنظيم غير الطبيعي وغير العادل للكنيسة الإفريقية حيث تُراعَى اعتبارات عرقية في التنظيم الداخلي و في رُتَب رجال الكنيسة.

---

(23) Cf. P. Monceaux, *Histoire de la litterature chrétienne*.

(24) Cf. Monceaux (1912), vol. IV, pp. 8 sqq.

4 . تسلط المسؤول الديني الأعلى (عادة مايكون قرطاجيا) على رجال الدين المحليين بنوميديا ونواحيها. وكان أسقف قرطاج يمارس سلطة الباترياريك رغم كونه لم يكن مؤهلا دينيا لذلك.

5 . الحالة الإجتماعية والإقتصادية المتدهورة لسكان شمال إفريقيا القديم، وخاصة النوميديين منهم. فقد انتشر الفقر بهذه المناطق منذ منتصف القرن 3 م. ولهذا انخرط في الضوناتية كل فقراء نوميديا وكل التجمعات السكانية التي بقيت محتفظة بأمازيغيتها ولا تتحدث إطلاقا اللغة اللاتينية. ومن المعتقد أن هذا هو السبب الأساسي لظهور الضوناتية، خاصة ونحن نعرف أن هذه الحركة كانت تدافع دفاعا مستميتا عن الوطنية الإفريقية.

فهي بهذا حركة استقلالية أكثر منها دينية. وهكذا، قرر الضوناتيون أن يخلقوا لأنفسهم كنيسة جديدة اعتبروها هي الكنيسة الحق. وبعد ذلك بدأت المشادات الكلامية والمؤلفات تظهر حول مسائل عقائدية وشرائعية، خاصة مسألة علاقة الكنيسة بالسلطة السياسية. وثار الضوناتيون على الكنيسة الرسمية وعلى الإمبراطور.

هناك مجادلون كتاب ضوناتيون معروفون نذكر من بينهم الأسماء التالية:

- *دونا الأكبر (Donat le Grand)*
- *فيتيلنوس الأفريقي (Vitellinus Afer)*
- *ماكروبيوس (Macrobius)*
- *تيكونيوس (Tyconius)*
- *بارمنيانوس (Parmenianus)*
- *بيتكيانوس القسنطيني (Petilianus)*
- *إيمريتوس القيصري (Emeritus de caesaria)*
- *جاودانتيوس التاموكادي (Gaudantius de Thamugadi)*

كان الجدل بين هؤلاء الكتاب وممثلي الكنيسة الرسمية، خاصة مع القديس أوغسطينوس، يدور حول طبيعة الكنيسة الحقة حسب الكتب المقدسة. وكان الضوناتيون يرفضون الكنيسة الرسمية التي كان يمثلها القديس أوغسطينوس ويعتقدون أن خللا ما لحق هذه الكنيسة (الكاثوليكية) لما أصبحت تقدس الأشخاص وعلى رأسهم الامبراطور والبابا. وكانوا يطالبون بعدم تدخل السلطة المدنية في الدين. وطالبوا أيضا بحرية التدين. كما عابوا على الكنيسة الكاثوليكية الرسمية كونها قتلت كثيرا من الوثنيين المحليين وأنها عذبت الشعوب ونهبت أموالها وسبت نساءها. ويمكن اعتبار هذه الظاهرة أول صيغة للعلمانية بالمجتمع الأمازيغي.

بالإضافة إلى أساليب الجدل، كان الضوناتيون يستعملون الأسلحة الحربية ضد أعدائهم. وكانوا يكنون لهم كراهية لا تطاق. بل كانوا متطرفين إلى حد بعيد في سلوكهم وتصرفاتهم مع أعدائهم. ومما يميز أخلاق الضوناتيين:

- عدم الحديث مع المسيحيين الكاثوليكيين،
- عدم السلام أو رد السلام عليهم،
- عدم الجلوس في مكان يوجدون به،
- عدم التزوج معهم،
- عدم الدخول إلى كنائسهم ورفضهم في كنائس الضوناتيين.

ومما يميز أخلاق الضوناتيين بشكل عام تفضيلهم للتعامل بالعنف، رغم كونهم يجيدون الحوار. وكانوا يسمون أنفسهم "جيش المسيح" وكان صياحهم الحربي آنذاك هو "الحمد لله" (Deo laudes).

ولما جاء الوندال سنة 430 م، قضوا على الديانة المسيحية بمفهومها الكلاسيكي ليعوضوها بالاريوسية (Arianisme)، وهي أيضا نزعة مسيحية شمال إفريقية وضعها شخص من المغرب الأدنى اسمه أريوس(Arius)[25] وهي ديانة تشبه إلى حد ما الإسلام من الناحية العقائدية في كونها تنكر ألوهية المسيح وتدعو إلى التوحيد المطلق. وبالتالي فإن المسيح ليس ابنا لله. ولقد مهدت الأريوسية الطريق لانتشار الإسلام بشمال إفريقيا والشرق الأدنى. ومن المؤرخين من يعتبر الأريوسية ديانة أمازيغية لأنها من وضع شخص ليبي. وربما كان هذا هو المجهود الوحيد الذي بذله الشمال إفريقيون على مستوى صناعة الديانات، إذا استثنينا اليهودية، التي يمكن اعتبارها هي الأخرى ديانة شمال إفريقية باعتبارها نشأت بمصر[26] . ومن المفكرين أيضا من يعتبر الأريوسية أول صيغة للعقلانية (بالمفهوم الفلسفي لهذه الكلمة) بشمال إفريقيا [27] المتدين. وبهذا تكون هذه الديانة أول رد فعل عقلاني من طرف سكان شمال إفريقيا القديم ضد الذهنية الشرقية التي في حضنها نشأت وترعرعت الديانة المسيحية في صيغتها الأولى.

بعض مظاهر الحياة الثقافية بشمال إفريقيا القديم:

كثير من الناس يعتقدون أن الأمازيغيين القدامى لا يملكون ثقافة مكتوبة، وأن التداول الشفوي كان أساس التعبير والتبادل الثقافيين لديهم. وهذا خطأ. لقد عبر المغاربيون عن أفكارهم كتابة وذلك منذ قرون خلت. لكنهم لم يكتبوا قط بلغتهم الأم (تامازيغت) لأسباب في

---

(25) انظر بعده، الفصل الخاص بالأريوسية.

(26) Cf. Guernier E. (1950), p. 151.

(27) *Ibid.*

حاجة إلى مزيد من الفحص. بل كان من عاداتهم تعلم لغات المحتلين لبلادهم والتدوين بها. وهكذا ألف المغاربيون القدامى بالبونية خلال الفترة التي امتزجوا فيها بالفينيقيين، وألفوا باليونانية خلال الفترة التي عايشوا فيها اليونان. ثم ألفوا باللاتينية في فترة الاحتلال الروماني. كما اهتموا أيضا بإنشاء المدارس في كل أرجاء بلادهم بما في ذلك القرى الصغيرة[28] . وعرفوا كذلك أنظمة التعليم المؤسسة على مراحل: ابتدائي، ثانوي، عالي، في نفس الوقت الذي عرفتها فيه روما. وفيما يلي تفصيل ذلك.

التعليم بصفة عامة:

قلد المغاربيون القدامى اليونان والرومان في نظام التعليم الذي تبنوه. وهكذا اكتشف المغاربيون أولا الريطوريقا والدراسات الأدبية بشكل عام. وفي البداية، سواء عند المغاربيين أو عند الرومان، كانت مواد التدريس تنحصر فقط في الأدب الإغريقي ونحو اللغة الإغريقية والريطوريقا والسفسطة والرسم والنحت والموسيقى والرقص. وكانت هذه المواد تُعطَى إما على شكل دروس خاصة بالمنازل أو على شكل دروس جماعية بأمكنة عامة. وكانت الدروس تعطى باليونانية سواء في روما أو في شمال إفريقيا القديم. ولم تبدأ اللاتينية تحل محل اللغة اليونانية في التدريس إلا مع ظهور كُتَّاب لاتين كبار، خاصة في نهاية القرن 1م، مع كيكيرو (Ciceron) (106- 43 ق.م) و فيرجيل (Virgile) (70 - 19 ق.م) وغيرهما. ولكن، رغم ذلك، بقيت الفلسفة يونانية في

(28) لم تتضح الخريطة المدرسية بشمال إفريقيا القديم إلا بعد الحرب البونية الثانية بقرنين، أي في القرن الأول الميلادي، في عهد Auguste بالنسبة لنوميديا وفي عهد Caligula بالنسبة لماوريتانيا. انظر: Monceaux, *Les Africains*, p. 48

مضمونها وفي لغة تدريسها، ولم يُفد تأثير كيكيرُو أيَّ شيء في هذا الميدان. ولقد سيطرت على الساحة الفلسفية الرومانية مجموعة من المدارس اليونانية، وخاصة الفيتاغورية والأبيقورية والرواقية، ثم أخيرا الأفلاطونية الحديثة (من القرن 3ق.م. حتى القرن 5م).

بعد كيكيرُو كتب بعض الفلاسفة المغاربيين والرومانيين باللاتينية، ولكن أغلبهم كان يفضل الكتابة باليونانية[29]. وحتى الذين كتبوا باللاتينية كانت دراستهم الفلسفية باليونانية . يمكن قول نفس الملاحظة على المواد العلمية المدروسة بالتعليم العالي. لقد بقيت هذه المواد تُعطَى بلغة يونانية. فالطب مثلا، كان يدرس باليونانية حتى القرن 5م. وما كان يدرس باللاتينية أحيانا ليس إلا ترجمات لنصوص يونانية الأصل. والواقع أن المثقف الروماني والمغاربي القديمين كانا يُتقِنَان اللغتين اللاتينية والإغريقية معا إلى درجة أن تَداولهما معاً في نفس المحاضرة كان أمرا عاديا لا يخلق أية بلبلة لدى المستمع.

ظهور وتطور التعليم النظامي بشمال إفريقيا القديم:

أ. التعليم الإبتدائي:

إذا أخذنا بعين الإعتبار منطقة قورينا (ليبيا الحالية) التي كانت مستعمرة يونانية منذ القرن 7ق.م، فيمكن القول إنّ التعليم الابتدائي ظهر بشمال إفريقيا وبروما في نفس الوقت تقريبا، أي خلال القرن 6ق.م. ويقوم بهذا التعليم معلم ابتدائي (Primus Magister) متخصص. وتستغرق مدة التدريس خمس سنوات، فيها يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب[30] .

(29) Cf. Apulée, *Florides*, p. 20-83.

(30) Cf. St Augustin, *conf.* I. 13.

ب. التعليم الثانوي:

لم يظهر التعليم الثانوي عند الرومان إلا في القرن 3 ق.م. وهي فترة كانت فيها الثقافة مزدهرة في قورينا بشمال إفريقيا. وكان التبادل الثقافي بين هذه الأخيرة وأثينا من جهة، وبينها والاسكندرية من جهة ثانية، في أغنى عصوره. ولم يأخذ التعليم الثانوي عند الرومان صيغته النهائية إلا في أواخر القرن 1ق.م. حيث بدأت نصوص بعض الشعراء اللاتيين، مثل Virgile، تدرس بالمدارس الثانوية. ويقوم بالتدريس بالتعليم الثانوي استاذ نحوي. وتستغرق مدة التعليم سبع سنوات. يعتمد مقرر الدراسة بالثانوي على تلقين النصوص الكلاسيكية (شعراً أكانت أو نثرا)، سواء باللغة اليونانية أو اللاتينية. يفسر الأستاذ النص، ويعطي في نفس الوقت درسا في النحو، ويُجبَر التلميذ على حفظ الدرس عن ظهر قلب وعرضه أمام الأستاذ. ومن بين الشخصيات المدروسة آنذاك: الفيلسوف الأمازيغي ابوليوس المداوري (Apulée de Madaure) (125 - 180 ق. م.) و الشاعر فيرجيل والكاتب كيكيرو (Ciceron) وأوريبيد (Euripide) (480 - 406 ق م) وهوميروس(Homère) وهيزيود (Hésiode) (ق8 ق م - ق 7 ق م) وديموستين (Démosthène) (384- 322 ق م) وغيرهم. ويقوم الأستاذ النحوي أيضا بتلقين بعض المبادئ في العلوم العقلية مثل الرياضيات والهندسة والحساب والموسيقى وعلم الفلك. ثم يضيف مادتي فني المسرح والفيلولوجيا. وابتداء من القرن 1ق.م. أضاف الرواقيون مادة تقنية أخرى موضوعها الدراسات المنهجية لعناصر اللغة (أي التحليل المنطقي لبنية اللغة)[31].

---

(31) Cf. Marrou H.-I. (1937), *St Augustin et la fin de la culture antique*, Paris, Boccard, p. 255.

جـ . التعليم العالي:

بحكم استفادة منطقة قورينا من الثقافة اليونانية، ظهر في هذه الجهة من شمال إفريقيا القديم نظام التعليم العالي قبل ظهوره في روما، أي قبل القرن 1ق.م. ولقد سيطرت على هذا المستوى التعليمي آنئذ مادة الريطوريقا. ولكن، رغم ظهور مدرسة ريطوريقية عند الرومان، لم تكن الدروس تُعطى باللاتينية بل باليونانية، سواء في روما أو في شمال إفريقيا. يقوم بالتدريس في التعليم العالي الأستاذ الريطوريقي (أو الخطيب). وتشتمل مواد التدريس، على الخصوص، على مواد خطابية أهمها الريطوريقا نفسها، وعلى مواد فلسفية موزعة على ثلاثة تخصصات: الأخلاق والطب والمنطق. وعلى مادتي الجغرافيا والتاريخ. لكن التعليم العالي القديم كان يعادل بالنسبة لكثير من الطلبة المغاربيين دراسة الريطوريقا فقط[32] . وكانت هذه الأخيرة تمارَس في المسائل القضائية والسياسية والبيانية، يقدم فيها الاستاذ الجامعي أولا دروسا نظرية حسب ما ورد في مؤلفات أرسطو وكيكيرو، ثم يعرض نماذج خطابية تُنسب لكُتَّاب كبار، وأخيرا يتمرن الطالب على التطبيق إما في المرافعات القضائية أو في مواقف سياسية أو بيانية.

أما الفلسفة في التعليم العالي فقد كانت تعلَّم داخل مدارس (ما يعادل الزوايا بشمال إفريقيا القروسطوي) أو على شكل دروس حرة من طرف أساتذة مستقلين. كما أن هناك أساتذة للفلسفة متجولين[33] .

---

(32) Cf. Marrou, *Ibid.*, p. 292.

(33) Cf. Marrou, *Ibid.*, p. 307.

يبدأ طالب الفلسفة بدراسة مسائل عامة حول تاريخ الفلسفة، ثم بعد ذلك يتفرغ لدراسة فلسفة المدرسة (أو الزاوية) التي ينتمي إليها. وغالبا ما يحتوي المقرر الدراسي على ثلاثة نماذج نظرية: نموذج في مبادئ المعرفة (المنطق) ونموذج حول العالم (الفيزياء والجغرافيا الفيزيائية) ونموذج في علم الأخلاق. وهذا تقسيم عرفه اليونان منذ التلامذة الأوائل لأفلاطون، وبقي نفس التقليد حتى نهاية العصر القديم. وكانت كل المواد الفلسفية تُعطى باللغة اليونانية.

أهم المراكز الثقافية بشمال إفريقيا القديم:

في العالم القديم كانت العواصم العلمية موزعة كما يلي: الاسكندرية وقسنطينة في الشرق، وأثينا وروما في الغرب، وقورينا وقايصاريا وقرطاج في شمال إفريقيا[34]. وبما أن الذي يهمنا هنا هو شمال إفريقيا (باستثناء مصر) ، فسوف نحصر اهتمامنا في قورينا وقايصاريا وقرطاج.

أ. جامعة قورينا:

لقد رأينا خلال حديثنا عن علاقة شمال إفريقيا باليونان أن قورينا كانت أول مستعمرة يونانية بشمال إفريقيا القديم وذلك منذ النصف الأول من القرن 7 ق.م. وباعتبار قرب قورينا من الإسكندرية، التي كانت أكثر جامعات العالم القديم بجنوب البحر الأبيض المتوسط ازدهارا، فإن "عدوى" العلم انتقلت أيضا إلى جارتها قورينا. ولقد كان

(34) انتساب هذه المدن إلى جهات جغرافية مسألة نسبية جدا لأنها قد تخضع لإعتبارات سياسية وثقافية وغيرها.

فلاسفة اليونان الكبار من أمثال افلاطون يترددون على مصر وعلى قورينا بالذات طلبا للمزيد من العلم. لقد كان أفلاطون مثلا يزور الرياضي الأفريقي ثيودورس (Theodorus) بقورينا قصد فك معضلات رياضية عجز عن حلها حسب ما يقوله هو نفسه في محاورة *Theaetetus*. ولقد نشأت وترعرعت في قورينا مدارس علمية وفلسفية لم يكن لها نظير لا بمصر ولا بقرطاج ولا بقايصاريا. ويمكن أن نحصر هذه المدارس في اثنتين أساسيين:

المدرسة الأولى هي: المدرسة الفلسفية القورينية التي تأسست على يد الفيلسوف القوريني أريستيبوس (Aristippus 435 ق.م - 356 ق.م). وازدهرت لمدة قرن تقريبا (من 400ق.م إلى 300ق.م). طورت هذه المدرسة فلسفة أصيلة أساسها مبدأ البحث عن اللذة وتجنب الألم: أي ما يسمى اليوم بالمذهب اللذاني (Hédonisme). وهو مذهب أخلاقي يقوم على القول بأن اللذة الحسية هي الخير الأسمى. وأن السعادة تكمن في الشعور المباشر باللذة الحسية. ويجب تمييز الهيدونيزم هنا عن الأوديمونيزم (Eudémonisme) الذي يقرّ بأن السعادة العقلية، وليس الحسية، هي الخير الأسمى. ما هي المصادر الفلسفية لهذه المدرسة؟ من المعتقد أن لهذه المدرسة مصدرين أساسيين: سقراط من جهة وبروتاغوراس من جهة أخرى. فمن تعاليم سقراط أن السعادة هي الخير الأسمى. ومن تعاليم بروتاغوراس أن المعرفة البشرية نسبية. اقتبس هذه التعاليم مؤسس المدرسة نفسه، أي أريستيبوس (Aristippus) وابنته أريتي (Aêté) ثم ابنه الأكبر أريستيبوس الشاب. وينطلق هؤلاء جميعا من مزيج من آراء سقراط وبروتاغوراس التي ذكرناها. فالإحساس بالنسبة لهم هو مقياس الأخلاق ومقياس المعرفة في نفس

الوقت. حسب بروتاغوراس، كل معارفنا نسبية لأن الحقيقة هي ما يبدو لنا، وبالتالي لا يمكننا معرفة الشيء في ذاته. وبناء على ذلك يستنتج هؤلاء الفلاسفة أن ما يمكن معرفته هو إحساساتنا فقط، أي الإنطباعات التي تخلقها الأشياء فينا. وبنقلهم نظرية المعرفة هذه إلى ميدان الأخلاق، وبافتراضهم أن الهدف الأسمى للسلوك الأخلاقي هو تحقيق السعادة، استنتج هؤلاء الفلاسفة أن الوصول إلى السعادة يحصل عن طريق انتاج الإحساسات اللذيذة وتجنب الإحساسات المؤلمة. فاللذة إذن هي الهدف الأسمى للحياة. والرجل الخير هو الذي يسعى إلى الحصول على أكبر قدر ممكن من اللذة ويتجنب ما أمكن الألم. والفضيلة إذن ليست خيرا في حد ذاتها بل هي خير باعتبارها وسيلة للحصول على اللذة. وهكذا يُقيم هؤلاء الفلاسفة مذهبا فلسفيا فريدا من نوعه أساسه قيمتان متضادتان هما: اللذة والألم. وليس لمفهوم الواجب كقيمة أخلاقية أي دخل في مذهبهم هذا، اللهم إلا إذا كان القيام بالواجب وسيلة للحصول على اللذة. فقد تكون مثلا طاعة القانون، كواجب وطني، وسيلة لتجنب العقاب الناتج عن خرق القانون.

وقد استفاد من هذا التوجه القوريني المتأخرون من الفلاسفة الأبيقوريين. ومن أهم رواد المدرسة القورينية، بالإضافة إلى الذين ذكرناهم، الفيلسوف هيجيسياس (Hegesias) (ق 4 ق.م) والفيلسوف أنيسيريس (Annicris) (ق 4 و 3 ق.م) والفيلسوف كاليماخوس (Callimachos) (315 ق.م - 240ق.م) والفيلسوف كارنياديس (Carneades) (214 ق.م - 129 ق.م) والفيلسوف أركيسيلاوس (Arkislaos) (316 ق.م - 241ق.م). ويُعتبر هذا الأخير مؤسس ما سُمّي بالأكاديمية الجديدة التي دافعت عن التوجه الإحتمالي والمذهب الشكاني في المعرفة. وعن أركيسيلياس تتملذ كارنياديس المذكور أعلاه.

المدرسة الثانية هي: المدرسة العلمية القورينية الممثِّلة لتوجه فكري مغاربي قديم اهتم على الخصوص بالرياضيات. ونقتصر هنا على رائدين اثنين من رواد المدرسة المغاربية القديمة هما: ثيودوروس (Theodorus) القوريني وإراطوستنيس (Erathostenes) القوريني أيضا. ازداد ثيودوروس بقورينا (465 ق.م - 398 ق.م) ثم رحل إلى أثينا وتتلمذ عن بروتاكوراس المذكور آنفا. وكان أيضا استاذا لأفلاطون في الرياضيات وكذلك استاذا لتياتيتوس (Theaetetus) الذي اتخذ أفلاطون اسمه كعنوان لإحدى محاوراته، تلك التي يتحدث فيها عن ثيودوروس. لقد كان أفلاطون يزور قورينا من حين لآخر قصد التذاكر مع ثيودوروس في مسائل رياضية. وكان هذا الأخير نفسه يزور أثينا من حين لآخر في الوقت الذي كان فيه سقراط حيا خلال القرن 5ق.م. ولكن، مع الأسف الشديد، لم يصلنا أي مكتوب لثيودوروس، بل كل ما نعرفه عنه هو ما قدمه أفلاطون في محاورة Theaetetus. أما أعماله الرياضية فقد تمثلت على الخصوص في تطويره لنظرية الأعداد الصماء (irrationnels)[35].

أما إراطوستينيس (Erathostenes (276 ق.م - 194 ق.م) فقد كان هو الآخر رياضيا مغاربيا شهيرا. ازداد بقورينا (شحّات بليبيا الحالية) عام 276 ق.م. تتلمذ على ليزانياس (Lysanias) القوريني وعلى الفيلسوف الرواقي أريسطون (Ariston) (ق 3 ق.م) الذي تتلمذ بدوره على زينون Zenon (335 ق.م - 264 ق.م) مؤسس المذهب الرواقي. وتَتَلْمَذَ أيضا إراطوستنيس على الشاعر كالماخوس Callimachos (315ق.م - 240 ق.م) الذي هو الآخر من مواليد قورينا. درس

(35) انظر هنا، الفصل التاسع.

إراطوستنيس دراسته الأولى بقورينا ثم انتقل، على عادة الطلبة المغاربيين القدامى، إلى عاصمة العلم القديم: أثينا. وبعد موت كالماخوس أصبح إراطوستنين المحافظ الثالث لخزانة الاسكندرية المشهورة، ابتداء من عام 240 ق.م. أي في عهد بطليموس الثالث. لقد كان هذا العالم متضلعا في كل علوم عصره وخاصة في الرياضيات. فهو أول من قاس قياسا دقيقا، بالنسبة لعصره، محيط الكرة الأرضية. ولقد كتب في هذا رسالة تحت عنوان: في قياس الأرض، لكنها ضاعت. غير أن محتواها العلمي وصلنا عن طريق مؤرخين وجغرافيين قدامى مثل سترابون (Strabon) (58 ق.م - 25م). قاس أيضا إراطوستينيس المسافة بين الأرض والشمس وبين الأرض والقمر. كما وضع يومية تأخذ بعين الإعتبار السنوات الكبيسة ووضع قائمة باسماء النجوم تحتوي على 675 نجما [36].

باختصار، نشطت الحركة الثقافية بجامعة قورينا بفضل العلماء والفلاسفة الآتية أسماؤهم:

- ثيودوروس (ق 5ق.م.) Theodorus
- أريستبوس (ق 5ق.م.) Aristippus
- هيجيسياس (ق 4ق.م.) Hegesias
- أنيسيريس (ق 4- 3 ق.م.) Anniceris
- كاليما خوس(ق 3ق.م.) Callimachos
- أريسطون (ق 3ق.م.) Ariston
- ليزانياس (ق 3ق.م.) Lysanias
- إراطوستنيس (ق 3ق.م.)Erathostenes
- أركيسيلاوس (ق 3ق.م.) Arkesilaos
- كارنياديس (ق 3-2 ق.م.) Carneades

(36) انظر هذا العمل، الفصل التاسع.

ب. جامعة قايصاريا :

يَعتبر بعض المؤرخين مدينة قايصاريا (شرشل بالجزائر الحالية) المدينة الوحيدة التي اهتمت، منذ القرن الأول قبل الميلاد، بدراسة الفنون والآداب على الطرق اليونانية[37] . وكانت هذه المدينة عاصمة لملكة يوبا الثاني الذي مارس، في نفس الوقت، الملك والفلسفة. وفي عهد هذا الملك الأمازيغي، كانت لغة المثقفين الأمازيغيين هي اليونانية. وفي إطار التبادل الثقافي بين مملكة يوبا الثاني واليونان استقدم هذا الملك فلاسفة وعلماء يونانيين. كما رحل علماء من شمال إفريقيا، مثل هاسدروبال القرطاجي، إلى أثينا وفتح فيها مدرسة فلسفية ليحل بعد مدة محل الفيلسوف كارنياديس (Karnéades) الذي كان هو الآخر فيلسوفا إفريقيا (ازداد بقورينا عام 215 ق م) ومن أهم ممثلي المدرسة الاحتمالانية. حل محله هاسدروبال في رئاسة ما سمي بالأكاديمية الجديدة التي أسسها ارسيسلياس Arcésilias في القرن 3.ق م [38] . ولم يكتف يوبا الثاني باستقدام الفلاسفة والعلماء فقط، بل استقدم أيضا الخطباء والنحويين (اساتذة التعليم العالي واساتذة التعليم الثانوي) ورجال المسرح وحتى الطباخين. ولقد شرفه اليونان آنئذ بنحت تمثال له ووضعه أمام الخزانة الرسمية لمدينة أثينا القديمة، ثم منحوه الجنسية اليونانية. والواقع أن يوبا الثاني حقق، لأول مرة في تاريخ السياسة، ما سمي بالمدينة الفاضلة التي طالما حلم بها أفلاطون، مدينة على عرشها فيلسوف، تساعده في تسيير شؤونها جماعة من الفلاسفة. فلا غرابة إذن أن يتلقى كل هذه التقديرات من طرف أعرق مركز حضاري قديم الذي هو أثينا.

---

(37) Cf. Monceaux, *Les Africains*.

(38) لننبه هنا إلى أن هسدروبال المذكور غيّر اسمه، كما يفعل بعض المغاربيين بأوروبا اليوم، لما انتقل إلى اليونان وأصبح يسمى كليطوماخوس .(Clitomachos)

مارس يوبا الثاني الكتابة باليونانية، رغم كونه تربّى بروما. ألف بالخصوص في ميادين الفنون الجميلة والنقد والتاريخ والفلسفة[39]. وكان يملك بقصره متحفا وخزانة هامين. وبفضل اهتمامه بالفلسفة والعلوم والفنون أصبحت جامعة قايصاريا تضاهي جامعة الإسكندرية بمصر. فحج إليها شباب كثيرون من كل أنحاء شمال إفريقيا القديم لحضور محاضرات الأساتذة اليونان المستقدمين.

لننبه هنا إلى أن يوبا الثاني لم يكن المغاربي الوحيد الذي ألف باليونانية. بل ألف بها أيضا الفيلسوف المغاربي كورنوتوس اللبتي (Cornutus de Leptis) (القرن 1م) والريطوريقي المغاربي فرونطو (Fronto) (القرن 2م) والفيلسوف المعروف أبوليوس المداوري (القرن 2م). لقد عاش هذا الأخير بأثينا وكتب باللغتين اليونانية واللاتينية، بل وترجم من اليونانية إلى اللاتينية كتبا في المنطق وفي الفلسفة كما سنرى فيما بعد. وألف أيضا باليونانية كل من تيرتوليانوس (Tertulianus) (القرن 2م) ولكتانتيوس (Lactantius) (القرن 3م) وغيرهما.

لكن الرومان، في إطار حملتهم الإستعمارية على شمال إفريقيا، قضوا على مدينة قايصاريا وقتلوا ابن الملك يوبا الثاني المدعو بطلميوس (Ptolémée). وبذلك وضعوا حدا للتأثير اليوناني على البلدان المغاربية وذلك في عهد الامبراطور الروماني كاليكولا Caligula (37-41م). ومنذ ذلك الحين بدأت اللغة اللاتينية تحل محل اللغة اليونانية في كل المجالات الثقافية. ومنذ منتصف القرن الأول الميلادي، بدأ شمال

(39) Cf. Strabon, XVII, p. 828; Tacite, *Annal.*, IV, 5; Pline, *Hist. nat.*, V, 16 ; Quintilien, VI, 3, 90 ; Plutarque, *Serton.*,9, Gsell, *Hist. Ancienne de l'Af. du Nord*, T. VIII, pp. 251-276.

إفريقيا القديم، رغم الحروب والاضطرابات السياسية، يصنع لنفسه مكانا في عالم الفكر. فرغم استيلاء الرومان على قيصاريا بقيت هذه المدينة مشعلا للفكر المغاربي القديم خاصة بجهة ماوريتانيا (المغرب الأقصى الحالي). أما في نوميديا (بالجزائر الحالية) فقد نشأت مراكز ثقافية أخرى خاصة في المدن التالية: Cirta وThêveste وHippone و ThagasteوMadaura و Sicca. وفي بيزانسيا (جنوب تونس الحالية) كانت الثقافة متمركزة في مدينة حضروميت (Hadrumède) (سوس الحالية). وفي ليبيا القديمة كانت مدينتا أويا (Oea) و ليبتيس (Leptis) اشهر المراكز الثقافية.

جـ . جامعة قرطاج :

كانت مدينة قرطاج[40](Carthage) ، سواء في العهد الفينيقي أو في العهد الروماني، عاصمة شمال إفريقيا القديم بدون منازع. وجعلها قربها من الشرق ومن إيطاليا واحتواؤها على خزانات قديمة مهمة، العاصمة الثقافية لشمال إفريقيا القديم. اجتمعت فيها أصناف بشرية كثيرة من يونان ورومان وفينيقيين وأمازيغيين وغيرهم. كما اجتمعت بها كل الديانات المعروفة في العالم القديم وكان أهلها يتحدثون أغلب اللغات القديمة وخاصة الأمازيغية والبونية واليونانية والرومانية.

وابتداء من عام 14 ق.م، أصبحت قرطاج، بعد إعادة بنائها، العاصمة الثقافية لشمال إفريقيا المُرَوْمن. ونشأت وتطورت بها جامعة أصبحت تنافس جامعتي الاسكندرية وروما. قصدها طلبة كثيرون من كل نواحي شمال إفريقيا. فيها درس الفيلسوف أبوليوس المااداوري

(40) ينبغي أن نميز بين مدينة قرطاج Carthage الموجودة بشمال إفريقيا القديم عن مدينة قرطاجن Carthagène الموجودة بإسبانيا القديمة.

(Apulée de Madaure) و الشاعر نيميسيانوس (Nemesianus) و تيرتوليانوس (Tertulianus) و لاكتانتيوس (Lactantius) والقديس أوغسطينوس(Augustinus)، ورجال دولة وأباطرة أفارقة كثيرون.

ما هي العلوم التي كانت تدرس بمدارس وجامعة قرطاج؟

درس المغاربيون بجامعة قرطاج القديمة كل الفنون الثقافية المعروفة آنئذ: مثل الهندسة المعمارية والنحت والرسم وصناعة الخزف والمسرح. درسوا بها أيضا كل الفنون الأدبية مثل الشعر والخطابة والنحو والفلسفة والقانون والدين. ودرسوا كذلك العلوم الطبيعية والصورية مثل المنطق والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والتاريخ الطبيعي وغيرها.

ما هي لغات التدريس بجامعة قرطاج القديمة؟

كانت هي اللاتينية واليونانية. ويقال إن أبوليوس المداوري، لما كان أستاذا بتلك الجامعة، كان يبدأ محاضرته بإحدى اللغتين المذكورتين وينهيها بالأخرى[41] . كما كان أغلب طلبة قرطاج يزورون روما أو أثينا أو هما معا قصد إتمام دراستهم. ولقد دشن الإمبراطور سيفيروس (ق 2 م)، ذو الأصل المغاربي، عادة حميدة تتمثل في تخويل الطلبة المغاربيين القدامى منحة دراسية لإتمام دراستهم بالمراكز العلمية المعروفة بالعالم القديم. وكانت جامعة قرطاج تستقطب على الخصوص الطلبة الذين يرغبون في صقل مواهبهم في الريطوريقا وعلم العروض والنحو والطب.

---

(41) Cf. Monceaux, *Les Africains*, pp. 62-63.

د. مراكز ثقافية مغاربية أخرى:

بالإضافة إلى المراكز الجامعية المغاربية التي ذكرناها، هناك مراكز ثقافية مغاربية أخرى أقل أهمية من الأولى، لكنها لعبت دورا أساسيا في تكوين شباب شمال إفريقيا القديم على مستوى التعليم الابتدائي والثانوي. ومن أهم هذه المراكز نكتفي بذكر التالية:

1. تيبيسا Theveste، Tébessa

وهي مدينة مغاربية قديمة تقع بالشمال الشرقي للجزائر الحالية، على بعد 235 كلم جنوب عنَّابة الحالية، وعلى بعد 19كلم غرب الحدود التونسية الجزائرية الحالية. كانت هذه المدينة مخفرا أماميا لقرطاج في القرن 7 ق.م. وقلعة رومانية ابتداء من 146 ق.م. ثم خفتت أهميتها مع دخول الوندال خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وأخيرا اختفت نهائيا من خريطة شمال إفريقيا مع مجيئ العرب خلال القرن 7 م. كانت بها مدارس مشهورة على عهد الرومان.

2. كيرتا : kirta ، Cirta

من المعتقد أن الفينيقيين هم الذين أسسوا هذه المدينة. لكن، من المحتمل أن تكون لها أصول ما قبل تاريخية. غير أن أهميتها كمدينة نوميدية لم تظهر إلا ابتداء من ق3 ق.م.، لما كانت عاصمة للملوك الأمازيغ الماسيليين. ووصلت قمة شهرتها في عهد الملك ميكيبسا (Micipsa) خلال القرن 2 ق.م. وعندئذ كانت قادرة على توفير عشرة آلاف فارس وعشرين ألفا من المشاة. وفي سنة 313ق.م. أخذت كيرتا اسم قسطنطينة (Constantine). ولم تسقط بعدها تحت أي احتلال حتى مجيئ العرب خلال القرن 7م.

3. هيبوريكيوس : Hippo Regius

هي مدينة نوميدية قديمة تقع بولاية قسطنطينة الحالية، استوطنها في البداية فينيقيون من أصل صوري (نسبة إلى مدينة صور). وكان يسكنها ملوك نوميديون. ثم أصبحت مستوطنة رومانية وازدهرت حتى عام 430 م حيث اجتاحها الوندال. ثم أعاد بناءها العرب في القرن 7م. ولما جاء الفرنسيون أطلقوا عليها اسم بون (Bone). فيها مارس القديس أوغسطينوس نشاطه الديني كأسقف وكأستاذ، وفيها تم عقد ثلاثة مؤتمرات (393، 395، 426) ونشطت بها دراسة الفنون السبعة (مستوى ثانوي).

4. تاكاست : Tagaste ، Thagaste

هي مدينة نوميدية قديمة. لكننا لا نعرف الكثير عن تاريخها. اشتهرت بكونها مسقط رأس القديس أوغسطينوس. كما نعرف لنفس المدينة ثلاثة أساقفه وهم القديس فيرموس (نهاية ق 3 م) والقديس أليبيوس (ق 4 م) والقديس يانواريوس (ق5 م). تسمى الآن تاكاست بسوق أهراس بالجزائر الحالية. ومن المعروف أن أوغسطينوس درس ودرّس بها.

5. سيكا فنيريا : Sicca veneria

هي مدينة نوميدية قديمة، تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وهيبو. أخذت اسمها من معبد مشهور لإلهة الحب والجمال فينوس (Venus) المعروفة. درس بها أرنوبيوس الريطوريقي في عهد الإمبراطور ديوقليتيانوس. ونعرف لها على الأقل ستة أساقفة. وهي الآن تنتمي إلى التراب الوطني التونسي.

6. ماداورا : Madaura

هي أيضا مدينة نوميدية قديمة. كانت تنتمي إلى مملكة سوفاكسر (ق3ق.م.). ثم ألحقها الرومان بمملكة ماسينسا (ق3 - 2ق.م.) مع نهاية الحرب البوينية الثانية (218 - 201ق.م.). وبعدها أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول. كانت مشهورة بمدارسها وعلمائها وأساقفتها. فهي مسقط رأس الفيلسوف النوميدي المشهور أبوليوس المداوري، ومسقط رأس علماء كبار آخرين مثل النحويين ماكسيموس (Maximus) ونونيوس (Nonius). أضف إلى ذلك أن القديس أوغسطينوس درس بها لما كان أغلب سكان المدينة وثنيين. كما تلاحق على المدينة أساقفة كثيرون ارتقى بعضهم حتى وصل إلى مجلس قرطاج وشارك آخرون في مؤتمر 411م المعروف. يمكن الآن رؤية أطلال ماداورا قرب مدينة مداورش بالجزائر الحالية.

7. حضرروميتوم : Hadrumète،Hadrumitum

هي مدينة شمال إفريقية قديمة أسسها الفينيقيون. تقع على بعد 160 كلم جنوب قرطاج. وكانت واحدة من أهم المدن التي شكلت التراب القرطاجي. التحقت بروما منذ نهاية الحرب البوينية الثالثة (149 ق.م - 146ق.م.) ثم حصلت على لقب مستوطنة تحت حكم الإمبراطور تراجان (98 - 117م). وابتداء من 533م، أصبحت حضروميتوم تسمى جوستنيانو بوليس (Justinianopolis). ثم أخذت اسم سوسة في عهد الأغالبة خلال القرن التاسع الميلادي. كانت حضروميت مركزا ثقافيا مشهورا يقصده طلبة العلم من جهة بيزانسيا (Byzacène).

8. أويا : Oea

هي المدينة التي تحمل اليوم اسم طرابلس الغرب، عاصمة ليبيا الحالية. كانت أويا واحدة من المدن الثلاث (إلى جانب سبراتا ولبتس ماكنا) التي شكلت ما عرف بـ: تريبوليتانيا القديمة (Tripolis ،Tripolitania). ومن المعتقد أن الفينيقيين هم الذين أسسوها. لكن الرومان حكموها من 146ق.م حتى 450م. ثم بعد ذلك دخلت تحت سيطرة الوندال (ق5م) وبعدها تحت سيطرة البيزنطيين (ق6م)، إلى أن دخلها العرب عام 645م. ولا تزال المدينة قائمة حتى الآن رغم توالي أشكال مختلفة من موجات الإستعمار عليها. كانت المدينة مركزا ثقافيا هاما حيث كانت ملتقى طلبة تريبو ليتانيا بشكل عام. وبها دَرّسَ الفيلسوف أبوليوس المداوري لمدة ثلاثة سنوات لما كان في طريقه إلى الإسكندرية.

9. سبراتا : Sabrata ،Sebratha

من بين أهم مدن تريبوليتانيا القديمة. تقع أطلالها قرب مدينة سبراتا الحالية. ومن المُعْتَقد أن الفينيقيين هم الذين أسسوها كمحطة تجارية وذلك خلال القرن 4 ق.م. وبعد سقوط قرطاج عام 146 ق.م. تمتعت سبراتا بفترة قليلة من الإستقلال قبل أن تدخل تحت سلطة الرومان. وعندئذ تمتعت المدينة بازدهار حضاري عام. ثم بدأت مكانتها تتقلص شيئا فشيئا مباشرة بعد غزو الوندال لشمال إفريقيا وذلك خلال القرن 5م. وبعد دخول العرب إليها عام 643م اختفت المدينة من خريطة شمال إفريقيا.

10. لبتس ماكنا : Leptis Magna

من المعتقد أن الفينيقيين هم الذين أسسوا هذه المدينة خلال القرن 6 ق.م. وأصبحت بعد ذلك مركزا تجاريا هاما ومحطة للتجار الذين ينتقلون بين البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا السوداء. ولما دخلت تحت سلطة الرومان، ازدهرت الفلاحة بنواحيها. وبعد انتهاء الحرب البوينية الثالثة (146ق.م) تم إلحاق المدينة بمملكة نوميديا. لكن، خلال انتفاضة الملك الأمازيغي يوكرتن (118 - 105م)، اختار سكان المدينة التحالف مع روما. وكمقابل، حصلت المدينة على شبه استقلال ذاتي وذلك عام 111 ق.م. ثم أصبحت مستوطنة رومانية عام 96 ق.م. واكتسبت بعدها أهمية لا يستهان بها. ثم أضيف إلى اسمها النعت "ماكنا" (Magna) تمييزا لها عن مدينة أخرى تحمل نفس الإسم، لكنها أقل أهمية، توجد بتونس الحالية تحت إسم ليمتا (Lemta). وفي القرن الثاني الميلادي، اكتسبت المدينة مزيدا من الشهرة بعد أن أصبح أحد أبنائها على رأس الإمبراطورية الرومانية عام 193م. واستمر ازدهارها أيام الإمبراطورسبتموس سفروس (193م - 211م) إلى أن ضربها زلزال عنيف عام 365م. وبعد ذلك اجتاحها الوندال عام 435م، ثم العرب عام 643م. ولم تعد المدينة الآن تمثل أي شيء باستثناء كونها أطلالا تحمل اسم ليبدا (Lebda) على بعد 100 كلم من طرابلس غربا. كانت لبتس مركزا ثقافيا هاما يقصده طلبة العلم من جميع أنحاء تريبو ليتانيا القديمة، إلى جانب مدينتي سبراتا وأويا. وقد زاد من أهميتها كونها واقعة على الطريق الرسمي بين قرطاج والإسكندرية، وهو طريق كثيرا ما يستعمله الطلبة والعلماء للتنقل بين مراكز العلم بشمال إفريقيا القديم، خاصة بين الإسكندرية وقورينا وقرطاج وكايصاريا.

العصور الأدبية بالفكر المغاربي القديم:

نعتمد في هذه الفقرة على الدراسة الهامة التي قام بها الفرنسي بول مونصو في نهاية القرن التاسع عشر للحركة الأدبية بشمال إفريقيا القديم. وبناء على هذه الدراسة يمكن تقسيم العصور الأدبية بالفكر المغاربي القديم إلى سبعة أساسية، وهي :

أ. العصر البُوَنِي:

وامتد من القرن 6 ق.م حتى القرن 2م. وهو عصر قرطاج المستقلة. ومن المؤكد تاريخيا أن خزانات هذه المدينة الجامعية كانت تحتوي، قبل دخول الرومان إليها وتخريبها، على مؤلفات مكتوبة باللغة البُوينية. وبما أن الرومان لم يكونوا يقرأون هذه اللغة، فإنهم لم يهتموا بقيمة الكتب العلمية التي وجدوها بخزانات قرطاج. كل ما فعلوه هو أنهم تبرعوا بجزء منها على الأمراء الأمازيغيين النوميديين، باعتبارهم يقرأون البوينية، وخاصة ميكيپسا[42](Micipsa) . واحتفظ النوميديون بهذه الكتب، وكانوا دائما يقرأونها، حتى نهاية الاستعمار الروماني[43]. لقد قرأها، على سبيل المثال الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس المداوري والقديس الأمازيغي أوغسطينوس والملك الأمازيغي النوميدي يوبا الثاني. واستفاد منها أيضا مثقفون رومان مثل المؤرخ سالوست (Salluste) وبعض المؤرخين والجغرافيين اليونان أثناء وجودهم

---

(42) Cf. Pline, *Hist. Nat.*, XVIII, 22.

(43) Monceaux, *Les Africains*, p. 124.

بشمال إفريقيا القديم. أما في ما يخص محتويات هذه الكتب، فمن الصعب جدا تكوين فكرة واضحة حولها، لأنها ضاعت إما بفعل الزمن أو بفعل الحملات الاستعمارية التخريبية التي توالت على شمال إفريقيا القديم. ولكن من حسن حظنا أن بعض كتب التاريخ أوردت بعض المعلومات عن بعض المؤلفات البونية المعروفة في هذا العصر. نذكر من بين هذه المؤلفات، على سبيل المثال:

- ***كتاب البحارة حانون*** *(Hannon)* الذي ظهر في القرن 5 ق.م تحت عنوان : رحلة حانون. وفيه يصف المؤلف رحلته عبر شواطئ المحيط الأطلسي حتى السودان. ولقد تُرجم هذا الكتاب إلى اليونانية. ومن حسن حظ المؤرخين أن هذه الترجمة وصلتنا، بينما ضاع الأصل[44].
- ***كتاب هاملكون*** *(Hamilcon)* وهو أيضا كتاب في الرحلات، رجع إليه يوبا الثاني لما كان يكتب مؤلفاته في تاريخ المغرب القديم. ولكن، مع الأسف، ضاع المصدر وضاعت أيضا كتب يوبا.
- ***مؤلفات هيمبسال*** *(Hiempsal)* في التاريخ. وعنها نقل المؤرخ الروماني سالوست خاصة ما قاله عن سكان شمال إفريقيا القديم.
- ***كتاب ماكون*** *(Magon)* في الفلاحة والإقتصاد القروي. وهو مؤلف من 28 جزءا ترجمت كلها إلى اللاتينية[45] .

---

(44) Monceaux, *Ibid.*

(45) Cf. Cicero, *De Orat.*, I, 58; Pline, *Hist. Nat.*, XVII, 63, 80, 93, 128,...

ب. العصر الإغريقي:

امتد هو الآخر من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي. ولقد بينا في الفقرات السابقة أن المغاربة ربطوا علاقات مع اليونان منذ دخول هؤلاء إلى قورينا بليبيا الحالية. ولم يقتصر تبادل العلاقات بين الشعبين على منطقة قورينا فقط بل تعداه إلى مدن أخرى مثل قايصاريا بالمغرب الأقصى وقرطاج بالمغرب الأوسط. ولما سقطت هذه الأخيرة في يد الرومان سنة 146 ق.م. توجه مثقفو شمال إفريقيا القديم إلى الشرق الإغريقي وإلى أثينا. وفيهما تعلموا العلوم والفلسفة واللغة اليونانية. نذكر من بين هؤلاء المغاربة المستشرقين هاسدروبال القرطاجي (القرن 2 ق.م.) وهو فيلسوف مغاربي قديم رحل إلى أثينا وحضر مجامع الفلاسفة هناك وخاصة مجمع كارنياديس (Carnêadês). ثم أصبح أستاذا مستقلا للفلسفة بمدينة أثينا. وأخيرا تقلد مسؤولية إدارة ما سمي بالأكاديمية الجديدة. وحسب ما أورده ديوجين (Diogène)، أحد مؤرخي الفلسفة القدامى، ألف هاسدروبال اربعمائة كتاب كلها باللغة اليونانية[46]. ولقد أصبح بعد ذلك الرحيل إلى أثينا، لاستكمال الدراسة، تقليدا علميا تبناه أغلب الطلبة المتخرجين من الجامعات المغاربية القديمة. وفي القرن الأول قبل الميلاد استقدم الملك يوبا الثاني، كما قلنا، مثقفين يونان من شتى التخصصات لدعم الحركة الثقافية ببلاده. وبذلك ازدهرت الكتابة باليونانية في كل ميادين المعرفة. وكان الملك يوبا الثاني في مقدمة هؤلاء الكتاب الأمازيغيين الإغريقفونيين. فألف في الجغرافيا والتاريخ والنحو والمسرح. ويمكن اعتباره أول ناقد ومؤرخ للمسرح في الفكر المغاربي على الإطلاق.

---

(46) Diogène L., *Vies*, IV, 67; Cicero, *Acad.*, II, 31-32.

ألف أيضا يوبا في الفن التشكيلي وتاريخ روما القديمة وتاريخ شبه الجزيرة العربية وتاريخ شمال إفريقيا القديم. ولقد نقل عنه كثير من المؤرخين اللاتين واليونان القدامى. ويعتبره مونصو الممثل الحقيقي لعصر الأدب المغاربي الإغريقفوني[47] . ألف أيضا باليونانية مغاربيون آخرون مثل كورنوتوس اللبتي (Cornutus de Leptis) (ق 1م) وفرونطو (Fronto)(ق 2 م) وتيرتوليانوس (Tertulianus) (ق 2 م) والامبراطور المغاربي الإكسندر سيفيروس (A.Severus) (ق.3م). ولكن، منذ أواسط القرن الأول الميلادي بدأت اللغة اللاتينية تحل محل اللغة اليونانية بشمال إفريقيا القديم. ومنذ ذلك الحين بدأت الكتابة باليونانية تتقلص.

جـ . العصر اللاتيني: مرحلة الأصول:

استغرقت هذه الفترة كل القرن الأول الميلادي. وإذا نظرنا إلى ما كتبه المغاربة القدامى في مجمله، فسوف نجد أغلبه مكتوبا باللغة اللاتينية. ولكن هذه الأخيرة، بحكم كونها لم تكن لغة علم في البداية، بمقارنتها مع اللغة اليونانية، لم تكن تجذب الكثير من المغاربيين القدامى. ورغم استيلاء الرومان على شمال إفريقيا منذ القرن الثاني قبل الميلاد، فإن الكتابة باللاتينية لم تبدأ إلا بعد ذلك بقرنين ونصف. ومن أهم ممثلي فترة البداية هذه الكاتب المغاربي تيرنتيوس (Terentius)[48] والعالم الفلكي مانيليوس (Manilius) .

(47) Cf. Monceaux, *Les Africains.*

(48) Cf. Saetone, *Vita Terent.*, p. 1 et 5.

د. عصر الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس المداوري (القرن 2م):

هو عصر ازدهرت فيه الكتابة باللاتينية بين المغاربيين القدامى وبدأت البوينية واليونانية تنسحبان من الساحة الثقافية المغاربية شيئا فشيئا. وفي هذا العصر ظهر في تاريخ المغرب صنف أدبي جديد هو الأدب المغاربي اللاتينوفوني الذي يتميز تمام التميز عن الأدب الروماني. ومن أشهر كتاب هذه الفترة: يوليانوس الحضرمُوتي (Salvinus Julianus d'Hadrumède) وهو أكبر رجال القانون في عصره . ومنهم أيضا النحوي أبولينير القرطاجي (Apollinaise de carthage) والريطوريقي فرونطو الكيرتي (Fronton de cirta) و العالم الموسوعي ابوليوس المداوري(Apulée de Madaure) صاحب قصة *الجحش الذهبي*، والفيلسوف تيرتوليانوس القرطاجي (Tertulien de carthage) وغيرهم[50] .

هـ . عصر الأباطرة الأفارقة:

من المعروف أن هناك مغاربيين قدامى حكموا روما ومستعمراتها بصفتهم أباطرة. ويمكن حصر هؤلاء الأباطرة في عائلتين أساسيتين: السيفيريون (Les sevères) والغورديون (Les Gordiens) وكلهم رجال أدب. ومن بين أشهر الكتاب المغاربيين لهذه الفترة:

- في *الشعر*: Némésien و Reposionus و Sammonicus
- في *النحو*: Porphyrion و Nonius Marcellus
- في *العروض*: Tertius le Maure
- في *ميادين مختلفة*: Minucius Felix و St cyprien de cathage و Arnobe و Lactance و Jules l'Africain و Commodien وغيرهم.

---

(49) Cf. Monceaux, *Les Africains*, p. 128.

(50) انظر لائحة المثقفين المغاربيين القدامى في آخر الفصل الأول من هذا الكتاب.

و. عصر القديس الأمازيغي أوغسطينوس:

ازدهرت حركة التأليف في نهاية القرن 4 م وبداية القرن 5 م، وخاصة في الدين وفلسفة الدين، وذلك بسبب قيام جدل حاد بين المثقفين المغاربيين المحافظين (أي الذين اعتنقوا المسيحية الرسمية) من جهة، والمثقفين المغاربيين الثوريين (أي الذين انشقوا عن الكنيسة الرسمية) من جهة ثانية. مثّل التوجه الأول القديس أوغسطينوس، ومثّل التوجه الثاني الضوناتيون بشكل عام وخاصة زعيمهم ضونا الكبير. ومن بين ممثلي هذه الفترة الأدبية، بالإضافة إلى الذين ذكرناهم [51] :

- *الريطوريقي فيكتورينوس* *Victorinus*
- *والمؤرخ أوغليوس فيكتور* *Aurelius Victor*
- *والنحوي كاريسيوس* *Charisius*
- *وشارح فيرجيل* *Servius le Maure*
- *وماكروب* *Macrobe*
- *ومارتيانوس كابيلا* *Martianus Capella*
- *والقديس أوغسطينوس* *St Augustin*[52]

ز. العصر الوندالي:

بدخول الوندال إلى شمال إفريقيا سنة 429 م، بدأت الحضارة الرومانية في الإنهيار. وعندئذ قلت الكتابة. ولهذا لم يظهر بهذه الفترة إلا مؤلفون قليلون ودون أصالة. من بينهم:

---

(51) انظر هذا العمل، الفقرة الخاصة بالدين بشمال إفريقيا القديم.

(52) Cf. Monceaux, *Les Africains*, p. 129.

- الطبيب كاسيوس فيلكس Casius Felix
- والطبيب كايليوس أوغليوس Cailius Aurelius
- والأديب بومبيوي الماوري Pompée le Maure
- والنحوي فولكنس Fulgence
- وكاتب الحوليات فيكتور الفيتي Victor de Vita
- والشاعر لوكسريوس Luxorius
- والشاعر دركونتيوس Darcontius

ط.العصر البيزنطي:

شهد هذا العصر (القرن 6 م) اضطرابات كثيرة. وكان فيه التخريب أكثر من البناء. لهذا فَتُرَت فيه حركة الكتابة. ولكن، رغم ذلك، ظهرت بهذا العصر أسماء لامعة مثل :

- برسيان القيصري: Priscien de Caesaria
- يوليانوس : Junilius
- فيكتور التونسي: Victor de Tunis
- كوريبوس : Corippus

وهؤلاء الكتاب هم آخر من ألف باللاتينية من المثقفين المغاربيين قبل دخول العرب إلى شمال إفريقيا[53] .

---

(53) دخل العرب إلى قورينا (ليبيا الحالية) عام 642 م، ودخلو إلى بيزنسيا (جنوب تونس الحالية) عام 665 م، ودخلو إلى قرطاج عام 695م.

شخصية المثقف الشمال إفريقي القديم:

الطريقة الوحيدة التي تسمح لنا باكتشاف مميزات شخصية المثقف المغاربي القديم هي دراسة إنتاجه العلمي والأدبي بالإضافة إلى تتبع سلوكه في حياته اليومية وفي علاقاته المجتمعية. وهذا ما فعله المؤرخ الفرنسي مونصو الذي اعتمدنا عليه في التعرف على شخصية المثقف المغاربي القديم. وفي ما يلي أهم مميزات هذه الشخصية كما يراها مونصو:

أ. بشكل عام، تأثر المثقف المغاربي القديم من حيث الأفكار باليونان، وخاصة بالأفكار الهلينستية، كما كانت متداولة بمصر وسوريا القديمتين. وهكذا نجده معجبا بالأفلاطونية الجديدة وبالتصوف الديني والفلسفي. أما من حيث الأسلوب ، فقد تأثر المثقف المغاربي القديم بأسلوب المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) وهو أسلوب ثاقب وسريع ومباشر يختلف عن أسلوب الأديب الروماني المعروف كيكيرو(Cicero) الثقيل والكثير التقنية. فالمغاربة القدماء إذن يونانيون من حيث أفكارهم ورومانيون من حيث أسلوبهم.

ب. ولَعُ المغاربةِ القدامى بالأفلاطونية الحديثة أدّى بهم إلى حب التصوف. فهذا الأخير من المكونات الأساسية للحياة الثقافية بشمال إفريقيا القديم. ومن المسائل التي ارتبطت به حب العمل في إطار الجماعات الدينية، أي الزوايا، وحب الديانات الغريبة، أو على الأقل التأويلات المتطرفة لنفس الدين. لقد أخذ المثقف المغاربي بجد كل نزوات الأفلاطونية الجديدة والسحر والتنجيم. وبعد اعتناقه للمسيحية أخذ بجد أكثر مبادئها وتهافت على أكثر مبادئها غموضا. وقد تُقال هذه الخاصيات على المثقف المغاربي القروسطوي في علاقته مع الحضارة الاسلامية أو على المثقف المغاربي الحديث والمعاصر في علاقته مع الحضارة الغربية الحديثة. ولكن هذا أمر لا يدخل في إطار بحثنا الآن.

جـ . من الخصائص التي تقال على المثقف المغاربي أيضا كونه ذا فكر خصب وذا مخيلة حادة. وهناك من يعمم هذه الخاصية لتصبح خاصية للذهنية المغاربية بشكل عام. فهذه الأخيرة، يقول مونصو، تفضل الصورة على الفكرة وتستجيب للألوان أكثر مما تستجيب للأشكال. وتتلاءم مع الشعر أكثر مما تتلاءم مع الخطاب البرهاني. وهذا هو السبب الذي جعل المغاربيين القدامى يُتقنون الريطوريقا أكثر من إتقانهم للمنطق الصوري. ويلح مونصو هنا على أهمية الريطوريقا في الحياة اليومية والأدبية للمغاربيين. بل يعتقد أن الريطوريقا هي الأسلوب الأدبي الأكثر ملاءمة للشخصية المغاربية. وحب المغاربي للريطوريقا راجع، في نظر مونصو، إلى حبه للضجيج والأجواء الجماهيرية. ويكفي الرجوع هنا إلى شخصيتي أبوليوس المداوري والقديس أوغسطينوس للتأكد من سلامة هذه الأحكام.

د . باعتبار المثقف المغاربي ميّالا إلى الخيال، فإنه غالبا ما يخلط بين الواقعي والخرافي. وكثيرا ما يخطئ الإحساس بالمقادير، وبالتالي لا تستهويه الحالات التي تقتضي النظام أو التي تقتضي القياس[54] .

هـ . بشكل عام، يُشَبِّه مونصو المثقف المغاربي بالإله الروماني يانوس[55] (Janus) ذي الوجهين: فمن جهة، هناك المظهر الخارجي الصافي والمُعبر عن نوع من العقلانية والتماسك المعرفي على الطريقة الغربية، ومن جهة أخرى هناك الهيئة المُتقلبة والحالمة على الطريقة الشرقية[56] .

سوف نرى في الفصول القادمة أن هذه الأحكام التي يُطلقها مونصو في حق المثقف المغاربي القديم لا تصمد للنقد رغم مافيها من بعض الصحة. سوف نرى أن المغاربيين القدامى مارسوا التفكير البرهاني في أكثر من مجال، خاصة في الرياضيات وفي المنطق الصوري وفي الجغرافيا الرياضية وغيرها.

---

(54) Monceaux, *Les Africains*, pp. 90-92.

(55) الإلاه يانوس هو إلاه روماني ذو وجهين، وذو أصل وطبيعة غامضين.

(56) Rioux G. (1952) *Hesperis*, pp.266 sqq. A comparer avec Lévy-Bruhl (1925), *La Mentalité Primitive*.

حول الذهنية الأمازيغية انظر . Monceaux, *Ibid.*

قائمة بأشهر المثقفين المغاربيين القدامى:

1. حانون (ق 5 ق.م.) Hannon

رحالة قرطاجي قاد رحلة استكشافية إلى السواحل الغربية من إفريقيا. يُقَال عنه إنه مؤسس مدينة القنيطرة الحالية (Thymiaterionقديما). ثم أسس بعدها على السواحل المغربية خمس مدن أُخرى من بينها الصويرة الحالية karikon (Teichosقديما) وأكادير (Acra قديما). كتب تقريرا حول رحلته هذه ضاع أصله البوني. ولكن، عثر على نسخة يونانية منه بمعبد الإله بعل.

2 . أريستيبوس القوريني (ق 5-4 ق.م) Aristippe de Cyrène

هو فيلسوف شمال إفريقي قديم. ازداد بقورينا حوالي 435ق.م. كان تلميذاً لسقراط ومؤسس المدرسة الفلسفية القورينية المعروفة. تبنّى أريستيبوس القول بأن إحساساتنا لا تمدنا إلا بانطباعات (لذة، ألم، ...) وليست يقينية. معنى هذا أن معرفة الأشياء في ذاتها غير ممكنة. وبالتالي فإن المعرفة نسبية. وتبنّى أيضا أريستيبوس القول بأن أساس حياة الإنسان هو البحث عن اللذة. ولكن على الإنسان أن يعرف كيف يحصل على اللذات التي لا تضر. أما مؤلفاته فلم يصلنا منها شيء. توفي بأثينا عام 356 ق.م[57] .

3. أريتي القورينية (بداية 5-نهاية 4ق.م) Arété de Cyrène

أول فيلسوفة في تاريخ شمال إفريقيا حسب المعلومات التي نملكها. هي ابنة الفيلسوف القوريني أريستيبوس صاحب المدرسة الشكانية. "أريتي" كلمة يونانية تعني "معرفة الخير" أو "الفضيلة". واتخذت هذه

(57) Cf. *Encyclopédie Philosophique Universelle*, oeuvres, vol. I, p. 40.

المرأة لنفسها مذهبا نفس المبادئ الفلسفية التي سطرها أبوها: أي الشك في ميدان المعرفة والبحث عن اللذة في ميدان الأخلاق.

4. أنيكيريس القوريني (ق 4ق.م) Anniceris de Cyrène

شخصية لا نعرف عنها الكثير. كل ما نعرفه عنه هو أنه فيلسوف عاصر أفلاطون، حسب ما ذكره ديوجين[58] .

5. ثيودور القوريني (ق 4-3 ق.م) Théodore de Cyrène

هو فيلسوف ورياضي شمال إفريقي قديم. ازداد بقورينا (بليبيا الحالية) حوالي 465 ق.م. كان تلميذا للشكاني اليوناني المعروف بروتاغوراس وأستاذا لأفلاطون وثياثيتوس في الرياضيات، وأحد شخصيات التالوث الأفلاطوني: *Théétète، Sophiste ،Politique* .

ولما كان أفلاطون يتنقل من وإلى مصر كان يزور قورينا ليعرض بعض المشاكل في الرياضيات على ثيودورس. وكان هذا الأخير كذلك يزور أثينا من وقت لآخر لما كان سقراط على قيد الحياة. أما من الناحية العلمية فيُعتبر ثيودورس واحدا من الفلاسفة الذين ساندوا توجهات المدرسة القورينية المعروفة. و في ميدان الرياضيات، ساهم ثيودورس في تطوير فكرة الأعداد الصماء.

6. هيجيسياس القوريني (ق 4- 3ق.م.) Hegesias de Cyrène

هو فيلسوف شمال إفريقي قديم ينتمي إلى المدرسة القورينية. وهو الذي قاد هذه المدرسة إلى أقصى حدودها التشاؤمية. ومن المعتقد أنه كتب كتابا تحت عنوان: <u>الذي يترك نفسه يموت جوعا</u> . وفيه يسرد متاعب الحياة بشكل عام. وقد أدّى ظهور كتابه هذا إلى نشوء حملة

(58) Diogène L., *Vies*, III, 20; *Dictionnaire des Philosophes Anciens*, N°186, pp. 206-207, éd CNRS, 1989.

للانتحارات بفعل قوة الحجج التي قدمها، الشيء الذي جعل الملك بطليموس يمنعه من ممارسة التدريس. وفي هذا الكتاب لم يخرج هيجيسياس عن مبادئ المدرسة القورينية الأخلاقية: فهو يعتقد أن الهدف الأسمى للحياة هو البحث عن اللذة وتحقيقها. ولكن الإنسان بطبعه لا يستطيع تحقيق اللذة المطلقة. لهذا، ولكي يكون الإنسان متماسكا مع نفسه، عليه أن يُقْدِم على الإنتحار باعتبار هذا الأخير هو النهاية الطبيعية والمنطقية لحياة الإنسان.

7 . *أنيكيريس القوريني (ق 4- 3ق.م)* *Anniceris de Cyrène.*

هو أيضا فيلسوف شمال إفريقي من رواد فلسفة اللذة. ولما كان حيا كانت هذه المدرسة تعيش تغيرات حادة، خاصة على يد ثيودورس وهيجيسياس. لكننا لا نعرف عنه أكثر مما ذكرناه.

8 . *كاليماخوس القوريني (ق 4-3 ق.م)* *Calimachos de Cyrène*

هو شاعر ونحوي قوريني، ازداد بقورينا حوالي 315ق.م. عاش ببلاط الملوك البطليموسيين واشتغل محافظا لخزانة الاسكندرية المعروفة. نُسِبت له حوالي 800 كتاب منها 120على شكل فهارس لخزانة الإسكندرية. توفي كاليماخوس بالإسكندرية عام 240 ق.م.

9. *إراطوسطينيس القوريني (ق3ق.م)* *Erathostène de Cyrène*

هو المؤسس الأول للجغرافيا العلمية. وهو أشهر جغرافيي العصر القديم، وواحد من كبار علماء شمال إفريقيا. ازداد بقورينا (شحات، بليبيا الحالية) عام 276 ق.م. تلقّى دراسته الأولى بقورينا، وفيها تتلمذ عن ليزانسياس (Lysansias) القوريني وعن الرواقي أُرسطون الكيوسي (Ariston de Khios) الذي تتلمذ بدوره عن زينون مؤسس

المذهب الرواقي. وتتلمذ أيضا إراتوسطينيس عن مواطنه الشاعر كاليماخوس (Calimachos). ثم انتقل بعد ذلك، على عادة طلبة شمال إفريقيا القديم، إلى أثينا لإتمام دراسته. وفي سنة 240 ق.م. استقدمه إلى الإسكندرية الملك بطليموس الثالث (246 ق.م - 221 ق.م) ليصبح المحافظ الثالث لخزانة الإسكندرية المشهورة ويخلف بذلك أبولونيوس (Apollonios de Rhode). لقد كان إراتوسطينيس عالما متضلعا في كل علوم عصره وخاصة الرياضيات(59) .

10. هاسدروبال القرطاجي (3 - 2 ق.م) Hasdrubal de Carthage

هو من فلاسفة الأمازيغ الذين كتبوا ودرّسوا باللغة اليونانية. ازداد بقرطاج في بداية القرن 3 ق.م. ثم رحل إلى أثينا، وفيها أسس مدرسة فلسفية بعد أن قام بتغيير اسمه ليصبح: Clitomachos. وبعد ذلك، خلف الفيلسوف اليوناني كارنياديس (Carnéades) في إدارة ما سمي بالأكاديمية الجديدة. (وهي مدرسة فلسفية قديمة أسسها أركيسيلاوس في القرن 3 ق. م. ومن أهم ممثليها: كارنياديس وكليطوماخوس وفيلون وأنطيوكوس. وقد اهتمت المدرسة على الخصوص بالجانب الاحتمالي والشكي من المعرفة)(60).

(59) Cf. *Dict. of.Scient. Biog.*, N.York, 1970-1990 ; *Britannica*, vol. 4: 536: 3a; vol. 22:969: 1a; vol. 17:575: 2b, 534:2a; vol. 20:302 : 1b; Strabon, *Géographie*, I,2; II; 1, trad. Aujac, Paris, Les Belles.Lettres, 1969-1975, 7 tomes ; Heath T.L., *A History of Greek Mathematics*, 2 vols, Oxford, 1921 ; Thalamas A., *La géographie d'Erathostène*, Paris, C.Barbier, 1921 ; Aujac G., *Strabon et la science de son temps*, Paris, Les Belles Lettres,1966, I, chap. 3, PP. 49-6 ; *Encyclopédie Philosophique Universelle*, Oeuvres, Tome1, pp. 135-136.

(60) Cf. Monceaux(1894), p. 83 ; Diogène Laertie, *Vies*, IV, 67.

11 . كارنياديس القوريني (ق 2 ق. م) Carnéades de Cyrène

هو فيلسوف شمال إفريقي، ازداد بقورينا حوالي 214 ق. م. هو خليفة أرسيسلياس في إدارة الأكاديمية، ومن مريدي الأكاديمي هيجسياس (Hegsias)، ومن تلامذة الفيلسوف أرسيسلياس (Arcesilias). تأثر كثيرا بالكتابات المنطقية للرواقي كريزييوس، وخاصة بآرائه في الديالكتيك التي قرأها عن تلميذه ديوجين البابلوني. ورغم ذلك، كان ينتقد بشدة الرواقية [61]، خاصة ما قالوه حول فكرة الوجود وحول طبيعة الآلهة. وفي إطار مناقشته لمعيار الصدق، كان كارنياديس يرفض مفاهيم "العقل" (بمعنى اللوكوس) و "المعنى" و "التصور" (أو التمثل) وكل الكينونات المعرفية. أما معيار الحقيقة بالنسبة له فذاتي محض. وفي هذا اعتراف واضح بالتقليد المغاربي القديم في ميدان الفلسفة وهو القائل بنسبية المعرفة وتغليب الاحتمال على اليقين. بل يمكن اعتبار كارنياديس أول فيلسوف بنى مدرسة احتمالية متماسكة. لكن مفهوم الاحتمال عنده صعب الفهم. وبالإضافة إلى هذا كان كارنياديس يتمتع بقدرة فائقة على الجدل وعلى صياغة الحجج المتضادة. توفي بأثينا حوالي 129 ق.م[62].

12. ميكيبسا (ق 2 ق.م) Micipsa

هو ملك وفيلسوف أمازيغي قديم. حكم ما بين 148 ق.م و 118 ق.م. وهو واحد من أبناء الملك الأمازيغي المعروف ماسينسا (Masinissa) وعمّ ملك أمازيغي آخر معروف هو يوكرتن (Juguarthan) . ورغم

---

(61) Cf. Diogène L., *Vies*, IV, 62.

(62) Cf. Diogène Laertie, vies, IV ; *Encyclopédie Philosophique Universelle*, *Œuvre*, vol. I, pp. 87-88 ; Britannica, vol. 2 : 880:1a; vol. 25: 888: 1b; vol. 9: 714: 2b.

لعلوم الملاحظة وكمواصل لعلوم الرياضيات الإسكندرية. أما الفصل الثاني فخصصه لعلم التنجيم. وفيه يصف الكاتب فلك البروج (Zodiaque). أما الفصلان الثالث والرابع فيتناولان علاقة الإنسان بخريطة البروج. وفيهما مارس مانيليوس حسابات معقدة لتحديد تلك العلاقة. لقد حاول الكاتب رد مستقبل كل شخص إلي معادلة رياضية. وهكذا يمكن اعتباره سابقا على العالم الفرنسي لا بلاص (Laplace) فيما يخص الحتمانية الميكانيكية. وفي الفصل الأخير من كتابه تناول مانيليوس مجموعات النجوم التي لا تدخل في خريطة البروج. وبالإضافة إلى سبقه على لا بلاص، يمكن اعتبار مانيليوس سابقا أيضا على ميرسيي (Mercier G.) في كونه حاول، من خلال أعماله العلمية، تحقيق تركيب متناسق بين الروحانية والمادانية. كما سبق أيضا نيوطن في وضعه لصيغة أولية لنظرية الجاذبية[68] . وسبق كذلك سبينوزا في صياغته لنظرية الحلول[69] . ويمكن اعتباره أيضا سابقا على الأشاعرة في وضعه لصيغة أولية لنظرية الكسب[70] . لكن أهم ما يميز مانيليوس هو كونه مارس ودافع عن العقلانية. وبالتالي يبقى هذا الفيلسوف من الرواد الأوائل للحركة العقلانية في الفكر الأمازيغي القديم. كان يقول: "لا تحتقر قواك [العقلية] بحجة أنها سجينة جسم نحيل. فهي قوة ضخمة [...]، لأن العقل باستطاعته حل كل المشاكل"[71] .

---

(68) Manilius, *Ast.*, II, 84 -92.

(69) Manilius, *Ast.*, II, 60 -66.

(70) Manilius, *Ast.*, I, 247 - 254; II, 80-8

(71) Manilius, *Ast.*, IV, 923-932. Voir aussi : Maniceaux (1894), pp. 135-183 ; *Britannica*, vol. VII :778 :la, *Encyclopédie Philosophique Universelle*, Vol. I, pp. 208-209.

17. كورنوتوس اللبتي (ق 1م)

Cornutus de Leptis Annaeus ، Cornutus Lucius

هو فيلسوف رواقي أمازيغي قديم. تلقّى دراسته الأولى بمدينة ليبتس ماكنا (Leptis Magna). ولا نعرف متى غادر هذه المدينة إلي روما. وفي هذه الأخيرة نجده زعيما لمدرسة رواقية. كتب كثيرا في الريطوريقا باللغتين اليونانية واللاتينية. أما في الفلسفة فقد ألف كتابا تحت عنوان: *الضروري في علم اللاهوت الإغريقي* (Theologiae Graecae Compendium) كما كتب تعليقا حول مقولات ارسطو. وكان المرجع الأساسي للفيلسوفيين المنطقيين سيمبليكيوس (Simplicius) وفورفوريوس الصوري (Porphyry). وفي هذا الكتاب كان فيلسوفنا ينتقد بشدة أرسطو وأثينو دور (Athenodore) . ومن كل كتب كورنوتوس لم يحفظ لنا الزمن إلا واحدا هو كتاب *الضروري في علم اللاهوت*.

18 . فلوروس (ق 2 م) Florus Annius

هومؤرخ و فيلسوف تاريخ أمازيغي أصيل لأنه هو نفسه يؤكد ذلك في كتاب له حول فيرجيل[72]. تلقى تعليمه الأول بقرطاج ثم رحل إلى روما. وهناك شارك في جائزة شعرية واحتل الصف الأول، وذلك خلال حكم الإمبراطور دوميتيان (Domitien) لكن نتيجة المباراه لم ترق الإمبراطور، لأن صاحب الصف الأول ليس رومانيا بل هو أمازيغي. ولهذا تم حرمان فلوروس من تسلم الجائزة بأمر من الإمبراطور. وبعدها غادر فلوروس روما غاضبا ماقتا الرومان. وشد الرحال إلى شبه الجزيرة الإيبيرية. وبعد ممارسة طويلة لأساليب الخطابة، أصبح

---

(72) Flarus, *Virgilius Orator an Poeta* ? Ed. halm, Leipzig, 1854, pp. 106-109.

فلوروس، في عهد أدريان (Hadrien) من أشهر خطباء الإمبراطورية. ومن أشهر مؤلفاته كتاب تحت عنوان: مختصر لسبع مائة عام من الحروب، الذي هو في الواقع محاولة في فلسفة التاريخ. ولقد أعجب به الفرنسيان مونتسكيو (Montesquieu 1689-1755) وبوسي (Bossuet 1704–1627) وافتخرا بتقليده في طريقته لممارسة التاريخ[73] . وأهم مايميز هذه الطريقة كون فلوروس لا يكتفي بسرد الأحداث، بل كان يحاول استخراج فلسفة الأحداث. فهو إذن من الرواد الأوائل لفلسفة التاريخ. وبهذا تميز عن مؤرخي زمانه وعن مؤرخي القرون الوسطى حتى مجيء مواطنه ابن خلدون. ويبقى فلوروس هو بحق واضع فلسفة التاريخ[74] .

19. تيرتوليانوس القرطاجي (ق2م)

Septimus Tertillanus ‹Tertulien de Carthage

ازداد بقرطاج حوالي 160م. ولد من موظف روماني وامرأة أمازيغية. هو رجل دين وريطوريقي وفيلسوف، ومن أكبر الكتاب الأمازيغيين باللاتينية. بدأ كمحامي وثني ثم اعتنق المسيحية. وكان مغرما بوطنه أفريقيا. وكان يناهض الوجود الروماني بشمال إفريقيا. كما ناضل ضد كل أشكال السلطة بما في ذلك سلطة العقل بالمعنى الذي يؤديه لوغوس أرسطو[75] .

---

(73) Monceaux, (1894), pp. 199-204.

(74) Cf. Monceaux (1894), pp. 193-208; Bossuet J.B. (1681), Discours sur *l'Histoire Universelle* ; *Britannica*, vol. IV :843 :lb.

(75) Tertulianus, *Opera*, éd. Complete, Corpus Christianorum, Série Latina, vol. II, IIA, Turhnout, Brepols, 1954; Spanneut (1969), *Tertulien et les premiers moralists africains*, Gembloux; Guerrier M. (1853), *Apulée et Tertulien ou l'Afrique payenne et chrétienne au 2ème siècle*, Rouen ; Monceaux (1901), *Histoire de la littérature de l'Afrique chrétienne*, vol. I, Paris.

20 . يوليانوس الحضروميتي (ق 2م) Julianus d'Hadrumède

من أهم رجال القانون الأمازيغيين بقرطاج أيام الإحتلال الروماني. وكان الأمازيغيون القدامى يهتمون كثيرا بدراسة القانون الروماني نظرا للصعوبات التي كان يطرحها من جهة، ومن جهة أخرى نظرا لرغبتهم في الدفاع عن مصالحهم بسلاح لا ترفضه سلطة الإحتلال. كلف الإمبراطور أدريانوس (Hadrien) هذا الرجل بجمع القانون الروماني في كتاب أعتبر لمدة طويلة المسطرة المدنية المعتمدة بروما وبمستعمراتها. وجعل هذا العمل من يوليانوس شخصية مشهورة وعضوا في مجلس الدولة الروماني[76].

21 . فرونطو الكيرتي (ق 2 م) Fronton de Cirta

خطيب بارع، أمازيغي الأصل والنشأة، روماني الثقافة. ولد بمدينة كيرتا (قسنطينة بالجزائر الحالية) عام 100م. وتوفي بروما عام 166م. يعادله المحللون والنقاد بالكاتب الروماني المعروف: كيكيرو. قضى فترة من شبابه بنوميديا، مسقط رأسه، ثم انتقل إلى قرطاج لإتمام دراسته، ثم إلى روما قصد الدراسة أيضا. وفيها تتلمذ على الفيلسوفين أثينودور (Athénodore) و ديونيسيوس (Dionysius) برع كثيرا في الخطابة، ومارس على الخصوص المرافعات السياسية. كان استاذا لإمبراطورين هما: لوكيوس فيروس (Lucius Verus) و ماركوس أوغليوس (Marcus Aurelius) ابني الامبراطور انطونينوس(Antoninus). ولما كان فرونطو بروما نجح في تشكيل حلقة (أو زاوية) سميت باسمه. ومن بين روادها أولوس كيليوس صاحب

(76) Monceaux (1894) pp. 345-346.

الليالي الأتيكية. أما خُطَب فرونطو فقد ضاعت ولم يبق منها إلا شذرات. وضاعت أيضا أجزاء كثيرة من الكتب التي ألفها(77) .

22 . أبولينير القرطاجي (ق2م) Apollinaire de Carthage

هو أديب وناقد أمازيغي شهير. برع على الخصوص في الدراسات اللغوية. وإذا كان فرونطو زعيم الفصحاء، سواء في إفريقيا أو في روما، فإن أبولينير زعيم اللغويين في إفريقيا وروما معا. كل ما نعرفه عن حياته هو كونه ازداد بقرطاج وقت استيلاء الامبراطور تراجان (Trajan) على الحكم. ولم يرحل إلى روما إلا في أواخر حياته. هو أستاذ للفيلسوف الأمازيغي أولوس كيليوس (Aulus Gellius). أهم ما خلفه لنا هو كتاب تحت عنوان: *رسائل نقدية*(78) ، فيه يعرض الكاتب مجموعة من الأخطاء الأدبية ارتكبها بعض الكتاب القدامى والمعاصرين له وخاصة الأديب الروماني المعروف فيرجيل (Virgile) (79).

23 . أولوس كيليوس (ق 2 ق.م) Aulus Gellius

هو فيلسوف وأديب أمازيغي قديم. درس بقرطاج وبروما وأثينا. رحل إلى روما وعمره حوالي ست عشرة سنة. تلقى تعليمه عن مواطنه فرونطو وعن النحوي القرطاجي أبولينير (Apollinaire) ودرس الفلسفة عن السفسطائي الغالي فافورينوس (Favorinus). أهم ما خلفه لنا كتابه المعروف: *Noctes Atticae* *(الليالي الأتيكية)*. وهو عبارة عن مذكرات دوّنها الكاتب أثناء إقامته باليونان، تناول فيها النحو

---

(77) Cf. Monceaux (1894), pp. 211-241; Macrobe, *Saturnalia*, V; Martianus Capella, *De Nuptiisi*, V; Aulu-gelle, *NA*, XIX.

(78) Cf. Aulu-Gelle, XIII, 18.

(79) Aulu-Gelle, *NA*, XIII, 20; IV, 17; XX, 6; Monceaux (1894), pp. 243-249.

والنقد الأدبي والتاريخ وأورد فيها معلومات كثيرة عن معاصريه وغيرهم. وخصص الفصل العشرين من هذا الكتاب للمنطق[80] .

24 . أبوليوس المداوري (ق 2 م)

Lucius Apuleius Theseus, Apulée de Madaure

هو فيلسوف وعالم وأديب أمازيغي مشهور. ازداد بمدينة ماداورا (ماداورش بالجزائر الحالية)، ولم يكن يعرف في البداية سوى اللغة الأمازيغية. فتعلم اللاتينية واليونانية بالمدرسة كما نتعلم نحن اليوم اللغة العربية والفرنسية بالمدرسة. له أعمال كثيرة. فهو رياضي وفيزيائي ومنطقي وخطيب وفيلسوف وعالم فلك وطبيب وأديب. لكنه كان مولعا على الخصوص بالعلوم التجريبية. غير أن أغلب أعماله في هذه الميادين ضاع. ورغم كل ما قدمه أبوليوس من أعمال علمية فإن شهرته في العالم قامت على كتاب في الأدب نُشر تحت عنوان: Metamorphoses *(التحولات)*[81]. وأول من عاين هذه الشهرة مواطن أبوليوس القديس أوغسطينوس. يقول عنه هذا الأخير: "عندنا نحن الأفارقة، أبوليوس هو الأكثر شعبية" . انظر الترجمة الكاملة لهذا المثقف في الفصل الذي خصصناه له ضمن هذا العمل[82] .

---

(80) Aulus-Gellius, *Notium Atticorum* Libri XX, éd. M. Hertz et C. Hosium, Lipsiae, 1903 ; Aulus-Gellius, *Noctes Atticae*, éd. I. Andreas, Rome, 1469 ; éd. M. Marche, Paris, Les Belles Lettres, 3 vols, 1967-1989 ; *Encyclopédie Philosophique Universelle*, vol. I, p. 75 ; Monceaux (1894), pp. 249-264 ; Baldwin B. (1975), *Studies in Aulus-Gellius*, Lawrance, Kans.

(81) Cf. Augustin, *Epist.*, 138.

(82) Voir aussi Monceaux (1894), pp. 265-339.

25 . مينوكيوس فيليكس (ق 2م) Minucius Felix

ريطوريقي أمـازيغي قديم. ازداد بكيـرتا (Cirta) بنوميـديا. لكننا لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاده. له كتاب تحت عنوان *Octavius*[83].

26 . سبتموس سيفيروس (ق 2 م) Septimus Severus

هو ريطوريقي ومحـامي أفريقي من معاصـري كورنوتوس (Cornutus) اللبتـي. ازداد بمدينة ليبـتس بليـبيا الحـاليـة. ثم نُقل إلى رومـا وهو في ريعان شـبابه. وهناك أنهى دراسـته كـمحـامي وكخطيب. كـان يتردد على نادي أدبي بروما فيه التـقى بالأديب الروماني المعروف Quintilien. وفي نفس الوقت ربط سـبتـمـوس عـلاقة عـمل ومـودة مع الشـاعـرين الرومـانيين Stace و Martial ، وبفـضـلـهـمـا تمـكنّا من الحـصـول على معلومـات حوله. أما هـو فلم يصلنا منه مكتوب. سـبتمـوس هذا هو جد سبتموس آخر، ذلك الذي سوف يصبح إمبراطورا[84].

27 . كسبتموس سيفيروس (ق 2 –3م)
Lucius Septimus, Septimus Severus Pertinax

هو إمبراطور رومـاني من أصل أمازيغي. حكم ما بين 193م و 211م. ازداد بمدينة ليبتس مـاكنا وكان يتحدث البوينية قـبل أن يدرس اليونانية بأثينا واللاتينية برومـا. كان مولعا بالنظـام والمراتب الإجتماعـية، وكان يكره المسيحـية. وكان الأمازيغيـون الأفارقة يحبونه إلى درجـة التأليه. خلّف لنا مؤلّفا تحت عنوان: *مذكرات*، حرره باللغة اليونانية[85].

---

(83) Manucius Felix, *Octavius*, trad. Et commentaire de Waltzing, 2 vols, Bruges, 1909 ; *The Catholic Encyclopedia*, online version.

(84) Monceaux (1894), pp. 189-192.

(85) Monceaux (1894), pp. 350-362.

28 . ماكرينوس الماوري (ق 2–3م)

Marcus Opellius, Macrin le Maure   Macrinus

من الأباطرة الأفارقة الذين حكموا روما. ومن المثقفين الأمازيغيين القدامى. ازداد بقايْصاريا بنوميديا حوال 164م، وعاش ببلاط الامبراطور الأفريقي سبتموس سيفيروس. كما خدم أيضا الامبراطور كاراكالا (Caracalla) . اهتم على الخصوص بالشعر. لا نعرف له مؤلفات(86) .

29 . ألبينوس الحضروميتي (ق2 م) *Albinus d'Hadrumède*

هو إمبراطور روماني من أصل أمازيغي. ازداد بحضروميت بتونس الحالية عام 143م. كان رجل أدب قبل أن يمارس السياسة. تلقى تربيته الأولى بمسقط رأسه ثم انتقل إلى قرطاج لإتمام دراسته. توفي بفرنسا الحالية عام 197م. وكان معجبا بالفيلسوف أبوليوس المداوري، وكان يقرأ له كثيرا. أما مؤلفاته فقد ضاعت كلها (87).

30 . القديس كيبريانوس (ق 3 م)

St. Cyprien de Carthage Tascius,   Caecillus Cyprianus

هو خطيب أمازيغي قديم. ازداد بقرطاج حوالي 210 م من عائلة ميسورة، وكان مولعا بدراسة الأدب. قضى حياته وثنيا، ولم يلتحق بالكنيسة إلا في فترة متأخرة (سنة 246 م). توفي كيبريانوس تحت التعذيب من طرف أعداء الكنيسة يوم 14 شتنبر عام 258م. ومن

---

(86) Monceaux (1894), pp. 358-359.

(87) Monceaux (1894), pp. 349-350.

مؤلفاته: كتاب «وحدة الكنيسة» (De unitate Ecolesiae) وكتاب «الى ديمتريانوس» (Ad Demetrianum).[88]

31 . ترنتيانوس الماوري (ق 3 م) Terentien le Maure

من شعراء القرن 3 م الأمازيغيين. عاش في عهد الإمبراطور سيبتموس سيفيروس (septime sévère) الذي هو بدوره من أصل شمال إفريقي. اهتم هذا الشاعر على الخصوص بقضايا العَروض. واشتهر في هذا الميدان شهرة كبيرة إلى جانب مواطنه فيكتوران (Victorin)[89] .

32 . نيميزيانوس القرطاجي (ق 3م) Némesien de Carthage

من شعراء القرن 3 م الأمازيغيين. قضى كل حياته بإفريقيا. وترك أعمالا شعرية معروفة وصلنا أغلبها. كانت في مجملها تدور حول الصيد البري والبحري[90] .

33 . أنطونيوس كورديانوس الأول (ق 3م) Gordianus I Antonius

إمبراطور روماني من أصل أفريقي، من عائلة الأباطرة الغورديين (les Gordiens) الذين حكموا روما. كان أديبا وخطيبا. واهتم أيضا بدراسة أفلاطون وأرسطو وكيكيرو. عاصر سيفيروس الكسندروس

---

(88) De Labriolle P. (1942), *Cyprien, De l'unite de l'Eglise Catholique*, avec trad et notes, Paris ; Lavarenne M (1940), *St Cyprien, contre Demetrien*, clerment-Ferrand ; Saumagne e. (1975), *St Cyprien, évêque de Carthage*, Paris.

(89) Monceaux (1894), pp. 388-396 ; Terentien, *Praefat.*, éd Keil dans les *Grammat.* Lat., VI, pp. 325-413.

(90) Numesien, *Cyneget.*, éd de Bahrens dans les *Poetae lat.* minor , III, pp. 174-204 ; Monceaux (1894), pp. 375-385.

(Sévère Alexandre). أتى بعده ولده كورديانوس الثاني، وكان رجل قانون وسياسة مشهورا. ثم بعده جاء كورديانوس الثالث، وكان ريطوريقيا. كل هؤلاء الكورديين الثلاثة كانوا رجال أدب وسياسة معا، وكلهم من مدينة قرطاج[91].

34. كاغاكالا (ق 3م) Caracalla

إمبراطور روماني من أصل أفريقي. حكم ما بين 198م و 217م. ومن أبناء سبتموس سفروس. كان يفخر بكونه ينتمي إلى وطن هانبال (أي شمال إفريقيا). وكان يكره التقاليد الرومانية وأخلاق الرومان. ومن أهم أعماله كونه عمم حقوق الجنسية الرومانية على كل سكان الإمبراطورية.

35. ماكون (ق 3 ق.م) Magon

قائد عسكري قرطاجي في فترة الحرب البوينية الثانية (201-218ق.م) ضد روما. كان أصغر الأبناء الثلاثة للزعيم القرطاجي هاملكار باركا (Hamilcar Barca) وأخ القائدين هانيبال (Hannibal) وهاسدروبال (Hasdrubal) القرطاجيين.

36. أرنوبيوس السيكي (ق 3 م، 4م) Arnobe de Sicca

هوريطوريقي أمازيغي قديم. ازداد بمدينة سيكا (Sicca Veneria) بتونس الحالية عام 260م. واعتنق المسيحية عام 296 م. ألف كتابا تحت عنوان ضد الوثنيين (Adversus Gentes). ويبدو أنه أثر على بعض المحدثين الفرنسيين مثل Montaigne و Bossuet و Fontaine و Pascal وقد اعتمد كتابه ضد الوثنيين على ما سُمي فيما بعد بحجة الرهان (Argument du Pari)، التي تُنسب عادة إلى باسكال، في إثبات وجود الله[92].

---

(91) Monceaux (1894), pp. 359-361.

(92) Arnobe, *contre les gentils*, trad. et commentaire H. Le Bonniec, Paris, Les Belles Lettres, 1982 ; Gilson E. (1925), *La Philosophie au Moyen Age*, vol.I ; Encyclopédie Philosophique Universelle, vol. I, p. 66.

37 . لَكْتَانتيوس (ق 4 -3م) Lactantius Caecilius Firmianus

هوريطوريقي أفريقي قديم، تلميذ لأرنوبيوس. ازداد بكيرتا عام 260 م. عرض عليه الامبراطور ديوكليتيانوس كرسي الفصاحة اللاتينية بنيكوميديا عام 290 م، فقبل. واعتنق المسيحية عام 300 م. وكلفه الإمبراطور كونسطنطنوس بتربية ولده كريسيوس (Crispus). ألف كتبا كثيرة من بينها: *الإله الخالق* (De Opificio Dei) و*القوانين الإلهية* (Institutionum Divinarusion)، والغضب الإلهي (De ira Dei) توفي عام 325 م [93].

38 . كاريسيوس (ق 4 م) Charisius

ريطوريقي أفريقي. لكنه بدل أن يرحل إلى روما على عادة المثقفين الأفارقة، رحل إلى قسنطينة (Constantinople) عاصمة المشرق اليوناني، وهناك اشتغل بجامعتها لمدة استغرقت تقريبا النصف الثاني من حياته. ألف كتابا ضخما حول النحو اللاتيني[94] .

39 . فيكتور الأفريقي (ق 4 م) Victorinus Afer (Aurilius)

هوريطوريقي ومؤرخ أمازيغي. ازداد بنواحي مدينة ليبتس. وكان يفخر بكونه مواطنا للامبراطور الأمازيغي سپتموس سفيروس المزداد هو أيضا بمدينة ليبتس. مارس السياسة وهو لا يزال شابا. وفي نفس الوقت تعاطى للدراسات التاريخية. ثم أصبح حاكما لمدينة روما عام392 م. احتفظ بعقيدته الوثنية رغم الانتشار الواسع للديانة

---

(93) Lactance, *œuvres completes*, Paris, Cerf; Pichon R. (1901), *Lactance*, Hachette ; *Encyclopédie Philosophique Universelle*, vol. I, pp. 193-194.

(94) Cf. Monceaux (1894), p. 408.

المسيحية سواء بشمال إفريقيا أو بروما، خاصة في عصره (ق 4م). كان يحب وطنه أفريقيا ويعتبر نفسه أجنبيا عن روما. وفي كتابه حول تاريخ روما كان أحيانا يعبر عن عداوته للرومان. نُسبت له أيضا كتب أخرى مثل *أصل الشعب الروماني ونبلاء وعلماء روما وتاريخ القياصرة الرومان*. ينبغي تمييزه عن المنطقي فيكتورينوس الأفريقي الذي هو معاصر له[95].

40 . فيكتورينوس الأفريقي (ق 4م) Aurilius Caius Victorinus Afer

هو فيلسوف وريطوريقي أمازيغي قديم. ازداد حوالي 300م. قضى بافريقيا معظم حياته، ثم رحل إلى روما. ترجم كثيرا من المؤلفات اليونانية إلى اللاتينية، وترجم على الخصوص نصوصا في المنطق لأرسطو. انظر دراسة لنا حوله في الفصل المخصص له كنموذج من المناطقة الأمازيغيين القدامى[96].

41 . سيرفيوس الماوري (ق 4 م9) Servius le Maure

ازداد بماوريتانيا (المغرب الحالي) حوالي منتصف القرن 4م. ورحل وهو شاب إلى روما. وبها بنى لنفسه شهرة علمية في الوسط الثقافي الروماني، وخاصة بعد أن نشر كتابا يعلق فيه على الكاتب الروماني المعروفVirgile . وبالإضافة إلى النقد الأدبي، اهتم أيضا سرفيوس بالنحو والعروض[97].

---

(95) Monceaux (1894), pp. 413-424.

(96) Augustinus, *confessions*, VIII, 2 ; Monceaux (1905), *Histoire littéraire de l'Afrique Chrétienne*, vol. III, chap. 4 ; Monceaux (1894), pp. 402-407.

(97) Monceaux (1894), pp. 409-413.

42 . كاريسيوس (ق 4 م) charisius

ريطوريقي أفريقي. بدأ حياته المهنية بأفريقيا ثم انتقل إلى آسيا الصغرى حيث الحضارة الهلنستية منتشرة. كان من المعجبين بالنحو واللغة اللاتينيين. لكن عمله يشبه عمل فقيه متزمت تشبع بلغة اللاتين وبدين المسيح إلى درجة الإستلاب. من أهم مؤلفاته علم النحو[98] Ars Grammatica.

43 . ضوناتوس القرطاجي (ق 4 م) Donat de carthage

ضونا توس، أو ضونا القرطاجي، أو ضونا الأكبر، هو مؤسس الحركة الثورية المغاربية المسيحية المسماة بالضوناتية (Donatisme). وهي حركة دينية تشبه كثيرا الأصولية الإسلامية اليوم. عاش ضونا بقرطاج خلال القرن 4 م. وكان يعتمد في أساليبه الدفاعية وفي كسب عطف الجمهور على الفصاحة و العنف معا. يحترمه الضوناتيون إلى درجة التأليه[99] .

44 . بارمينيانوس القرطاجي (ق 4 م) Parmenianus de Carthage

من رواد الضوناتية. وقد يكون الضوناتي الوحيد الذي ليس إفريقيا. فهو إما إسباني أو غالي المولد. أما مؤلفاته فقد ضاعت[100] .

---

(98) Charisius, *Ars Grammatica*, in: *Grammat. lat.*, éd. Keil, tome I, pp. 1 sqq ; Monceaux (1894), pp. 408-409.

(99) Augustin, *Contra Cresconium*, I, 2 - 3; Augustin, *De haeresibus*, 69; Monceaux (1922), *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne*, vol. VI, pp. 330-332 et vol. V, chap. III, pp. 134 sqq.

(100) Monceaux (1922), vol. V. pp. 221-240 et 332-333.

45 . ماكسيميانوس (ق 4 م-5 م) Maximianus

خطيب افريقي ضوناتي ومن عائلة ضونا الأكبر. أسس طائفة دينية متطرفة تحمل اسمه. مارس أيضا السياسة حتى أصبح قائد حزب من أحزاب المعارضة آنذاك. ثم أنتخب أخيرا أسقفا لقرطاج. لكن آماله في السياسة خابت وذلك بانتصار اعدائه البارمنيوسيين عليه[101] .

46 . لكتنتيوس (ق 4 م) Lucius caecilius Lactantius

من المدافعين عن المسيحية خلال القرن 4م. وهو إفريقي تتلمذ عن أرنوبيوس (Arnobe) بمدينة سيكا (Sicca Veneria) ازداد بنواحي سيرتا. مارس أولا الوثنية قبل أن يعتنق المسيحية ثم درّس الريطوريقا. ألف كتبا كثيرة أهمها كتاب *القوانين الإلهية*، وفيه يدافع عن العقيدة المسيحية ويبين عيوب العقائد الوثنية[102] .

47 . القديس أوبتاتوس الميليوى (ق 4 م) St Optat

أسقف مدينة ميليفس بنوميديا (الجزائر الحالية). هو رجل دين ومتكلم وعدو للضوناتية. يُسَمَّى أحيانا بأوبتاتوس الأفريقي (Optatus Afer) أو أوبتاتوس المليوي (Optatus Milevitanus). دخل في جدل حاد ضد الضوناتية وألف حولها كتبا ذكرها مونصو وغيره[103].

---

(101) Augustin, *Contra Cresconium*, III; Monceaux (1922), vol. VI, pp. 333-335 ; *Dictionnaire de la Théologie Catholique*.

(102) Monceaux (1902), *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne*, vol. II ; *Dictionnaire de la Théologie Catholique*.

(103) Monceaux (1922), vol. V, pp. 241-306. Sur la rhétorique de St Opta, cf. *Ibid.*, p. 282.

48 . تيكونيوس الأفريقي (ق 4 م) Tyconius Afer

هو ضوناتي أفريقي عاش خلال القرن 4 م. ولا نعرف الكثير عن حياته. ازداد بأفريقيا حوالي 330م. وتربّى في حضن العقيدة الضوناتية، لكنه طُرد منها عام 380، أي قبل وفاته بعشر سنوات. كتب تيكونيوس في علم الكلام (Contreverse) ("علوم الخلاف" كما سماها ابن خلدون). ومن أهم ما ألفه في هذا الصدد كتاب القواعد (Libri Regularum). وهو عبارة عن مبادئ وتقنيات لشرح وتأويل النصوص المقدسة[104] .

49 . كاودنتيوس التاموكادي (ق 4 –5م) Gaudentius de Thamugadi

ازداد بمدينة تاموكادي (تيمكاد بالجزائر الحالية) عاصمة الضوناتيين خلال القرنين 4 و 5 الميلاديين، وذلك عام 355م. قضى كل حياته بمسقط رأسه. لكننا لا نعرف عنه سوى كونه من المتطرفين الضوناتيين ومن كبار متكلميهم الفصحاء. ألف أوغسطينوس كتابا ضده تحت عنوان: Contra Gaudentium[105].

50 . إيميريتوس القيصري (ق 4–5 م) Emeritus de Caesarea

من كبار الثوار الضوناتيين، ومن معاصري القديس أوغسطينوس. ازداد بقايصاريا (شرشل بالجزائر الحالية) حوالي 350 م. من المشاركين فيما سمي بمناظرة قرطاج (عام 411 م)، باعتباره واحدا من المحامين السبعة الذين رشحهم حزبه الضوناتي للدفاع عن الأفكار الثورية الأصولية التي دشنها ضونا الأكبر. بعد

---

(104) Cf. *Dictionnaire de la Théologie Catholique*, vol. XV, col. 1932-1934 ; Monceaux (1920), vol. V chap. I, pp. 165-219.

(105) *Dict. de la Théol. Cathol.*; Monceaux (1922), vol. VI, pp. 191-219.

مناظرة قرطاج ألف حوله القديس أوغسطينوس كتابا تحت عنوان:

Ad Emeritum، episcopum Donatistarum Post collationem liber unus

تم تأليف هذا الكتاب حوالي 416 م، لكنه لم يصلنا. برع إميرتوس في فن منطقي معين هو الريطوريقا. وكانت فصاحته أهم ما ميز شخصيته الثقافية. وكان إلى جانب ذلك يعرف الفنون الحرة الأخرى[106] .

51 . *القديس أوغسطينوس* (ق 4–5 م) *St Augustin*

هو رجل دين أمازيغي قديم. ازداد بتاكاست (Thagaste) (سوق أهراس بالجزائر الحالية). وهو نوميدي الأصل والنشأة، لاتيني الثقافة، مسيحي العقيدة. كان أبوه إفريقيا، لكنه تَرَوْمَن واشتغل موظفا مع الإدارة الرومانية. وأمه هي الأمازيغية النوميدية المعروفة باسم القديسة مونيكا. درس النحو والخطابة بالمدارس الإبتدائية بنوميديا. ومارس التدريس في قرطاج وفي روما. أما من الناحية العلمية فقد سيطر عليه المنطق الأرسطي بوضوح كما أثر عليه الإتجاه الأفلاطوني الجديد. وكان أوغسطينوس من رواد العقلانية الديكارتية قبل ديكارت. لما ظهر مقال في المنهج لديكارت نبه ميرسن، أحد أصدقاء ديكارت، هذا الأخير إلى التشابه الحاصل بين طريقته في التعقل في كتاب المنهج وطريقة أوغسطينوس في كتاب *المدينة الإلهية* De civitate Dei (Lib. 11، Cap. 26) ومن الواضح أن كوجيطو ديكارت (Cogito ergo sum) مُقاس على كوجيطو أوغسطينوس (Si fallor، sum). وبالإضافة إلى ميرسن، نبه

(106) Augustine, *Gesta cum Emerito*; Augustine, *Epist.*, 87; Monceaux (1922), vol. VI, pp. 145-189.

أشخاص مجهولون ديكارت إلى هذه المسألة، وحاول هذا الأخير الدفاع عن نفسه في رسالة مؤرخة بيوم 2 نونبر 1640 (انظر في هذا الصدد: (Pascal، *De l'esprit géometrique*، pp. 191-193) وحول صياغة كوجيطو أوغسطيوس انظر لهذا الأخير: *De civitati Dei*, L. XI cap. 26. [107]

52 . *بريميانوس القرطاجي (ق4 - 5 م)* *Primianus de Carthage*

هو أسقف أفريقي قرطاجي ضوناتي العقيدة. حل مكان بارمينيانوس (Parmenianus) . دخل في صراع حاد مع كثير من زملائه الضوناتيين لأنه كان يمارس سياسة غير متماسكة. حضر لمناظرة قرطاج المعروفة التي جرت بين الضوناتيين من جهة والكنيسة الكاثوليكية من جهة ثانية عام 411 م. ودخل أيضا في صراع مع القديس أوغسطينوس[108] .

53 . *بيتليانوس القسنطيني (ق4 –5م)* *Petilianus de Constantine*

هو ريطوريقي ومحامي أمازيغي قديم. ازداد بنوميديا حوالي 365م. تزعم طائفة متطرفة ضوناتية في زمن القديس أوغسطينوس. ويعتبره مونصو سفسطائيا. له مؤلفات أهمها: *رسالة حول الكنيسة الضوناتية* (Epistola de Ordine Episcoporum)، *ورسالة ضد القديس أوغسطينوس* (Epistola I ad Augustinum) توفي عام 420 م[109] .

---

(107) Guernier E. (1950), *La Berbérie, L'Islam et la France*, Tome I ; Guernier E. (1950), *Le Destin de l'Afrique du Nord*, Paris ; Monceaux (1922), vol. VII, pp. 76-272.

(108) Monceaux (1922), vol. XX, chap. III, pp. 111-144.

(109) Monceaux (1922), vol. VI, pp. 61-62 et passim.

54 . كايسكونيوس النحوي (ق4–5م) Caesconius le grammairier

كل ما نعرفه عنه هو أنه كان ضوناتيا أفريقي المولد ومعارضا للقديس أوغسطينوس. كان فقيها في النحو وفصيحا بارعا. ألف كتابا تحت عنوان : Epist. ad Augustinum .(110)

55 . ماكروبيوس (ق 4 –5 م)

Ambrosius Macrobius Theodosius

هو رجل نحو وفيلسوف أمازيغي قديم، معاصر للقديس أوغسطينوس ويتقاسم معه نفس الوطن. ويعترف هو نفسه بكونه ليس رومانيا، ويرجع أصله إلى نواحي مدينة هيبون . انظر في هذا الصدد:

Macrobe, Sat., Praefat., 11-12, éd. Eyssenhardt, Leipzig, 1868..

ألف كتابا تحت عنوان: *Saturnalia*، وآخر تحت عنوان: شرح حلم سكيبيو (*In Somnium scipionis*). وألف أيضا كتابا خصصه للأديب الروماني فيرجيل. شغل مناصب سياسية عديدة، من بينها منصب حاكم قرطاج. وعين أيضا حاكما ببلاد إسبانيا وببلاد الغال. كان وثنيا في وقت كانت فيه المسيحية مزدهرة بشمال إفريقيا(111) .

56 . فولكنتيوس الضوناتي (ق 4–5م) Fulgentius le donaliste

ليست لدينا معلومات دقيقة حول هذا المفكر. وصلنا منه كتاب تحت عنوان: *رسالة حول التعميد* (*De baptismo*)، ومن خلاله يتبين أن الكاتب أمازيغي عاش في زمن القديس أوغسطينوس، وكان من الثوار

---

(110) Monceaux (1922), Liv. XX, chap. II, pp. 87-110.

(111) *Britannica*, vol. VII: 648: 3b; Monceaux (1894), pp. 426-445 ; *Encyclopédie Philosophique Universelle*, vol. I, p. 206 ; Macrobe, *Les Saturnales*, éd. Et trad. H. Bonnecque et F. Richard, Paris, 1937 ; Wittaker T. (1923), *Macrobius, or Philosophy, Sciences and Letters, in the year 400*, Cambridge.

الضوناتيين. المصدر الثاني لمعلوماتنا عنه هو المحاورة المنسوبة للقديس أوغسطينوس تحت عنوان: Contra Fulgentium donatistam [112].

57 . مارتيانوس كاپيلا (ق 5 م) *Martianus Capella*

ازداد كابيلا بمدينة ماداورا (نفس المدينة التي ازداد بها الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس). ثم رحل إلى قرطاج حيث قضى معظم حياته. وهو من معاصري القديس أوغسطينوس. مارس مهنة المحاماة. واعتنق الوثنية والأفلاطونية المحدثة ورفض المسيحية. من أهم مؤلفاته كتاب تحت عنوان: *زواج عطارد والفيلولوجيا* (De Nuptiis Philologiae et Mercurii) وهو عبارة عن موسوعة علمية على شكل قصة، بعضها شعر وبعضها نثر. ألف كاپيلا قصته هذه بين 410 م و 439 م، أي خلال فترة استيلاء الوندال على قرطاج[113].

---

(112) Augustinus, *Contra Fulgentium donatistam*, in : Migne, *PL*, Tome 43, pp. 763-774; Fulgentius, De Baptimo; *Dictionnaire de la Théologie Catholique*; Monceaux (1922), Tome VI, pp. 221-232 ; Tome V, pp. 335-339.

(113) Martianus Capella, *Opera*, éd. Dick, Leipzig, 1925; Monceaux (1894), pp. 445-458.

الفصل الثاني

المنطق في الفكر المغاربي القديم

❑ مقدمة

في هذا الفصل ننوي حَمْلَ كلمة "منطق" على كل الأنشطة العقلية التي تشكل أورْگانُون أرسطو المعروف[1] . لهذا سوف نهتم، بالإضافة إلى الجانب البرهاني من المنطق، بالجدل والريطوريقا على الخصوص؛ لأن كثيرا من المثقفين المغاربيين القُدَامى اشتغلوا بأكثر من جانب من جوانب المنطق بالمعنى العام.

أما مصطلح "مغاربي" فقد تَبَنَّيْنَاهُ لأغراض توضيحية فقط. ونقصد بالفكر المغاربي الإنتاج الثقافي الذي أفرزه سكان شمال إفريقيا باستثناء مصر. أما كلمة "قديم" في العنوان أعلاه فتَحيل على الفترة المحصورة ما بين القرن 12 ق.م والقرن 6 م. وهي أطول الفترات التاريخية باعتبارها دامت تقريبا ثمانية عشر قرنا.

لماذا الاهتمام بالفكر المغاربي القديم؟ لأن هذا الفكر غير مدروس بما فيه الكفاية، وقليلا ما يُثير اهتمام المتخصصين وخاصة مؤرخي العلوم. لقد تبين لنا ونحن نقرأ كتب تاريخ المنطق غياب الإحالات على

(1) يحتوي أورغانون أرسطو على ستة كتب وهي: (1) المقولات (في الحد والأوجه التي تقال على الوجود)، (2) العبارة (في القضايا والأحكام)، (3) التحليلات الأولى (في نظرية الأقيسة)، (4) التحليلات الثانية (في نظرية البرهان العلمي)، (5) الجدل (في البرهنة المحتملة)، (6) السفسطة (في الرد على السفسطائيين). أما الأورغانون الذي شاع عند العرب فيضم، إلى جانب الكتب الستة المذكورة : (7) إيساغوجي (في بعض الألفاظ الكلية) وهو لفورفوريوس الصوري، (8) الخطابة (في الأقيسة البلاغية : الريطوريقا)، (9) الشعر (في القياس الشعري والعوامل المؤدية إلى جودة الشعر). ولقد نقل العرب هذا الترتيب لمحتويات الأورغانون عن السريان. وهو تنظيم كان سائدا بالإسكندرية. انظر في هذا الصدد : عبد الرحمان بدوي (1980)، نيقولا ريشر (1985)، و ابراهيم مذكور (1969).

النصوص التي ألفها مغاربيون قُدَامى في ميدان المنطق، وأحيانا تُنسب هذه النصوص إلى كُتَّاب آخرين ليسوا مغاربيين. لهذا وَددنَا هنا إثارة انتباه القارئ المغاربي المعاصر إلى إعادة الاعتبار لما يزخرُ به تاريخه من انتاج ثقافي سواء في ميدان الثقافة العامة أو في ميادين متخصصة مثل المنطق. ولكي نموضع المنطق المغاربي القديم ، سوف نتناول أولا مراحل تطور المنطق بشكل عام.

مراحل تطور المنطق بشكل عام :

إذا استثنينا المنطق الهندي والمنطق الجدلي السابق على أرسطو، فيمكن القول إن المنطق بشكل عام، مَرَّ بثلاث مراحل أساسية وهي:

1 . المرحلة القديمة وتبدأ بالقرن 4 ق.م لتنتهي بالقرن 6 م.

2 . المرحلة القروسطوية، وتبدأ بنهاية القرن 6 م لتصل أوج تطورها في القرن 14م.

3 . المرحلة الحديثة و المعاصرة، وتبدأ ببداية 19م. مع العلم أن بين هذه الفترات عصور جمود وشروح.

أما المنطق القديم، وهو الذي يهمنا هنا، فقد مر بمرحلتين أساسيتين (دون احتساب فترة الإرهاصات الأولية عند السفسطائين وأفلاطون):

أ. مرحلة التأسيس (من ق 4 ق .م حتى ق 2 م):

وهي التي تميزت بظهور وتطور أعمال ارسطو وتيوفراسط ثم أعمال الميغارين (مثل: Eubulides و Diodorus و philo و stilopo) وأخيرا أعمال رواقيين (مثل: Zeno و Chrysippus).

ب. مرحلة اللمسات الأخيرة والشروح (من ق 2 ق.م حتى القرن 6م).

وهي فترة حاول فيها المهتمون بالمنطق وضع اللمسات الأخيرة لهذا المبحث. ومن بين روادها أبوليوس المداوري (واضع مربع التقابلات) وفور فوريوس (صاحب إسياغوجي) وجالينوس (واضع الشكل الرابع من أشكال القياس) وبويتيوس (مطور نظرية القياس الشرطي). أما شراح أرسطو في هذه الفترة فأهمهم الاسكندر الافروديسي (ق3 م) وأهم شراح الرواقية سكتوس إمبريكوس وديوجين لايرتس (ق 3م). وفي هذه المرحلة الأخيرة، ظهرت أعمال المغاربيين القدامى في ميدان المنطق.

- **كيف انتقل المنطق اليوناني إلى شمال إفريقيا القديم؟**

ربط الأفارقة القدامى علاقات وطيدة مع الإغريق منذ تأسيسهم لمدينة قورينا سنة 631 ق.م. ولم يقتصر تفاعلهم مع المغاربيين على قورينا، بل حصل أيضا بمدن أخرى نذكر منها على سبيل المثال العاصمة العلمية للمغرب الأقصى القديم كايصاريا والعاصمة العلمية للمغرب الأوسط القديم قرطاج. ولما سقطت هذه الأخيرة تحت سلطة الرومان سنة 146 ق.م توجه المغاربيون إلى الشرق الإغريقي، وفيه تعلموا اللغة اليونانية والعلوم والفلسفة. ونذكر من بين هؤلاء الفيلسوف المغاربي هاسدروبال القرطاجي (ق2 ق.م). وحسب ديوجين، كتب هذا الفيلسوف حوالي اربعمائة كتاب كلها باللغة اليونانية[2] . ولقد أصبح بعد ذلك الرحيل إلى أثينا لاستكمال الدراسة تقليدا علميا تبناه أغلب الطلبة المتخرجين من الجامعات المغاربية القديمة. وفي القرن الأول قبل الميلاد، استورد ملك المغرب، يوبا الثاني، مثقفين يونانيين

---

(2) Diogène L., *Vies des Philosophes*, IV; Cicero, Acad., II, 31-32.

من شتّى الاصناف. وبذلك ازدهرت الكتابة باليونانية. وكان الملك يوبا نفسُه من أشهر كُتّاب عصره[3]. ومن بين هؤلاء الكاتب المغاربيين القدامى كورنوتوس اللبتى (Cornutus de Leptis : ق 1 م) وفرونطو (Fronto: ق 2 م) وأبُوليوس (Apuleius: ق 2 م) والامبراطور المغاربي سيفيروس (Severus : ق2 م).

منذ أن اختلط المغاربة باليونان (أي منذ سنة 631 ق.م على الأقل) وهم يهتمون بالفلسفة والعلوم العقلية عامة ومن المتداول تاريخيا أن أفلاطون زار قورينا، عاصمة ليبيا القديمة بين 399 و 396 ق.م للالتقاء بالرياضي المشهور تيودور (Théodore) والذي ذكره أفلاطون في محاورة تِياتيتُوس[4] (Théétète) يقدم أفلاطون هذا الرياضي على أساس أنه واضع الهندسة الفراغية[5]. ومن المسائل التي ذكرها ديوجين أن سقراط وأفلاطون كانا على اتصال بالمفكرين القورينيين[6]. أما أرسطو فقد زار قرطاج واقتبس الكثير من دساتيرها. لكننا لا نعرف المدة التي مكثها هؤلاء الفلاسفة بشمال افريقيا القديم ولا ندري إلى أي حد كان تبادل الأفكار بينهم وبين مفكري شمال افريقيا القديم مهما.

أضف إلى تلك اللقاءات الفردية اللقاءات الجماعية التي حصلت بين اليونان والمغاربيين القدامى، خاصة في عهد يوبا الثاني (ق 1 ق.م - ق1م)، وأيضا بالمدارس الأثينية من خلال الطلبة المغاربة القادمين إلى أثينا

(3) Plutarque, *Serto.*, 9; Muller C., *Frag. Histoir. Graec.*, pp. 465sqq.

(4) Platon, *Théétète*, 143c sqq. (pp. 57 sqq de la traduction française d'Emile Chambry, G. Flammarion, 1967). Voir aussi : Diogène L., *vies*, III, 6 ; Bousquet J. (1952), *Le Trésor de Cyrène à Delphes*, FD, II, p. 75.

(5) Platon, *Théétète*, 145a et 145d-e.

(6) Diogène L., *Vies*, III, 6.

قصد كسب العلم. ولقد نقل هؤلاء الطلبة كتب الفلسفة والمنطق إلى بلدانهم، وترجموها من اليونانية إلى اللاتينية. ثم هناك أيضا احتكاك المفكرين المغاربيين بالمدرسة الرواقية مباشرة، باعتبار هذه الأخيرة تطورت بنفس المناطق الجغرافية التي كانوا معا يعيشون بها.

المنطق في الفكر المغاربي القديم

كباقي الشعوب التي جاورت البحر الأبيض المتوسط، تداول المغاربيون القدامى مادة المنطق بكل أشكاله. وعايشوا تقريبا كل مراحل تطوره. بل وساهموا في وضع اللمسات الأخيرة لما يُسَمَّى اليوم بالمنطق القديم. وترجموا بعض أجزاء الاورگانون الأرسطي من اليونانية إلى اللاتينية. وساهموا أيضا في وضع المصطلحات التقنية الأولى، سواء في ميدان المنطق الصوري أو في ميدان المنطق التطبيقي. لكن المنطق بالفكر المغاربي تميز بمجموعة من السمات تجعله يختلف عن نفس المادة عند شعوب أخرى مثل اليونان والهند وحتى الرومان. ومن أهم سمات الفكر المنطقي بشمال افريقيا القديم ما يلي:

1 . اهتمام المغاربيين القدامى بالمنطق الرواقي أكثر من اهتمامهم بالمنطق الأرسطي. وقد يرجع هذا إلى سببين: الأول احتكاك المغاربة المباشر برواد المدرسة الرواقية بروما وبشمال افريقيا القديم؛ والثاني يتمثل في الميل الطبيعي للمغاربة القدامى إلى الريطوريقا.

2 . اهتمام المغاربة القدامى بالريطوريقا والطوبيقا أكثر من اهتمامهم بنظرية القياس[7] .

---

(7) Humbert J. (1932), *Histoire illustrée de la literature latine*.
لنذكّر هنا أن الريطوريقا ظهرت مع اليونان القدامى حيث وضع قواعدها الأولى كل من Tisias و Corax و Empédocle . ثم جمع أرسطو هذه القواعد وقننها. وأخيرا تم جمع التراث اليوناني بروما من طرف كيكيرو وكوينتليانوس (Quintilianus) . وحينئذ تم تمرير هذا الإرث إلى شمال إفريقيا القديم.

3 . العناية بالمصطلح القتني. وقد برع في هذا الميدان كل من فيكتورينوس (Victorinus) الأفريقي[8] وابوليوس (Apuleius) المداوري[9] .

4 . ترجمة كتب المنطق من اليونانية إلى اللاتينية .

أهم رواد المنطق بشمال إفريقيا القديم ومساهماتُهم

ينتمي المناطقة المغاربة القدامى إلى الفترة الثانية من فترات تطور المنطق القديم، وهي فترة اللمسات الأخيرة والشروح (مابين القرن 2 ق.م و القرن 6م). ولقد برز من بينهم مفكرون مشهورون لا يزال التاريخ يعترف لهم بالخدمات التي قدموها للعلم عامة وللمنطق خاصة. وفيما يلي أهم هؤلاء المناطقة.

1 . كورنوتوس اللّبْتي Cornutus de Leptis

هو فيلسوف وريطوريقي ونحوي مشهور. يمكن اعتباره أول من كتب في المنطق بشمال أفريقيا القديم. ازداد بمدينة لبتس ماگنا (Leptis Magna) وهي مدينة ليبدا (Lebda) بليبيا الحالية، الواقعة على الساحل المتوسطي، والتي أسسها البُونَيُّون. وهي موطن الامبراطور الروماني الافريقي الأصل سيفيروس (Septime Sévère). ويعتبر كورنوتوس واحدا من أشهر زعماء المدرسة الرواقية ومن أبرز علماء روما في القرن الأول الميلادي. أما أعماله الأدبية فكثيرة، ويمكن تصنيفها إلى صنفين: الصنف الأول يتضمن أعمالا لغوية، في النحو خاصة، ومن أهمها كتاب *De Orthographia*، وهو مؤلف باللغة اليونانية، وكتاب آخر حول الشاعر الروماني فيرجيليوس (Virgilius: ق 1م). أما الصنف

(8) انظر في هذا الصدد الفصل الرابع من هذا العمل.

(9) انظر حول أبوليوس الفصل الثالث من هذا العمل.

الثاني من مؤلفاته فيتمثل في أعماله الفلسفية وأغلبها باللغة اللاتينية. ومن أهم هذه الأعمال الرد الذي صاغه حول كتاب المقولات لأرسطو. وفيه ينتقد بشدة النتائج التي توصل إليها أرسطو. كما ردّ في نفس الموضوع على الفيلسوف أثينودُور (Athénodore de Tarse) في كتاب تحت عنوان: *Pros Athenodoron* وكان كورنوتوس يقرأ المقولات على أساس أنها مقولات نحوية على عادة الرواقيين. وألف أيضا هذا الفيلسوف كتابا في نفس الموضوع تحت عنوان : Péri Hekton (كيفيات الجوهر)، وهي تسمية يُطلقها الرواقيون على المقولات. وينَسُب مونصو (Monçeaux) لفيلسوفنا كتابين آخرين الأول تحت عنوان: أشكال التعقل والثاني تحت عنوان : *مقال في الريطوريقا* . وكلاهما باللغة اليونانية[10] . وله كذلك مؤلف في اللاهوت تحت عنوان: مختصر في *التقاليد اللاهوتية اليونانية* طُبع بلايبزك سنة 1881 . وفي هذا الكتاب يعرض كورنوتوس المذهب الرواقي في التأويل الرمزي للأساطير اللاهوتية، متأثرا في ذلك بآراء گريسيبوس (Chrisippos). وهذا الكتاب هو الوحيد الذي وصلنا من كل ما كتبه كورنوتوس. وهو مؤلف باليونانية. أما في المنطق فلم يصلنا مما كتبه هذا الفيلسوف أي شيء. ولهذا لا يمكن أن نحكم على قيمته العلمية والتاريخية من خلال ما كتبه عنه الآخرون فقط[11] .

---

(10) Cf. Monceaux (1894), pp. 185 sqq.

(11) هناك مراجع كثيرة حول كورنوتوس نذكر من بينها :

Moraux P. (1985), *Der Aristotélismus bei der Griechen*, von Andronikos bis Alexander von Aphrodisias, II, Berlin, De Gruyter, pp. 592-601; Most G.W. (1989), *Comutus and Stoïc allegoresis* -, in: Aufstieg und Niedergang der Römishen welt, II, 36, 3, Berlin, De Gruyter, pp. 2014-2065 (+ Bibliographie); Decharme P. (1904), *La critique des traditions religieuses chez les grecs*, Paris; Aulu Gèle, *Nuits Attiques*, II, 6, 1 et IX, 10,5; Keil, *Grammat. Lat. Vet.*, I, 127, VII, 147; Monceaux P. (1894), *Les Africains*, pp. 185 sqq.; Encyclopedia Britanica, vol. 3, p. 641; *Encyclopédie Philosophique Universelle*, vol. 1, p. 104.

II .أبوليوس المَدَاوري (Apulée de Madaure : ق 2 م)

هو أشـهر المناطقـة المغاربيين القـدامى على الإطلاق. ازداد بمدينة مَدَاورا (مداوروش بالجـزائر الحالية) سنة 125م درس بنفس المدينة، ثم انتـقل لاتمام دراسـتـه إلى جـامـعـة قـرطاج ثم إلـى أثينا ثم رومـا. ألَّـف ابوليوس مؤلفات كثيرة يمكن تصنيفها كما يلي:

1 . مؤلفات أدبية: أهمها كـتاب فلوريدا Florida وهي مجمـوعة من خطب أبوليوس في الريطوريقـا البيانية، وكتـاب أبولوگيا (Apologia) في الريطوريقا القضـائية، وأخيرا كتـاب التحولات (Métamorphoses) وهو أول قصة مكتوبة على شكل نثر في تاريخ الأدب الإنساني.

2 . مؤلفات فلسفية: أهمها كتـاب حول إلاه سقراط (De Deo Socrates)، وكتاب آخر حـول مذهب أفلاطون (De Platone et ejus dogmato) حيث الجزء الثالث منه خـاص بالمنطق. ولقد وصلنا هذا الجزء تحت عنوان: "في العبارة" (Péri Hermeneias). في هذا الكتاب الأخيـر اهتم أبوليوس أولا بنحت مـصطلحات تقنية كـانت اللغة اللاتـينية، وهي لغـة شمـال افريقيا آنذاك، في حاجة إليـها. وهكذا وضـع هذا الفيلسوف، ولأول مرة في تاريخ المنطق، مـصطلح ومـفـهـوم القضـيـة (Proposition) كمـا هو متداول اليوم. وفي الفصل الأول من هذا الـكتاب حاول أبوليوس تقريب قارئه من معنى الخطاب (Oratio Pronuntiabilis) الذي يهتم به فن الجدل (المنطق). أمـا الفصل الثـاني فقـد خـصصـه للقضـايا وأنواعهـا. وأثناء حـديثـه عن هذه الأخـيـرة، أدخل أبولـيـوس، لأول مـرة، مـقـولتـي الكم والكيـف. وفي الفصـول البـاقـية اهتم ابوليوس بترابط القضايا فـيما بينها، وأنواع الاستـدلال وقواعد تحـقق الاستدلال. وفي الفـصـل الخامس من تلك الفـصـول عـرض ابوليـوس لأول مـرة مـا يُعـرف اليـوم بمربع

التقابلات. ورغم تأثر أبوليوس بأرسطو والرواقية معا، فإنه لم يتردد في انتقادهما جميعا. وأثر هو الآخر في الدراسات المنطقية بعده إلى حدود القرن الرابع عشر الميلادي. واعتبر كتابه هذا أول كتاب في المنطق الصوري باللغة اللاتينية(12).

III . فرُونْطو (Marcus Cornelius Fronto : ق2 م)

هو خطيب ومحامي مغاربي مشهور؛ يعادل في شهرته الريطوريقي الروماني المعروف كيكيرو (Ciceron). علَّم الريطوريقا والجدل للامبراطور الروماني ماركوس أوغليوس (Marcus Aurelius)، وتتلمذ عنه أيضا الأديب والفيلسوف المعروف أولوس غيليوس (Aulus Gellius) ازداد بمدينة كيرتا (Cirta: قسطنطينية الحالية) حوالي 110 م. ثم رحل إلى قرطاج وروما لإتمام دراسته. تتملذ بروما عن الفيلسوف أثينودور (Athénodore) وعن الخطيب ديونيسيوس (Dionysius). كان فرونطو يُعتبر أكبر محامي زمانه. رافع في قضايا عامة وقضايا سياسية وخلق من حوله مدرسة تكونت من مُريدين يُدْعَوْن بالفرونطونيين. ولهذا الريطوريقي المغاربي نظرية في الفصاحة مؤسسة على الانفعالية والشعورية. وكان يعتبر الريطوريقا أهم أشكال الأدب، بل كان يُرجع كل أشكال الأدب إلى الريطوريقا. وله أيضا نظرية في التربية(13).

---

(12) Cf. Londey D. and Johanson C. (1987), *The Logic of Apuleius*, E.J. Brill. L'ouvrage contient l'original latin de *Péri Hermeneias* et une traduction anglaise du texte établi par P. Thomas.

(13) وردت هذه المعلومات وغيرها حول فرونطو في كتابين أساسيين. الأول هو : الليالي الأتيكية لأولوس غيليوس ، والثاني هو كتاب الأفكار لماركوس أوغليوس.

لقد ضاع معظم ما كتبه فرونطو وخاصة خُطبه. ولم يصلنا من كتبه إلا أجزاء متفرقة، كما سنرى.

أما فيما يخص مادة المنطق فقد اهتم فرونطو بها من خلال اهتمامه بالريطوريقا. وله في هذا الباب نظرية عرضها في كتاب له تحت عنوان: *De Eloquentia* فيه يُعدد الكاتب مزايا الفصاحة، ويولي اهتماما خاصا لدور الألفاظ وتقنيات تركيب الجمل الفصيحة وفي هذا الإطار تأثر فرونطو بالرواقية من خلال أستاذه الرواقي أثينودور[14] .

IV . فيكتورينوس الأفريقي (Victorinus Afer: ق 4 م)

هو فيلسوف وريطوريقي أفريقي. ولد بتونس الحالية حوالي 300م. درس ودرّس بأفريقيا ثم بروما. ورغم شهرته في عصره ، أصبح فيكتورينوس منسيا منذ القرن الثاني عشر الميلادي حتى الآن. نُعت هذا الفيلسوف بكونه أباً للافلوطينية اللاتينية. ولقد تَرجَم كثيرا من كتب الأفلوطينيين من اليونانية إلى اللاتينية. ويُعتبر كذلك أول من وفّق بين الأفلوطينية والديانة المسيحية، بالإضافة إلى مشاركته الفعالة في الصراع ضد الأريوسية[15] . وسوف يأتي الحديث عن أعماله المنطقية في الفصول القادمة.

---

(14) Cf. Marcus Aurelius, *Pensées*; Aulus Gelius, *Nuits Attiques*; Monceaux (1894), *Les Africains*, pp. 211 sqq. ; *Encyclopedia Britanica*, vol. 5, p. 22 ; Fronto, *Correspondances*, 2 vols, 1912-1920 (avec une traduction anglaise) ; Sextus Empiricus, *Adversus Mathematicus*, XI, 8.

(15) انظر الفصل الخاص بالأريوسية بعده.

٧ . تيكونيوس الأفريقي (Tycunius Afer: ق 4 م)

هو كاتب ضوناتي، مجادل وفيلسوف. ازداد بأفريقية البروقنصلية حوالي 330 م[16] . عُرف عنه أنه شخص ذكي وفصيح. تعامل مع النص الديني بعقلانية جعلته ينتهي إلى وضع منهج جديد للتأويل يهدف إلى تحقيق موضوعية أكثر وتجنب المجادلات العقيمة[17] . و من أهم مؤلفات تيكونيوس كتاب القواعد (Liber regularum) الذي ظهر سنة 382 م. يعرض فيه الكاتب منهجا يُقنن التفسير والتأويل، أي مجموعة من القواعد لتوحيد الطريقة التي بواسطتها يتم فهم النص الديني. وهي طريقة تعتمد على تحليل النص، سواء من الناحية اللغوية أو من الناحية المنطقية[18] . لقد مارس تيكونيوس ما يمكن وصفه بالتأويل العقلاني للنصوص الدينية. ولقد كان استعمال العقل وتقنين أدوات التأويل أساس منهجه. وبهذا يمكن اعتبار هذا الفيلسوف ممثل الاتجاه العقلاني عند النزعة الضوناتية[19] .

---

(16) Cf. Augustin, *Confessions*, VII, 9 et VIII, 2; Bochensky, *History of Formal Logic*; *Encyclopedia Britanica*, vol. 25, p. 891; Hadot P. (1968), *Porphyre et Victorinus*, Paris; Monceaux P.(1905), *Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne*, Tome III, chap. 4 ; Monceaux P. (1894), *Les Africains*, pp. 401 sqq.

(17) Monceaux (1920), p. 166, note 5.

(18) انظر هنا، الفصل الخاص بتيكونيوس.

(19) Cf. Monceaux (1920), vol. 5, pp. 165-219 (notamment p. 188). Voir aussi: Tyconius, *Liber de septem regulis*, ou : *Liber regularum*, in Migne, *Patrologie Latine*, Tome XVIII, pp. 15-65 ; *Dictionnaire de la Théologie Catholique*, vol. XV, cols 1932-1934 ; Burkitt F. (1894), *The Book of Rules of Tyconius*, coll. "Texts and Studies", Tome III, fasc. 1, Cambridge.

VI . مارتيانوس كابيلا الأفريقي (Martianus Capilla: ق 4 م)

هو كاتب ريطوريقي أفريقي، ازداد بقرطاج مع نهاية القرن 4م. سُمي في القرون الوسطى بالافريقي (Afer) وأحيانا بالقرطاجي[20]. مارس الريطوريقا والمحاماة، ولم يكن متدينا، بل تبنى الأفلوطينية كفلسفة في الحياة. ألف مارتيانوس كتابا أساسيا تحت عنوان: زواج عطارد بالفيلولوجيا Nuatiis Philologiae et Mercurii وهو كتاب على شكل قصة في تسعة أبواب. له قيمة تاريخية في كونه يُعرِّف بكثير من العلوم أوالفنون القديمة (ما سمي بالفنون الحرة أوالفنون السبعة). يتضح من عنوان الكتاب أن صاحبه يحاول الربط بين اللغة والفلسفة من جهة، واللغة والمنطق من جهة ثانية. فعطارد هو إلاه الريطوريقا. تزوج بالفتاة الارضية فيلولوجيا، رمز الرغبة في الحكمة. وقبل آلهة الأولمپ هذا الزواج، وقدموا سبعة خدم للعروس كهدية. يمثل هؤلاء الخدم الفنون السبعة التالية: النحو والجدل والريطوريقا والهندسة (التي كانت تتضمن أيضا الجغرافيا) والحساب وعلم الفلك والهرمونيا. ولقد خصص الكاتب فصلا كاملا من فصول كتابه (وهو الفص الرابع) للمنطق. فيه يتحدث عن المقولات والقضايا وتقابلاتها وعن الأقيسة[21].

VII . القديس أوغسطينوس (Aurelius Augustinus: ق 4 م)

هو فيلسوف وريطوريقي ورجل دين معروف. ازداد بمدينة تاگاستْ (Thagaste) ، سوق أهراس بالجزائر الحالية، سنة 354م. درس بقرطاج ودرَّس بها، ثم رحل إلى روما ومن بعدها ميلانو حيث

---

(20) Monceaux P. (1894), Les Africains, pp. 445 sqq.

(21) Martianus Capilla, *De Nuptiis Philologiae et Mercurii*, Vicenza, 1499, éd. A. Dick, 1925 , éd. J. Willis, 1983 ; Monceaux (1894), *Les Africains*, pp. 445 sqq. ; *Encyclopedia Britannica*, vol. 2, p. 828 ; Bréhier E. (1951), *Histoire de la Philosophie*, Tome 1, fasc. 3, pp. 531 sqq.

حصل على لقب أستاذ في الريطوريقا. وقبل وفاته بقليل رجع إلى أفريقيا. اعتنق أولا المانوية[22]، ثم أصبح مسيحيا بعد قراءته للفلسفة الأفلوطينية.

للقديس أوغسطينوس كتب فلسفية كثيرة سوف نذكرها في الفصل الخاص بهذا الفيلسوف. له في المنطق مجموعة من الكتب أهمها :

أ. مبادئ المنطق: *Principia Dialacticae*

ب. مبادئ الريطوريقا : *Principia Rheforices*

جـ . المقولات العشر الارسطية : *Categoriae drcem ex Aristotele decerptae*

لكن الرهبان البندكتيين[23] (Bénédictins) يعتبرون هذه الكتب منحولة. وبغض النظر عن هذا الموقف فإن القديس أوغسطينوس يعتبر المنطق مادة ضرورية لأنها هي التي تسمح بالرد على السفسطائيين في كل ما يتعلق بالأمور الدينية، بالإضافة إلى كونها تُعلمنا فن التعاريف وفن الفصاحة اللذين يسمحان لنا بإظهار الحقيقة[24]. وسوف يأتي الحديث بشكل مفصل عن أعمال أوغسطينوس المنطقية في فصل خاص من هذا العمل.

---

(22) المانوية (Manichéisme) هي فرع من فروع الديانة المسيحية ، أسسها ماني بن فاتك (ق 3 م). وهي نزعة تقوم على ثنائية عنصرين متعارضين : الخير والشر أو النور والظلام. انتشرت بشمال إفريقيا وإسبانيا وعاشت ما يقرب من ألف سنة. انظر تفاصيل أكثر حول هذه النزعة في
Dictinnaire de la Théologie Catholique, entrée : "Manichéisme"

(23) نسبة إلى القديس بونوا النورسي (Benoît de Nursie) (480-547 م).

(24) Cf. St. Augustin, *De Doct. Christ.*, II, 31, 34, 35, 36, 48, 49, 52-54; Gilson E. (1949), *Introduction à l'Etude de St. Augustin*, Paris, 3ème éd. ; Ayer R.H. (1979), *Language, Logic and reason in the Church Fathers*, A Study of Terullien, Augustine and Aquinas, N. York; Bubacz B. (1981), *St. Augustine's Theory of knowledge, a contemporary analysis*, N. York/Toronto; Augustin, *Principia Dialectica*, in : Opera Omnia, éd. Migne, Patrologie Latine, vol. 42, Paris, 1961; Augustin, *Categoriae decemi*, in : Ibid.; Pépin J. (1976), *St. Augustin et la dialectique*, Villanova; Madec G. (1988), La bibliothèque augustinienne, Paris ; Cameau M. (1930), *La Rhétorique de St Augustin*, Boivin, Paris ; Kneale and Kneale (1962), *The Development of Logic*, Oxford, Clarendon Press, pp. 174, 188, 239 et 599.

□خلاصة

يتضح مما تقدم أن المغاربة القدامى بدأوا يهتمون بالمنطق انطلاقا من كورنوتوس اللبتي، أي ابتداء من القرن الأول الميلادي. جاء بعده أبوليوس المداوري وفرونطو في القرن 2 الميلادي، ثم فيكتورينوس وتيكُونيوس ومارتيانوس كابيلا وأوغسطينوس في القرن الرابع الميلادي. يمكن إذن حصر الفترة الزمنية التي تطور فيها المنطق في الفكر المغاربي القديم في القرون الأربعة الأولى للميلاد. وكثيرا ما تُنعت هذه الفترة بكونها فترة ما بعد الإبداع. وقد تميزت بخواص ثقافية معينة نذكر أهمها فيما يلي:

1 . انتشار النظرية الجيومركزية للعالم.

2 . انتشار الاعتقاد في النجوم وقدرتها على التحكم في مصير الإنسان.

3 . غياب الإبداع الفلسفي والعلمي باستثناء الفنون التطبيقية والطب (مع جالينوس) والميكانيكا (مع هيرون Héron الاسكندري)[25] والكيمياء والحساب (مع فيلون Philon الاسكندري)[26] .

4 . طغيان الريطوريقا على الفلسفة حيث أصبح الفيلسوف هو الريطوريقي. وفي هذا الإطار انتشرت الفلسفة الرواقية أكثر من غيرها.

(25) هيرون الإسكندراني هو رياضي وميكانيكي قديم عاش خلال القرن الأول الميلادي. ألف مؤلفات كثيرة في الميكانيكا والرياضيات والبصريات.

(26) هو فيلسوف من أصل يهودي عاش ما بين القرن 1 ق.م. والقرن الأول الميلادي. ويعتبر من المؤسسين الأوائل للأفلوطينية.

5 - انتشار المذهب الشكاني مع Enésidène و Sextus Empiricus و Agrippa.

6 . في شمال أفريقيا القديم، وفي نفس الفترة التي انتعش فيها المنطق في الفكر المغاربي القديم، انتعشت من جديد الأفلاطونية وظهرت الأفلوطينية وهما اتجاهان فلسفيان تبنتهما الطبقة الميسورة، بينما تبنت الطبقة الفقيرة الرواقية.

7 - في مقابل انتشار النزعتين الأفلاطونية والأفلوطينية قَلّ تداول التوجه الأرسطي بشمال إفريقيا القديم، ربما لعدم تلاؤمه مع معتقدات ذلك العصر. ولم يهتم المغاربيون القدامى من كل الإرث الأرسطي إلا بالمنطق الصوري و الريطوريقا. وكان هذا المبحثُ الأخير عندهم أغرّ ما يُطلب.

بعض المصادر والمراجع

- Apulée, *Péri Hermeneias*, éd. P.Thomas, 1938.
- Aulu - Gèle, *Nuits Attiques*, éd. I. Andreas, Rome, 1469 et éd. M. Marache, Paris, Les Belles Lettres, 3 vols, 1967-1989.
- Augustin, *Principia Dialecticae*, in: *Opera Omnia*, éd. Migne, *Patrologie Latine*, vol. 42, Paris, 1861.
- Augustin, *Categoriae decem*, in: *Ibid*.
- Ayer R.H (1979), *Language, logic and reason* ,in *Tht chureh Fathers, A study of Tertulianus, Augustine and Aquinas*, N. York
- Bousquet J. (1952), *Le Trésor de Cyrène à Delphes*, FD, II
- Bochensky (1961), *A History of Formal Logic.*, Notre Dame University Press.
- Burkitt F. (1894), *The Book of Rules of Tyconius*, Cambridge.
- Bréhier E (1951), *Histoire de la philosophie*, Tome I, Fasc 3.
- Cameau M. (1930), *La Rhétorique de St Augustin*, Paris: Boivin.
- Carcopino J. (1943), *Le Maroc Antique*, Paris: Gallimard (4ème éd.).
- Charles A. -J. (1951), *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris: Payot.
- Décharme P. (1904), *La critique des traditions religieuses chez les Grecs*, Paris
- Diogène L. ,*Vies des philosophes*, Paris: Garnier- Flammarion, 2 vols, 1965.

- *Dictionnaire de la Théologie catholique*, Paris, Librairie Letouzy et Ané, 1936.
- *Encyclopedia Britanica.*
- *Encyclopédie Philosophique Universelle*, Paris, PUF, 1992. 5 vols.
- Fronton, *Correspondances*, 2 vols, 1912-1920.
- Gilson E. (1949), *Introduction à l'étude de St Augustin,* 3è édition, Paris : J.Vrin.
- Gsel S., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord.* Paris, vol. I, 1818, vol. VIII, 1928.
- Guernier E. (1950), *La Berbèrie, l'Islam et la France*, Tome I, Paris : EUF.
- Hadot P. (1968), *Porphyre et Victorinus*, Paris.
- Humbert J. (1932), *Histoire illustrée de la littérature latine.* Paris, H.Didier.
- Keil, H. (1961), Grammatici Latini, 8 vols, de l'éd. 1855-1880. Heldesheim: olms.
- Kneale and Kneale (1962), *The Development of Logic,* Oxford Clarendon Press.
- Londey D. and Johanson C. (1987), *The Logic of Apuleuis,* E.J. Brill.
- Lévèque P . (1964), *L'aventure Grecque*, Armand Colin, Paris
- Madec G. (1988), La bibliothèques augustinienne, Paris.
- Marrou H. - I. (1937), St Augustin et la fin de la culture anique, Paris, Boccard.

- Martianus Capilla (1979), *De Nuptiis...*, Tubingen : Niemeyer.
- Monceaux P.(1894), *Les Africains*, Paris: Lecène, Oudin et cie.
- Monceaux P. (1920), *Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne.* Tome V. (1922), T.VI.
- Moraux P.(1985), *Der Aristotelismus bei der griechen...*, Berlin.
- Most G.W. (1989), " Cornutus ans Stoïc allegoresis", in: *Aufstieg und Niedergang...*, II, 36,3, Berlin.
- Marcus Aurelius, *Pensées*. Garnier - Flammarion, 2001.
- Plutarque, *Œuvres*, par Janet et Cotelle, Paris, 1818.
- Platon, *Théétète*, G.Flammarion, 1967,
- Sextus Empiricus, *Adversus Mathématiecus*, Teubner, 1914.
- Tyconius, Liber de septem regulis, in : migne, *PL*, Tome XVIII.

الفصل الثالث

المنطق الصوري :

الدراسات النقدية واللمسات الأخيرة

نموذج أبوليوس المداوري

مقدمة

الاسم الكامل لهذا الفيلسوف هو : Lucius Apuleius Theseus
وهو محام وفيلسوف وطبيب مغاربي عاش خلال القرن الثاني للميلاد. ازداد أبوليوس بمدينة ماداورا (Madaura)، ماداوروش بالجزائر الحالية، عام 125م. وكان يَعْتَزُّ بمدينته وبوطنه. يقول عن نفسه بأنه نصف نوميدي ونصف جَايْتُولِي[1] . ويقول أيضا: "أنا لا أخجل من وطني. لقد كنا أقوياء مع صوفاكس[2]؛ ولكن، لما انهزم هذا الأخير سلّم الرومان مدينتنا إلى ماسِّينيسًا[3]، والآن نحن نمثل تجمعا سكانيا رائعا"[4] .

بدأ أبوليوس دراسته الابتدائية بنفس المدينة التي ازداد بها. وكان في ماداورا آنئذ مدارس مهمة تردد عليها مفكرون أفارقة ذَوُو شهرة عالمية: فيها بدأ القديس أوغسطينوس دراسته، وهي أيضا مدينة الخطيب المشهور ماكسيموس (Maximus) زميل أوغسطينوس في الدراسة. وبنفس المدينة درس أيضا المؤرخ المغاربي القديم مارتيانوس كابيلا أحد ناقلي منطق أبوليوس إلى القرون الوسطى.

---

(1) Cf. *Apologia*, xxiv "Seminumidam et semigaetulum".

النوميديون هم السكان الأصليون القُدامى للجزائر الوسطى والشمالية الحالية. والجايتوليون هم فرع من السكان الأصليين لشمال إفريقيا القديم ، كانوا يتنقلون جنوب الجزائر الحالية.

(2) صوفاكس (Syphax) هو ملك المملكة الماسايسولية خلال العقدين الأخيرين من القرن الثالث قبل الميلاد.

(3) ماسينيسا (Massinissa) هو ملك المملكة الماسولية خلال الفترة الممتدة من 203 ق.م. إلى 148 ق.م.

(4) Cf. Apuleius, *Apologia*, XXIV

لم يكن أبوليوس يعرف في البداية إلا لغة بلده، أي اللغة الأمازيغية. أما اللغة اللاتينية واليونانية، فلم يتعلمهما إلا بالمدرسة. وكان يتحدثهما بطلاقة مع لكنة أفريقية[5] . وبعد نهاية دراسته الابتدائية في مَادَاوْرَا، تم إرسال أبوليوس إلى قرطاج حيث كانت أهم جامعة في المغرب القديم. وقد احتوت هذه الأخيرة على خزانة تعادل في أهميتها خزانة الإسكندرية بمصر القديمة. وهناك درس أبوليوس اللغتين اليونانية واللاتينية والفلسفة[6] . ولإتمام دراسته الجامعية رحل أبوليوس إلى أثينا، محج أغلبية مثقفي شمال أفريقيا القدامى[7] . وهناك تعلم الريطوريقا والموسيقا والشعر والعلوم الطبيعية والجدل (المنطق) والفلسفة. كما درس بها أيضا الديانات اليونانية والشرقية. ثم انتقل بعد ذلك إلى روما حوالي 150م. وفيها عَمَّق دراسته في اللغة اللاتينية والريطوريقا والقانون والديانات القديمة[8] . لكن المدينة لم ترقه؛ كان دائما يشعر فيها بأنه أجنبي. وأخيرا رجع إلى ماداورا، ثم إلى قرطاج حيث بدأ يبني شهرته.

وبعد فترة، بدأ رحلة إلى الإسكندرية ليزور جامعتها وخزانتها المشهورتين آنئذ. غير أنه مرض وهو في طريقه إليها، فاضطر إلى التوقف بمدينة أويَا (Oea: طرابلس الحالية). وبهذه المدينة تعرف على أرملة غنية اسمها (Pudentilla)، وهي أم طالب مغاربي التقى به أبوليوس بأثينا لمَّا كانا معا يدرسان الفلسفة هناك[9] . ولما لاحظت عائلة هذه الأخيرة أن أبوليوس يستغل ثروتها لتمويل بحوثه العلمية (حيث كان يقتني حيوانات نادرة لإجراء تجارب تشريحية عليها)[10]، اتهمته بأنه مارس عليها السحر لإغرائها واكتساب عواطفها من أجل

(5) Monceaux (1894), pp. 265-339.
(6) Apuleius, *Florida*, XVIII.
(7) *Florida*, XVIII.
(8) *Apologia*, LV.
(9) *Apologia*, LXVI.
(10) *Apologia*, XXIX; XVIII.

استغلال ثروتها. فرفعت العائلة دعوى ضد أبوليوس تولىّ فيها هذا الأخير الدفاع عن نفسه، ودوّن مرافعته في كتاب سماه الدفاع (Apologia) وبعد نجاحه في كسب القضية، رجع أبوليوس إلى قرطاج (في السنوات الأولى بعد الستين والمائة للميلاد)(11) ، حيث توفي بعد سنة 170م(12) .

يمكن اعتبار العصر الذي عاش فيه أبوليوس بداية للفترة الذهبية للأدب المغاربي اللاتينوفوني.و ينتمي أبوليوس إلى فترة أدبية فرعية سميت بالفترة السفسطائية الثانية (117م – 180م). تمتاز هذه الفترة بإحياء الاهتمام بالريطوريقا والفلسفة بصفة عامة وبالتنقل بين المراكز العلمية (أثينا، روما، الاسكندرية، قرطاج ...) . وكثر فيها الانتاج الفكري والاختلافات الثقافية بحكم اتساع الامبراطورية الرومانية وتعدد شعوبها. كثرت فيها أيضا الكتب المدرسية والتعاليق والملخصات. امتازت أيضا ثقافة هذه الفترة بالازدواجية في اللغة (اليونانية والرومانية) وبكون مثقفيها ينتمون إلى أجناس مختلفة. و هذا هو الإطارالثقافي الذي ينبغي أن نضع فيه أبوليوس المداوري(13) .

لكن من هو بالضبط أبوليوس ؟ هل هو فيلسوف أم خطيب أم محام أم طبيب أم عالم تشريح؟ لا شك أن المرء يحتار عندما يرغب في وصف أبوليوس بلقب معين. لقد كان هذا الرجل في نفس الوقت خطيبا ومحاميا وفيلسوفا وناقدا فنيا ومؤرخا ونحويا وشاعرا ورياضيا ومنطقيا وعالم فلك وعالم تشريح وعالم نفس. ومن كل هذه الألقاب كان أبوليوس نفسه يفضل لقب "فيلسوف". وبهذا كان يصف نفسه في *الدفاع*(14) . لقد كان فعلا فيلسوفا جمع بين العلم الأرسطي والتصوف

---

(11) *Florida*, XVI; XVIII.

(12) لا نملك عن أبوليوس أي خبر بعد سنة 170م. بعضهم يعتقد أنه كان حيا ستة 180م ، بل حتى سنة 190م. انظر في هذا الصدد :

Tatum J. (1979), *Apuleius and the Golden Ass*, Ithaca, p. 105; L'Introduction de la collection Budé de : Apulée, *Apologie*, *Floride*, 1971, par P. Vallette.

(13) Cf. Londey and Johanson (1987), pp. 9-10.

(14) *Apologia*, LXIV; LXV.

الأفلاطوني. لكنه كان يميل أكثر إلى أفلاطون[15] . بل نُحت له تمثال بمدينة مـاداورا كُـتـب في أسـفله: "Philosophus Platonicus" [16]. ونُحت له أيضا تمثال ببيزنطة وتمثالان آخران بقرطاج[17] . لكن هذه التمـاثيل الثلاثة اندثرت كلـها. بقيت له مـيداليـة خشبـية مـوجودة الآن بمتحف باريز للميداليات (انظر الصورة أسفله).

Le philosophe,
médaille d'après une gravure sur bois.



(15) Apuleius, *Peri Hermeneias*, VI.
(16) Cf. Augustin, *De Civitate Dei*, VIII, 14-22 ; XIV, 30.
(17) *Florida*, XVI.

ما هي الملامح الأساسية لشخصية أبوليوس العلمية؟

أبوليوس المداوري هو فيلسوف إفريقي الأصل والمولد، هليني الثقافة، روماني الجنسية. لكن ثقافته لم تكن مأخوذة عن اليونان أخذا سانجا. بل كان أصيلا. ولقد انتشرت شهرته في كل الآفاق خلال القرون القديمة والوسطى (باستثناء في الأوساط المسيحية للقرنين الرابع والخامس، نظرا لكون أبوليوس عدواً للمسيحية وساحرا في نظر المثقفين المسيحيين لتلك الفترة). كان شغوفا بمعرفة كل شيء، وكان ولوعا بالسفر. ويشهد مؤرخو الفكر القديم أن لديه موهبة كبيرة وذكاء خارقا. يملك الثقافتين اليونانية والرومانية معا (بالإضافة إلى ثقافته المحلية والثقافة البونية). مارس الخطابة القضائية والبيانية. يقول عنه مونصو: "كان مثقفو قرطاج يتسارعون لحضور محاضراته وكأن الأمر يتعلق بمهرجان عمومي. لا أحد كأبوليوس يعرف إثارة إعجاب الناس. وكان قادرا في نفس الخطاب على الحديث باللغتين اليونانية واللاتينية. يعرف أبوليوس الكثير من الأشياء، وكان يستشهد بكتب حفظها عن ظهر قلب. كان معجبا بنفسه إلى درجة أنه كان يقارن نفسه بسقراط. أعجب كثيرا بالديانات الشرقية (بما فيها اليونانية)، وكان يميل إلى التصوف ويكره المسيحية"[18] . ويعتبر مونصو شخصية أبوليوس نموذجا حيا لشخصية المثقف المغاربي. لكن النقاد لم يهتموا بمؤلفاته، سواء الأدبية منها أو الفلسفية أو العلمية، إلا في العصر الحاضر (ابتداءا من نهاية القرن 19م). أما المثقفون المغاربيون المعاصرون، فلم يهتموا به على الإطلاق.

---

(18) Monceaux (1894), pp. 265-339 ; Apuleius, Apologia, LV, V; Florida, IX, 2, 6, 31, XVI.

مؤلفات أبوليوس :

يمكن تصنيف مؤلفات أبوليوس المداوري إلى ثلاثة أصناف:

مؤلفاته الأدبية :

ترك لنا أبوليوس في ميدان الأدب أربعة كتب وصلتنا تقريبا كلها، وهي :

أ. كتاب Florida. وهو عبارة عن مجموعة من خطب أبوليوس ومحاضراته ألقاها بالمسرح العمومي لمدينة قرطاج. بعض هذه الخطب موجه إلى بروقناصلة قرطاج، وبعضه الآخر موجه ضد الفلاسفة، مع اعتباره هو لنفسه الفيلسوف الحق. ويتبين من هذا الكتاب مدى قدرة أبوليوس على الفصاحة. وفيه مارس الكاتب الخطابة البيانية والقضائية معا.

ب. كتاب Apologia . وهو عبارة عن مجموعة من الحجج صاغها أبوليوس للدفاع عن نفسه أثناء مرافعته ضد أصهاره في تهمة هؤلاء للكاتب بكونه استغل الموارد المالية لزوجته. هذا الكتاب، في نظر مونصو، عمل أصيل من الناحية الأدبية؛ لأنه يعبر عن موهبة الكاتب في الريطوريقا[19] .

ح. كتاب Metamorphoses أو الجحش الذهبي(Asinus Aureus) وهو أكثر مؤلفات أبوليوس شهرة. ويعتبره المؤرخون والنقاد كتابا ذا أهمية كبيرة لكونه النسخة الوحيدة للأدب الرومانسي اللاتينوفوني[20] . بل يمثل أول قصة مكتوبة على شكل نثر في تاريخ الأدب الإنساني. يتكون الكتاب من أحد عشر فصلا يصف فيها المؤلف مغامرات شاب، اسمه لوسيوس، تحول إلى جحش ذهبي بطرق سحرية. وبعد

(19) Monceaux (1894), p. 307.
(20) Monceaux (1894), pp. 308-330.

مغامرات كثيرة تُشكل هيكل القصة، رجع إلى حالته البشرية. الكتاب مليء بالمعلومات حول الديانات الافريقية القديمة وحول عقيدة أبوليوس نفسه.

د. كتاب *Hermagoras*. وصلنا بعضه فقط. وهو عبارة عن رواية[21] .

مؤلفاته العلمية:

ترك لنا أبوليوس مؤلفات علمية كثيرة ضاع أغلبها[22] ، ومن أهمها:

أ . كتاب في *علم الحساب* تحت عنوان *Arithmética*، وآخر في علم الفلك تحت عنوان Astronomica ذكرهما إيزدورس[23] وكاسيودورس[24] وغيرهما. ولكن الكتابين ضاعا.

ب. كُتب كثيرة في *علم الفلاحة*، ولكنها ضاعت أيضا. ذكر هذه الكتب مؤلفون قدماء كثيرون[25] .

ح. *مارس أيضا أبوليوس الكتابة في الفيزيولوجيا*، ودرس كثيرا من الأمراض العصبية. وكان الناس يقصدونه للتطبيب في الحالات الخطيرة. كان يعرف كل أعراض الصرع ويمارس التنويم المغناطيسي بإتقان إلى درجة أنه اتهم بالسحر. ودوّن نتائجه التجريبية في كتاب له تحت عنوان Medicinalia[26].

---

(21) Cf. Sullivan (1967), pp. 8-9; Haight (1927), p. 83.

(22) Cf. Vallette P. (1924), "Introduction" à l'Apologie et aux Florides, Coll. Des Universités de France, Paris, XVIII.

(23) Isidorus, *Origine*, III, 2.

(24) Cassiodorus, *De Arithmetica*, fin.

(25) Servius, *Ad Vergil. Georg.*, II, 126; Photius, *Bibliothèque* (ou Murio Biblon), 163.

(26) Gram. Priscien, : تم ذكر هذا الكتاب في Cf. *Apologia*, XL, XLIV, XLVIII-LI. Lat., II, p. 203

د . مارس أبوليوس كذلك الفيزياء واشتغل بدراسة الظواهر البصرية. وكان يملك بمختبره مرايا من كل الأصناف. لكن مؤلفاته في هذا الميدان لم تصلنا (27).

هـ . اهتم أبوليوس أيضا بعلم النبات وعلم الحيوان والمعادن. ونشر كثيرا من الكتب في هذه الميادين بعضها باليونانية والبعض الآخر باللاتينية. ونشر على الخصوص كتابا ضخما تحت عنوان: مسائل طبيعية ، حيث عرض خاصة نتائج تجاربه على الأسماك الغريبة والأشجار والموسيقى(28) . لقد كان أبوليوس يشتري بأثمان باهظة أصنافا غريبة من الحيوانات ليمارس عليها التشريح بمختبره في أويا (Oea) أو في قرطاج. "كان مختبره مشهورا في كل إفريقيا وكان الأجانب يزورونه"(29) . لكن هذه الكتب العلمية التي ألفها أبوليوس لم تصلنا ويا للأسف! ومن المحتمل، كما يفترض مونصو، أن تكون هذه الكتب قد أدرجت في الطبعة المجددة لموسوعة وارون (Warron) القديمة دون ذكر المصدر(30) . وقد تكون مدرجة بشكل أو بآخر في موسوعتي كابيلا (Capella) وفولكانتيوس (Fulegentius).

و . كتاب De Mundo . وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي وصلنا. ويصنفه أغلب المؤرخين ضمن الكتب الفلسفية. فيه يصف أبوليوس السماء والنجوم والمحيطات ومجموعة من الظواهر الطبيعية. ويعتقد أغلب المؤرخين أن هذا الكتاب مجرد تلخيص لكتاب آخر مشائي نُسب خطأً إلى أرسطو، وهو في الواقع لكاتب مشرقي يدعى نيقولا الدمشقي(31).

(27) *Apologia*, XIII-XVI.
(28) Haight (1927), p. 83.
(29) Monceaux (1894), pp. 281-282.
(30) Cf. Moncaux (1894), Ibid.
(31) المعروف عن أرسطو أنه ألف كتابا تحت عنوان De Cosmos، راجع :
Monceaux (1894), p. 285

مؤلفاته الفلسفية :

في ميدان الفلسفة ، ألف أبوليوس كتبا كثيرة[32] نعرف منها حتى الآن الكتب التالية:

أ. كتاب Dialogus. لا نعرف عن محتواه شيئا لأنه ضاع.

ب. ترجمة لاتينية لمحاورة فيدون. ضاع هو الآخر[33] .

ج. كتاب تحت عنوان Eraticos. ضاع أيضا .

د. كتاب تحت عنوان De Republica. ضاع كذلك[34] .

هـ . كتاب De Deo Socrates. وهو كتاب يتحدث فيه المؤلف عن شيطان (أو مَلَك) سقراط ويطرح فيه مسائل كان قد عرضها على شكل خطبة لما كان بقرطاج. يصنف أبوليوس الكائنات العاقلة إلى ثلاثة أصناف: الآلهة وهي تسكن السماء وليست لها القدرة على مغادرتها؛ وهناك البشر، وهم يسكنون الأرض، وليست لهم القدرة على مغادرتها؛ وأخيرا هناك الملائكة أو الشياطين وهم اللذين يقومون بدور الوساطة بين الآلهة والبشر. وتتمتع هذه الكائنات بجميع الصفات التي تسمح لها بالقيام بهذه المهمة: ثقيلة بما فيه الكفاية لتنزل إلى الأرض وخفيفة بما فيه الكفاية لتصعد إلى السماء. ومن المهام التي تقوم بها كونها تنقل دعاوي البشر إلى السماء وتنقل إلى البشر أفعال الخير الصادرة عن الآلهة. وأحيانا تتدخل في شؤوننا وتشاركنا

---

(32) Beaujeu J. (1973), Introduction générale aux Opuscules et Fragments, Coll. Des Univ. De France.

(33) Cf. Priscien, Gram. Lat., II, p. 511.

(34) كل هذه الكتب التي ضاعت مذكورة في المصادر التالية :

Lydos, De Magistr., III, 64; Fulgentius, Exposit. Sermon. Antiq., p. 396.

عـواطفنا بفـعل إرادي. ويصـنف أبولـيوس هؤلاء الملائكة إلى أصناف حسب المهام: فهناك مـلائكة الموت، وهناك ملائكة النوم وهناك ملائكة الشـعـر، وهناك مـلائكة الذكــاء، إلخ. ولكل إنسـان ملَـك (أو مـلائكة) يرافـقه وينصـحـه. وإلى هذا الصنف ينتـمي ملَك سـقراط. وقد أُعـجب أبوليوس بسقراط وبملَكه. ويعتقـد أن قاعدة الحياة هي إرضـاء كل واحد لملَكه كما فعل سقراط لما تجرع السم تبعا لنصيحة ملَكه[35] .

و. من الكتب الفلسـفـية لأبوليوس والتي وصـلتنا كتـاب هام يحـمل عنوان: De platone et ejus Dogmata يلخص فـيـه أبوليوس فـلسفـة شيخه المفضل (أفلاطون)، مقسما الكتاب إلى ثلاثة أجزاء، طبقا للتقليد الرواقي: يتناول الجـزء الأول الطبيـعـيات، بالإضـافة إلى سـيرة ذاتيـة لأفـلاطون؛ ويتناول الجـزء الثـاني الأخـلاقـيـات، وفـيـه يصـف الكاتب حـكيـمـا تشبـع بالخيـر علـى الطـريـقـة الرواقية، وهـو جزء موجـه إلى شخص اسمه Faustius. أما الجـزء الثـالـث فقـد خـصصـه أبــوليـوس للمـنطق، أو مـــا سـمـــاه بالفـلسـفـة العـقـليـــة، وهو جــزء وصـلنـــا مفصـــولا عـن الجـزءين الأولـين، وقـد أصـبـح يحـمـل فـيـمـا بــعــد عــنـــوان: De Philosophia Rationali أو Peri Hermeneias أو De Interpretatione. وقد نُسب هذا الكتاب إلى أبوليوس منذ أن ظـهر حتى الـقرن 19 م , حـيث بدأت تظـهـر حـول نسبـتـه إليـه شكوك. لكن الأمر لا يزال قـيد الدرس حـتى الآن. وأغلب الظن أنه له. هناك ثلاث طبعـات حديثة للكتـاب: الأولى أنجزها Goldbacher (1885) والثـانـية من عمل Meiss (1886) والثالثة أنجزها Thomas Paul (1908)[36].

---

(35) *Apologia*, LXIV et note 1, p. 77, de la traduction française de P. Vallette.

(36) انظر قائمة المراجع في آخر هذا الفصل.

عمل أبوليوس في ميدان المنطق الصوري:

سوف نتحدث هنا عن عمل أبوليوس في مجال المنطق الصوري فقط. أما عمله في ميدان الريطوريقا (البيانية والقضائية)، فسوف نرجئه إلى فرصة أخرى.

في ميدان المنطق الصوري ترك لنا أبوليوس كتابا واحدا هو الجزء الثالث من كتابه حول مذهب أفلاطون. حسب المعطيات التاريخية التي نملكها، وصلنا هذا الكتاب مفصولا عن الجزءين الأول والثاني من مذهب أفلاطون، وهو يحمل عنوان في العبارة (Peri Hermeneias).

- **حول عنوان الكتاب:**

وصلنا كتاب أبوليوس حاملا عنوانا باللغة اليونانية هو: Περι Σρμηνειαζ لكن النص مكتوب باللاتينية. وهذا عنوان ليس غريبا على المشتغلين بالمنطق؛ لأن لأرسطو كتابا يحمل هو الآخر نفس العنوان باليونانية، سوف نرى أن أبوليوس اقتبس منه.

- **حول تاريخ تأليفه:**

كل الدلائل التاريخية تُبين أن الكتاب تم تأليفه في القرن 2م، وهو القرن الذي عاش فيه أبوليوس. ولكنه لم يظهر بشكل واضح في الساحة الثقافية إلا ابتداء من القرن 5م. واستمر تأثيره على الجامعات القديمة والقروسطوية حتى نهاية القرن 12م، أي بعد ظهور ما سمي بالمنطق الجديد (Logica Nova). تم نشر النص اللاتيني لهذا الكتاب عدة مرات، كما نشرت له ترجمات مختلفة[37] . غير أنه لم تظهر له

---

(37) انظر قائمة المراجع في آخر هذا الفصل.

أية دراسة تحليلية نقدية كـاملة إلا مع سوليفان (Sullivan) سنة 1967؛ ثم تلتها دراسة أخرى مع ترجمة إنجليزية للنص اللاتيني قدمها (Londey) و (Johanson) سنة 1987، وهي التي اعتمدنا عليها. هناك أيضا بعض التعاليق القصيرة في بعض كتب تاريخ المنطق مثل كتابي بوخنسكي (1957) و (1961) وكتاب نيل ونيل (1964) وغيرهما.

● **حول موضوعه:**

هو بحث مركز في المنطق الصوري يشبه كتابا مدرسيا يتناول فيه المؤلف القضايا الإخبارية والقياس الحملي. أما القضايا الضرورية والاحتمالية والشرطية، فلا يتحدث عنها إلا بالصدفة.

● **طبيعته و أقسامه:**

لا يحتوي النص اللاتيني الأصلي على أي تقسيم. لكن بول طوماس، في طبعته الأولى للكتاب (1908)، قسم هذا الأخير إلى أربعة عشر فصلا. تقدم الأربعة الأولى منها تحليلا مفصلا للقضية كمفهوم. ويتناول الخامس والسادس التقابلات بين القضايا ونظرية التكافؤ (Equipollence) ونظرية العكس (Conversion). أما الفصول الثمانية الباقية فتتناول القياس الحملي بجميع أشكاله وضروبه. والواقع أن طبيعة كتاب أبوليوس ملتبسة شيئا ما. فهو يعلن أنه أفلاطوني ويحبذ أن يُنعت بهذا الإسم؛ لكن كتابه ظاهريا مشائي؛ لأنه يتناول مواد سبق لأرسطو أن تناولها في كتابيه التحليلات الأولى و العبارة. وقد استغل بعض الباحثين هذا الالتباس لبناء الادعاء القائل بأن الجزء الثالث من كتاب مذهب أفلاطون، والحامل للعنوان: Peri Hermeneias، ليس من تأليف أبوليوس.

يلاحظ (Londey) و (Johanson) أنه، إذا حملنا على كلمة "أفلاطوني" معنى غير حرفي، أي بعد أخذ كل التطورات التي لحقت بهذه الكلمة بعد خمسة قرون من زمن أفلاطون (وهي الفترة التي تفصل هذا الأخير عن أبوليوس)، بعد أخذها بعين الاعتبار، فإن الالتباس المذكور سرعان ما يتبدد. والواقع أن القول بكون منطق أبوليوس امتدادا لمنطق أرسطو لتشابه المواد المدروسة يشبه القول بأن المنطق العربي مشائي لتشابه المواد المدروسة أيضا. ونحن نعرف أن هذا الحكم فيه نظر. هذا مع العلم أن التجديد لا يحصل فقط على مستوى المادة، بل أيضا على مستوى المنهج. وسوف نرى أن منهج أبوليوس يختلف عن منهج أرسطو. أضف إلى ذلك أن أبوليوس يفتتح كتابه بجملة تجعله أقرب إلى الرواقية منه إلى أرسطو، وهي التي يقسم فيها الفلسفة إلى ثلاث أقسام حسب التقليد الرواقي: الطبيعة والأخلاق والمنطق. فالمنطق عند أبوليوس جزء من الفلسفة؛ أما عند أرسطو، فهو آلة لها. ولهذا، ولكي يكتمل عمل فيلسوفنا، لا بد من اعتبار كتاب "العبارة" لأبوليوس الجزء الثالث من كتابه "مذهب أفلاطون".

فكرة المنطق عند أبوليوس:

لم ترد قط كلمة منطق (Logica) أو كلمة منطقي (Logicum) أو (Logicus) في النص الأصلي لكتاب أبوليوس. واستعمل مرة واحدة كلمة (Dialecticus). لقد اختار أبوليوس عبارة أخرى لوصف مبحث المنطق بشكل عام وهي "الفلسفة العقلية" (Philosophia Rationalis). أما موضوع كتابه فيسميه (disserendi ars)، أي "فن الخطاب" أو "فن الجدل" أو "فن المناظرة". ويؤكد أبوليوس أن هذه العبارة اللاتينية

الأخيـرة متـضمنة في العـبارة (Philosophia Rationalis) [38].بالنسـبة لأبوليوس، هناك نوع واحـد من الخطاب يمكن تناوله في الجدل (أي في المنطـق) وهوالخطاب الإخـــبـــاري (oratio pronuntiabilis)؛ لأنه هو الوحيد الذي يقـبل الصدق أو الكذب. فهو كـلام "كامل المعنى". وهو ما نعبـر عنه في المصطلحات المعاصـرة بكلمة "قضـية" (Proposition). أي أن المنطق، بالنسـبة لأبوليـوس، يهـتم أولا بالقضـايا التي هي أدوات الجدل. ويهدف في النهاية إلى تعريف الاسـتدلال والأشكال الصـحيحة منه ووضع قواعـد تحكمهـا والبرهنة عليـها. فالمنطق عنـد أبوليوس هو أولا وقبل كل شيء علم صوري.

- مصطلح "القضية":

في الفـصل الأول من كتـاب العبارة ، حـاول أبوليوس أن يقـرب منا مـعـنى الخطاب الذي يهـتم به فن الجــدل ولم يجـد أحــسن من كلـمـة (Propositio) للتعبـير عنه. وبهذا يمكن اعتـبار أبوليوس أول من وضـع مصطلح "قضية" (Propositio) بالمفهوم المتـداول في المنطق المعاصر. أما قبله، فـقد استُعملت مـصطلحات كثيـرة، يذكرها هو نفسه، للتعـبير عن (oratio pronuntiabilis). ومن هذه المصـطلحـات كلـمـة Effatum (التي وضـعـهـا Varro) وكلمـة Proloquium (التي وضـعـهـا Sergius) وكلمـة Enuntiatum (التـي وضـعـهـا Cicero) وكلمـتا: (οπροτασιξ) و (αξιωμα) (التي استـعملهـما اليونـان). كما اسـتعمل أبـوليوس، إلى جانب Propositio، كلمتي Rogamentum وProtensio. لكنه اختار من كل هذا كلمة Propositio لكونها تفي بالغرض المطلوب. وضـع أبوليوس أيضا مصطلحات جديدة أخرى سوف نذكرها فيما بعد.

---

(38) Cf. Sullivan (1967), p. 17.

● طبيعة القضية :

من المعروف أن القضية معطى أساسي في الدراسة التي قدمها أبوليوس في كتابه في العبارة. ويمكن القول بأن طبيعة القضية عند هذا الفيلسوف تحتاج هي وحدها إلى دراسة منفصلة. لكن هدفنا هنا ينحصر في تقديم نظرة عامة حول عمل أبوليوس في مجال المنطق. ولهذا لن نقدم إلا الضروري من كلام أبوليوس عن القضية باعتبارها جزءا من كل.

يُلاَحَظُ أن أبوليوس اهتم بفكرة القضية أكثر من اهتمام أرسطو بها. والقضية عنده هي قول (Oratio) وبالتالي فإنها أصلا عمل شفوي، لكنها قول من نوع خاص : أي قول تقريري. وهذا الأخير هو الذي يقبل الصدق أو الكذب. لنُنَبِّه هنا إلى أن أبوليوس يميز بين القضية ومعناها، فالقَضيتان "أبوليوس يتحدث" و"فيلسوف ماداورا يتحدث" مختلفتان في التركيب، ولكن لهما نفس المعنَى. ولقد حسم أبوليوس في تعددية المفاهيم التي قيلت عن القضية قبله، كما رأينا، وذلك بتَبَنِّيه كلمة Propositio. وهي كلمة، في نظره، تجمع بين Protasis (Προτασισ) الأرسطية و Axioma (Αξιομα) الرواقية .

● أنواع القضايا :

في الفصل الثاني من كتاب في العبارة، يقسم أبوليوس القضايا إلى نوعين :

القضايا الحملية (Predicativa) والقضايا الشرطية (Substitutiva) . الأولى بسيطة والثانية مركبة. وتحدثَ كثيرا عن الأولى وقليلا عن الثانية. وأثناء حديثه عن أنواع القضايا أدخل أبوليوس، لأول مرة، مقولتي الكم (quantitas) والكيف (qualitas).

وهكذا صنف القضايا حسب الكم إلى ثلاثة أنواع :

- *الكلية*، مثل : "كل شيء يتنفس فهو حي"،
- *الجزئية*، مثل : "بعض الحيوانات لا تتنفس"
- *المهملة*، مثل : "الحيوانات تتنفس".

يلاحظ أن أبوليوس لم يُدْرِج في هذا التصنيف القضية "الشخصية"، ولم يهتم إلا قليلا بالمهملة بالرغم من إدراجها في التصنيف. أما حسب الكيف، فقد ميز أبوليوس بين نوعين من القضايا وهي : السالبة (abdicativa) مثل "اللذة ليست خيرا" والموجبة (dedicativa) مثل " الفضيلة خير". وهكذا يحصل أبوليوس على أربعة أنواع من القضايا الحملية وهي :

الكلية الموجبة ⟵ الجزئية الموجبة

الكلية السالبة ⟵ الجزئية السالبة

مكونات القضية وشروط صدقها :

حسب أبوليوس، نقلا عن شيخه أفلاطون، تتكون القضية، على الأقل، من فعل واسم كقولنا : "أبوليوس يخطب". فالاسم يلعب دور القائم بالفعل، بينما يلعب "الفعل" دور الإخبار أو التقرير. لا يعطي أبوليوس هنا المصدر الأفلاطوني الذي نقل عنه هذا التقسيم[39] . وأثناء حديثه عن أصناف القضية ومكوناتها قدم أبوليوس انتقادات شديدة موجهة إلى الرواقية فيما يخص مشكل "المعنى" الوجودي للقضايا الحملية عندما يتعلق الأمر بكيفها.

---

(39) من المحتمل أن يكون أبوليوس قد استحضر في ذهنه ، وهو يصنف مكونات القضية ، ما ورد في محاورة السفيطائي (262C) أو محاورة طيطاوس (206D).

لتحديد شروط صدق القضايا الحملية هناك تأويلان أساسيان : يفترض التأويل الأول أن الحد الممثل للموضوع يقابل عنصرا موجودا في الواقع، أي أنه، لكي تصدق أو تكذب قضية حملية، لا بد أن يحيل موضوعها على فئة غير فارغة. أما التأويل الثاني، فيفترض أن الحد الممثل للموضوع والحد الممثل للمحمول يقابلان معا موجودات موضوعية، وبالتالي فإن القضية الحملية لا تصدق أو تكذب إلا إذا كان موضوعها ومحمولها معا يحيلان على فئة تحتوي على الأقل على عنصر واحد. هناك تأويل ثالث، يبدو أنه من وضع أبوليوس، وهو الذي يجعل القيمة الصدقية لقضية حملية قابلة للتحقق حتى ولو كان الحد الممثل للموضوع لا يحيل على أي موجود فعلي. فالقضية "ما لا جوهر له لا وجود له" هي قضية صادقة، حسب أبوليوس. وهي صادقة بالضبط، لأن موضوعها يحيل على فئة فارغة. وهذا هو موضوع الخلاف بين أبوليوس والرواقية. تنطلق هذه الأخيرة من خلفية فلسفية مفادها أن الموجود الحق هو الجوهر وأن لكل موجود جوهره. وبناء على ذلك، فإن القضية "ما لا جوهر له لاوجود له" صادقة عند الرواقية وعند أبوليوس أيضا. وبما أن الرواقية تفترض، كشرط للصدق، أن يحيل موضوع القضية على شيء موجود فعلا، فإنها هنا تعترف بوجود شيء غير موجود، وهو "ما لا يملك جوهرا". ومن ثم سوف يؤدي هذا التأويل إلى العبارة : "كل ما هو موجود ليس موجودا". وهذا تناقض.

نلاحظ هنا أن أبوليوس، بانتقاداته الموجهة ضد الرواقية، يبني نظرية خاصة في المعنى الوجودي للقضايا السالبة، ومن ثم يقدم تأويلا متماسكا لشروط صدق الأنواع الأربعة للقضايا الحملية.

بصفة عامة، يمكن التعبير عن هذه الشروط كما يلي (مع اعتبار "S" هو الموضوع و "P" هو المحمول) :

- كلية موجبة : $(\exists X)(SX) \wedge (X)(SX \Rightarrow PX)$
- كلية سالبة : $\neg(\exists X)(SX) \vee (X)(SX \Rightarrow \neg PX)$
- جزئية موجبة : $(\exists X)(SX \wedge PX)$
- جزئية سالبة : $\neg(\exists X)(SX) \vee (\exists X)(SX \wedge \neg PX)$

هذا هو التأويل الوحيد، حسب أبوليوس، الذي يضمن قواعد الاستدلال وقواعد مربع التقابلات التي يقبلها أبوليوس.

نلاحظ أن أبوليوس تبنى نظرية في الصدق تعتمد على مقولة الكيف وليس على مقولة الكم. وهي نظرية تختلف تمام الاختلاف عن التي قدمتها الرواقية، وكذلك عن التي قدمها أرسطو (باستثناء مقطع مشكوك فيه ورد في المقولات : 10 ، 13b، 27 ، 35.

العلاقات الاستدلالية بين القضايا :

كيف تترابط القضايا فيما بينها؟ ما هي أنواع الاستدلال التي تحصل عن ترابط القضايا؟ ما هي قواعد تحقق الاستدلالات ؟ هذه هي الأسئلة التي تُجيب عنها الفصول من 4 إلى 14 من كتاب في *العبارة* لأبوليوس. وهي التي سوف نتناول الآن.

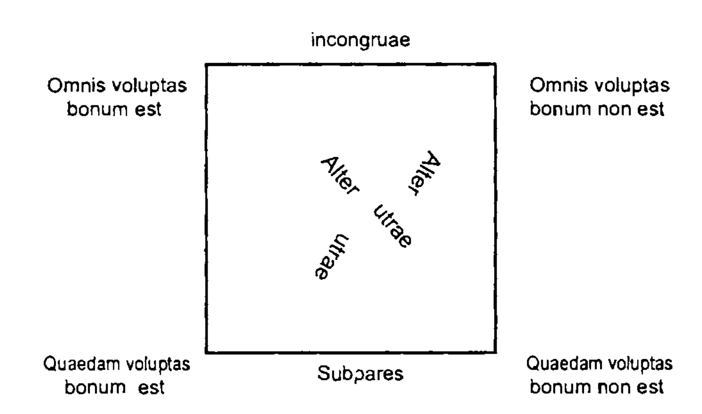
مربع تقابلات القضايا :

عرض أبوليوس لما يسمى اليوم بـ "مربع تقابلات *القضايا*" في الفصل الخامس من كتاب في *العبارة* . ويُعتبر أبوليوس أول من استعمل رسم المربع للتعبير عن علاقات القضايا الحملية الأربع [40] .

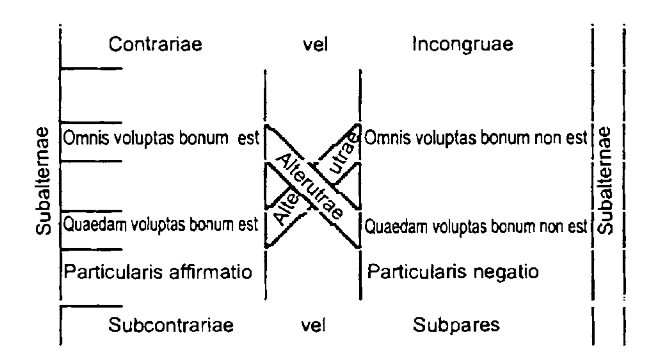
والمربع كما عرضه أبوليوس في كتابه هو كما يلي :

---

(40) Cf. Bochenski (1951), Ancient Formal Logic, p. 37, note 14 ; Sulliva (1967), p. 64.

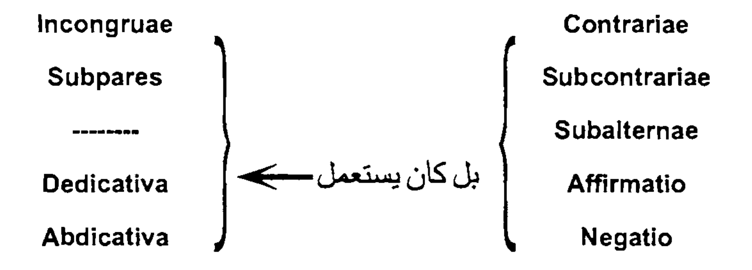


غير أن القروسطويين قدموه لنا على الشكل التالي مع استعمال مصطلحات جديدة :



فيما يخص مضمون المربع، لم يتناول أرسطو كل العلاقات التي تناولها أبوليوس. فالأول اكتفى بعلاقات التناقض (Alterutrae) والتضاد (Incongruae) والدخول تحت التضاد (Subpares). أما أبوليوس، فقد أضاف علاقة التداخل (Subalternae) ووضع لها قوانين. وبالتالي يمكن القول، مع بوخنسكي وسوليفان، أن أبوليوس حقق في هذا الصدد تقدما على أرسطو[41] .

لنلاحظ أيضا أن أبوليوس لم يكن يستعمل المصطلحات :



في الفصول IV و V و VI عَرّف أبوليوس القضايا الأربع وحدد علاقاتها وكيفية استنتاج بعضها من بعض. ثم عرض نظريته في التكافؤ (نهاية الفصل V) وفي العكس. أما في الفصول VII إلى XIV، فقد عرض نظريته في القياس.

المقصود بالتكافؤ (Equipollence) هنا هو العلاقة المنطقية الحاصلة بين نفي قضية ما ونقيض تلك القضية. يعطي أبوليوس مثالا على ذلك بالكلية الموجبة : "كل لذة خير"، التي تصبح بعد إدخال النفي عليها : "ليست كل لذة خيرا". وهذه الأخيرة صادقة بقدر ما تصدق العبارة "بعض اللذة ليس خيرا" التي هي نقيض الأولى حسب مربع التقابلات. ويمكن تطبيق هذه القاعدة على كل العبارات الحملية الأربع.

(41) Cf. Sullivan (1967), p. 148.

أما نظرية العكس، فقد تكلم عنها أرسطو وشرحها شرحا وافيا في كتابه التحليلات الأولى وحدد لها قاعدتين أساسيتين : الأولى تقتضي أن تتفق القضية العكس والقضية الأصل في الكيف، والثانية تفترض أن لا يُستغرق حد في العكس لم يكن مستغرقا في الأصل. وبناء على هاتين القاعدتين، نحصل على التقابلات العكسية التالية :

كلية موجبة (A) عكسها : جزئية موجبة (I)

كلية سالبة (E) عكسها : كلية سالبة (E)

جزئية موجبة (I) عكسها : جزئية موجبة (I).

جزئية سالبة (o) لا تعكس[42] .

فيما يخص مسألة العكس، يبدو أن لا خلاف بين أرسطو وأبوليوس[43].

نظرية أبوليوس في القياس :

أول ما يميز نظرية أبوليوس في القياس هو كونها عُرضت باستعمال مصطلحات تقنية جديدة بالمقارنة مع المصطلحات المتداولة قبل أبوليوس[44] . لكن المصطلحات التي وضعها أبوليوس تختلف شيئا ما عن التي أصبحت متداولة في العالم اللاتيني القروسطوي. فمثلا، كان أبوليوس يستعمل :

(42) تحدثنا هنا عن العكس بشكل عام. أما التفاصيل فموجودة في كتب المنطق.

(43) قدم أبوليوس نظرية العكس في كتابه *في العبارة* ، الفصل السادس.

(44) Cf. Sullivan (1967), p. 127.

Abdicativa	بدل :	Negativa	(سالبة)
Didicativa	بدل :	Affirmativa	(موجبة)
Particulae	بدل :	Termini	(حد)
Particulae communis	بدل :	Termini medius	(حد أوسط)
Collectio	بدل :	Syilogismus	(قياس)
Acceptiones	بدل :	Praemissae	(مقدمة)
Illatio	بدل :	Conclosio	(نتيجة)
Coniugatio	بدل :	------	------
Formulae	بدل :	Figurae	(شكل)

كيف عرّف أبوليوس القياس وكيف استعمله؟

يتبنى أبوليوس نفس التعريف الذي قدمه أرسطو للقياس، مع إدخال بعض التعديلات عليه. لقد عرّف أرسطو القياس بحيث تُستَعمل كلمة Syllogismus لتشمل حتى الاستنتاجات غير السيلوجستيكية مثل التي لا تحتوي مقدماتها على حد مشترك . ولكن بالرغم من هذه الشمولية، فإن أرسطو ضيّق تعريفه للقياس ليقال فقط على القياس الصحيح (أو المنتج). أما أبوليوس، فقد استعمل كلمة Collectio بدل Syllogismus للإحالة فقط على استدلالات تحتوي مقدماتها على حد مشترك. وفي نفس الوقت عمم أبوليوس تعريفه للقياس ليشمل الأقيسة الفاسدة (أوغير المنتجة) أيضا. فالقياس عند أبوليوس هو استدلال مكون من مقدمتين يجمعهما حد مشترك ونتيجة تتشكل من حدود موجودة بالمقدمتين وتختلف عن الحد المشترك.

أشكال القياس وضروبه:

ميز أبوليوس بين أشكال القياس بطريقة أكثر عقلانية من التي تبناها أرسطو. فأبوليوس يقيم تمييزه فقط على الأوضاع الممكنة للحد الأوسط. وبناء على ذلك، ميز أبوليوس بين ثلاثة أشكال من القياس هي:

III	II	I
M - S M - P	S - M P - M	S - M M - P

لنلاحظ هنا أن أبوليوس، تماما كأرسطو، لم يأبه إلى وجود شكل رابع وَضَعه جالينوس فيما بعد[45] وهو:

IV

M-S

P-M

(الحرف "S" في هذه الأشكال يقوم مقام الموضوع و "P" يقوم مقام المحمول و "M" مقام الحد الأوسط).

لنلاحظ هنا أن أبوليوس حاول إدخال كينونة منطقية جديدة يمكن ترجمتها إلى اللغة العربية بالمُؤَلّفة (Conjugatio)، أي المركب الذي تشكله المقدمتان في قياس. وبناء على أنواع القضايا التي قد تحضر كمقدمات في شكل ما، يمكن التمييز بين أشكال مختلفة من المؤلفات

(45) هذا شكل لم يقبله مناطقة القرون الوسطى الأولون وأهمله أيضا ابن سينا والمتقدمون من فلاسفة المسلمين. ولم يقبله أيضا بعض المحدثين لاعتقادهم أنه مجرد صورة غير مباشرة للشكل الأول.

الممكنة. وبناء على طبيعة المؤلفة وطريقة حصول النتيجة عنها ميز أبوليوس بين ضروب القياس المختلفة.

حصر أبوليوس المؤلفات في ستة عشر، وهي:

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16
A	A	A	A	E	E	E	E	I	I	I	I	O	O	O	O
A	E	I	O	E	A	I	O	I	A	E	O	O	A	E	I

في كل شكل من أشكال القياس يمكن تحقيق 16 مؤلفة. وبما أن لدينا ثلاثة أشكال فقط، فإن عدد المؤلفات الممكنة سوف يصبح هو: **16 x 3 = 48** مؤلفة. ولكنها ليست كلها صحيحة. وانطلاقا من هذا التمييز بين المؤلفات، يمكن التمييز بين الضروب، لأن الضرب، ليس إلا بناء من نوع معين من المؤلفات يحصل عنه نوع معين من النتائج.

نحن نعرف أنه، في نفس الشكل، يمكن أن يكون لدينا ضربان لهما نفس المؤلفات ولكن النتيجة مختلفة:

كل ما هو لذة فهو خير
كل ما هو خير فهو مفيد
إذن: كل ما هو لذة فهو مفيد
هذه نتيجة مباشرة

كل ما هو لذة فهو خير
كل ما هو خير فهو مفيد
إذن: بعض ما هو مفيد هو لذة
هذه نتيجة عكسية

بما أن عدد القضايا الحملية أربعة، وبما أن النتيجة تحصل بطريقتين مختلفتين (مباشرة أو عكسية)، فإن مؤلفة واحدة يمكن أن تعطي ثمانية ضروب مختلفة. وبما أن لدينا 48 مؤلفة في الأشكال

الثلاثة المدروسة من طرف أبوليوس، إذن عدد الضروب الممكنة هو: 48 x 8 = 384 ضربا ممكنا.

لكن هذه الضروب ليست كلها صحيحة. لهذا عمد أبوليوس إلى تحديد قواعد معينة بواسطتها يمكن التمييز بين الصحيح والفاسد من المؤلفات والضروب. وبعد تطبيق هذه القواعد، وجد أبوليوس أن من بين 48 مؤلفة هناك فقط 14 مؤلفة هي الصحيحة، وهي الوحيدة التي تؤدي إلى ضروب صحيحة (أو مُنتِجَة).

بالنسبة لأبوليوس، هناك منهجان أساسيان بواسطتهما يمكن البرهنة على صحة الضروب وهما:

منهج الرد إلى اللامُبرهَنات: Reductio ad indemonstrabiles؛

ومنهج البرهان بالخُلف: Probatio per impossible.

وبناء على هذين المنهجين، حدد أبوليوس تسعة ضروب صحيحة للشكل الأول مشتقة من ست مؤلفات الخمسة الأولى منها لا مبرهنات والأربعة الباقية تُرد (بواسطة المنهج الأول المذكور أعلاه) إلى اللامبرهنات. وهذه الضروب التسعة، حسب الرموز التي تبناها سوليفان، هي:

1. $(SaM \wedge MaP) \Rightarrow SaP$ (Barbara)
2. $(SaM \wedge MeP) \Rightarrow SeP$ (Celarent)
3. $(SiM \wedge MaP) \Rightarrow SiP$ (Darii)
4. $(SiM \wedge MeP) \Rightarrow SoP$ (Ferio)
5. $(SaM \wedge MaP) \Rightarrow PiS$ (Baralipton)
6. $(SaM \wedge MeP) \Rightarrow PeS$ (Celantes)
7. $(SiM \wedge MaP) \Rightarrow PiS$ (Dabitis)
8. $(PeM \wedge MaS) \Rightarrow SoP$ (Fapesmo)
9. $(PeM \wedge MiS) \Rightarrow SoP$ (Frisesmo)

بالنسبة للشكل الثاني، لا يعترف أبوليوس إلا بأربعة ضروب صحيحة (مشتقة من ثلاث مؤلفات) وهي:

1. (SaM ∧ PeM) ⇒ SeP (Cesare)
2. (SeM ∧ PaM) ⇒ SeP (Camestres)
3. (SiM ∧ PeM) ⇒ SoP (Festino)
4. (SoM ∧ PaM) ⇒ SoP (Baroco)

أما ضروب الشكل الثالث، فيحصرها أبوليوس في ستة وهي:

1. (MaS ∧ MaP) ⇒ SiP (Darapti)
2. (MiS ∧ MaP) ⇒ SiP (Datisi)
3. (MaS ∧ MiP) ⇒ SiP (Disamis)
4. (MaS ∧ MeP) ⇒ SoP (Felapton)
5. (MiS ∧ MeP) ⇒ SoP (Ferison)
6. (MaS ∧ MoP) ⇒ SoP (Bocardo)

حسب أبوليوس، هناك إذن 19 ضربا (9 + 4 + 6) صحيحا من ضروب القياس. وإذا قارنا ما ورد في كتاب *العبارة* لأبوليوس وكتاب *التحليلات الأولى* لأرسطو، فسوف نجد أن هذا الأخير حصر الضروب الصحيحة (أو المنتجة) في 14: أربعة ضروب في الشكل الأول وأربعة في الشكل الثاني وستة في الشكل الثالث. ولكن هذا لا يعني أن أبوليوس على صواب. فبدل أربع عشر مؤلفة، استعمل في الواقع 16. ويمكن الحديث عن 21 مؤلفة عنده. وبدل 19، اعترف أبوليوس في الواقع بـ 25 ضربا صحيحا، ويمكن الحديث عن 36 ضربا عنده. أضف إلى ذلك أن هناك 12 ضربا إضافيا في الشكل الرابع، وهو شكل لم يدرسه أبوليوس.

هذا، باختصار، ما يتعلق بالمضمون المعرفي لكتاب في العبارة لأبوليوس. سوف ننتقل الآن إلى مسائل تاريخة تتعلق بالعوامل التي أثرت في أبوليوس.

بمن تأثر ابوليوس في ميدان المنطق الصوري؟

قام سوليفان (1967) بدراسة مقارنة يبين فيها أن أبوليوس تأثر في ميدان المنطق الصوري على الأقل بثلاثة مصادر أساسية ، وهي: أرسطو وتيوفراسطوس والرواقية.

تأثر أبوليوس بأرسطو:

يبدو أن أبوليوس تأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بكتب أرسطو الثلاثة التالية: في العبارة و التحليلات الأولى والطوبيقا. وقد أحال أبوليوس على أرسطو صراحة مرتين: الأولى في الفصل السابع، حيث يعطي أبوليوس تعريفا للقياس ينسبه إلى أرسطو؛ والثانية في الفصل الثالث عشر، حيث يقول بأن الضروب الوحيدة التي يعطيها أرسطو في الشكل الأول هي الأربعة غير المبرهن عليها (اللامبرهنات). هناك ثلاث إحالات أخرى على أرسطو من طرف أبوليوس، لكنها غير مباشرة. وإذا قارنا كتاب أبوليوس مع الأجزاء المماثلة له في الأوركانون فسوف نجده ذا طبيعة مشائية؛ لأن جزءا كبيرا من الأوركانون متضمن فيه[46] . ولكن، بالرغم من ذلك، هناك اختلافات أساسية بين منطق أرسطو ومنطق أبوليوس[47] . إذا قارنا كتاب في العبارة لأبوليوس مع كتاب في العبارة لأرسطو، فسوف

(46) Cf. Sullivan (1967), p. 143.

(47) Ibid., sects 22-2 et 22-3.

نجدهما يتشابهان ولا يتشابهان في نفس الوقت. فالفصول الخمسة الأولى من كتاب أبوليوس تتناول تماما ما تناولته الفصول السبعة الأولى من كتاب أرسطو (أي طبيعة القضايا وتقابلاتها). ولكن، بالرغم من هذا التشابه، فإن النزعة المنطقية التي تم بها تناول هذه الموضوعات مختلفة. أضف إلى ذلك أن هناك موضوعات أخرى تناولها أبوليوس في كتابه في العبارة لم يتناولها أرسطو في كتابه الحامل لنفس الاسم، لكنها موجودة عند أرسطو في كتب أخرى. فهناك مثلا، تشابه بين كتاب أبوليوس المذكور وكتابي التحليلات الأولى و الطوبيقا لأرسطو، خاصة فيما يتعلق بنظرية القياس (فصل 1 ـ 8 من الكتاب الأول من التحليلات الأولى). تأثر أبوليوس أيضا بالفصول 23، 24، 25، 26، 29، 45 من نفس الكتاب[48] .

أما فيما يخص الكتاب الثاني من التحيلات الأولى فقد تأثر أبوليوس بالفصول التالية : فصل 1 (حول الأقيسة التي تؤدي إلى أكثر من نتيجة)، فصل 8، 9، 10 (حول عكسية الأقيسة)، فصل 11، 12، 13 (حول البرهان بالخلف)، فصل 15 (حول تقابل الأقيسة) وفصل 20 (حول النقض).

تأثر أبوليوس أيضا بكتاب الجدل (طوبيقا) وذلك في ثلاث نقاط أساسية :

1 . نظرية عسية القضايا (فصل 5 من الكتاب الأول والكتاب الخامس من الطوبيقا).

2 . حول القابلية للحمل (فصل 8 من الكتاب الأول من طوبيقا).

3 . تحليل البرهان بالخلف.

---

(48) Sullivan (1967), p. 144.

هذا فيما يخص المضمون. أما فيما يخص المنهجية فنجد بين أبوليوس وأرسطو الاختلافات والتشابهات التالية :

• **فيما يتعلق بموضوع المنطق :** أول شيء يختلف فيه أبوليوس مع أرسطو هو موضوع المنطق. ففي نظر الأول، موضوع المنطق هو القضية، باعتبارها نوعا معينا من الخطاب. أما في نظر الثاني، فموضوع المنطق هو القياس، باعتباره نوعا من اللوغوس. فأبوليوس يربط المنطق بالخطاب أولا، أما الجانب التعقلي عنده، فهو ثانوي. أما أرسطو فيربط المنطق بالتفكير الصحيح أولا، ويعتبر الجانب الخِطابي ثانويا. بتعبير آخر، المنطق عند أبوليوس، ليس مادة سيكولوجية، لكنه مادة لسنية.

• **فيما يتعلق بتحليل القضايا :** يقسم أبوليوس القضايا إلى حملية (Predicativa) وشرطية (Substitutiva) مقابل التقسيم الأرسطي للقضايا إلى بسيطة ومركبة. ويقسم أبوليوس القضايا حسب الكم إلى ثلاثة أصناف : كلية وجزئية ومهملة، وهي أصناف تشبه التي قدمها أرسطو في التحليلات الأولى. غير أن أرسطو قدم أربعة أصناف، بدل ثلاثة، وذلك بإضافة صنف القضايا المفردة إلى الثلاثة المذكورة. أما فيما يخص تصنيف القضايا حسب الكيف، فلم يخرج أبوليوس عن التقليد الأرسطي.

• **فيما يتعلق بنظرية القياس:** يُجمع دارسو منطق أبوليوس على أن هناك تشابها كبيرا بين مذهب أرسطو ومذهب أبوليوس في القياس. لكن هناك أيضا اختلافات كبيرة بينهما حول نفس الموضوع. اختلف الفيلسوفان في نقاط هامة مثل : الأسس التي يعتمدها كل منهما للتمييز بين أشكال القياس وضروبه، منهاجيهما في إبعاد الضروب الفاسدة،

ترتيب المقدمات في الضروب الصحيحة ، عدد وترتيب الضروب الصحيحة، منهاجيهما في البرهنة على صحة الضروب المنتجة[49] .

تأثر أبوليوس بتيوفراسطوس :

لم يؤثر تيوفراسطوس[50] على أبوليوس بشكل واضح. وإذا رجعنا إلى كتاب في العبارة لفيلسوفنا، لوجدنا هناك إحالتين على تيوفراسطوس : في الأولى ينتقد أبوليوس تيوفراسطوس لكونه يميز ين الضربين :

$(MaS \wedge MaP) \Rightarrow SiP$: (Darapti)

$(MaS \wedge MaP) \Rightarrow PiS$ (Daraptis)

أما الإحالة الثانية (الواردة في الفصل التاسع من كتاب في العبارة لأبوليوس، فتتعلق بعدد ضروب الشكل الأول التي قدمها أرسطو. ويرى أبوليوس أن أرسطو لم يقدم إلا أربعة ضروب للشكل الأول واعتبرها كلها مسلمات (أو لا مبرهنات). وهذه الضروب هي :

$(SaM \wedge MaP) \Rightarrow SaP$: (Barbara)

$(SaM \wedge MeP) \Rightarrow SeP$: (Celarent)

$(SiM \wedge MaP) \Rightarrow SiP$: (Darii)

$(SiM \wedge MeP) \Rightarrow SoP$: (Ferio)

لكن تيوفراسطوس وآخرين يقدمون خمس مسلمات وليس أربعا. غير أن أبوليوس لا يُفصح عن هذا الضرب المضاف.

(49) Sullivan (1967), p. 150.

(50) تيوفراسطوس (Theophrastos : 370 ق.م. _ 288 ق.م.)، هو أحد تلامذة وشراح أرسطو.

تأثر أبوليوس بالرواقية :

لم تؤثر الرواقية على أبوليوس تأثيرا واضحا. وإذا رجعنا إلى كتاب في العبارة للفيلسوف المداوري، فسوف نجده يحيل على الراوقية صراحة ست مرات، وفي كل مرة يعبر عن عدائه لكثير من المواقف المنسوبة إلى الرواقية في مجال المنطق. يكفي أن نتذكر انتقاده لكيفية تعامل الرواقية مع المعنى الوجودي للقضايا السالبة.

ذكرأيضا أبوليوس في كتابه شخصيات مختلفة مثل سركيوس (Sergius) وفارو (Varro) وكيكيرو (Ciecero) وغيرهم، لكنهم لم يؤثروا عليه في شيء.

أثر كتاب في العبارة لأبوليوس في ما بعده :

تم توصيل أغلب ما ورد في كتاب العبارة لأبوليوس إلى الأجيال التي تلته بواسطة كُتّاب قدماء مشهورين، وخاصة مارتيانوس كابيلا (Martianus Capilla) وكاسيودورس (Cassiodorus) وإيزيدورس الإشبيلي (Isidorus) وألكوين (Alcuin) وشارل الأكبر. وفيما يلي تفصيل ذلك.

● ***أبوليوس ومارتيانوس كابيلا (400 م - 439م) :***

ألف مارتيانوس حول ما سمي قديما بالفنون السبعة كتابا على شكل موسوعة يحمل عنوان : De Nuptiis philologiae et Mercurii، وفيه يحمل الباب الرابع العنوان : "De arte Dialectica". خصص مارتيانوس الفصل الأول من هذا الباب لتفسير كتاب المقولات لأرسطو. ويتناول الفصل الأخير منه مسألة القياس الشرطي، وهو مقتبس من كيكيرو ومن الرواقية. أما الفصول الباقية من هذا الباب،

فتناول القياس الحملي ، وهو مقتبس من أبوليوس. لكن مارتيانوس، على عادة القدماء، لا يذكر مصادره.

● ***أبوليوس وكاسيودورس*** (480م- 575م) :

ألف كاسيودورس كتابا تحت عنوان : .Institutiones وخصص الباب الثاني منه للمنطق (De Dialectica). وفيه يرجع كاسيودورس إلى أبوليوس لعرض القياس الحملي.

● ***أبوليوس وإيزيدور الإشبلي*** (560م- 636م) :

ألف إيزيدور كتابا تحت عنوان : Etymologiarum Sive Originum، وعنون فيه الباب الثاني كما يلي : "De Rhetorica et Dialectica". وخصص الفصل 28 من هذا الباب لما سماه :-De Syllogismis Dialec tici، وهو فصل مقتبس من كتاب <u>في العبارة</u> لأبوليوس.

● ***أبوليوس والكوين*** (735م- 804م) :

ألف ألكوين كتابا، على شكل حوار، تحت عنوان : De Dialectica يحمل فيه الفصل الثاني عشر عنوان De Argumentis، وفيه يعرض المؤلف أصناف القياس الحملي كما وردت في كتاب في العبارة لأبوليوس.

● ***أبوليوس وشارل الأكبر*** (742م- 814م) :

أمر شارل الأكبر بتأليف كتاب تحت عنوان : . De Capitulare De Imaginibus وهو مؤلف من أربعة أبواب تم تخصيص أجزاء من الرابع منها لمربع تقابلات القضايا كما ورد عند أبوليوس ولعكس القضايا. ولقد أحال صاحب هذا الكتاب صراحة على أبوليوس.

مصير كتاب في العبارة بعد القرن التاسع الميلادي :

حتى زمن أبيلار (Abelard P. : م1079 - 1142م) لم تكن المصادر اللاتينية حول القياس الحملي تتعدى ثلاثة، وهي :

1 . كتاب في العبارة لأبوليوس[51] .

2 . كتاب بويتيوس (Boetius : 480 م - 525 م) تحت عنوان :

De Syllogismis Categoricis.

3 . كتاب أرسطو تحت عنوان : Analytica Priora، ترجمة بويتيوس[52].

لننبه هنا إلى مسألتين أساسيتين : الأولى هي أن بويتيوس لم يمارس أي تأثير على الفترة المحصورة بين القرن 6م والقرن 11م، والثانية هي انعدام ترجمة لاتينية لكتاب التحليلات الأولى (الذي يتناول موضوع القياس الحملي) حتى القرن 12م. معنى هذا أن كتاب في العبارة لأبوليوس كان المصدر الوحيد المتداول حول مسألة القياس الحملي حتى القرن 11م على الأقل. وخلال هذا القرن، أصبح كتاب أبوليوس يتعايش مع كتاب بويتيوس في "القياس الحملي". ولم تضعف سلطة كتاب أبوليوس إلا في القرن 12م، وذلك بعد النجاح الذي حققه كتاب بويتيوس المذكور.

وبالرغم من ذلك، لا يزال كتاب أبوليوس يُدرس إلى جانب كتاب القياس الحملي لبويتيوس وما سمي بالمنطق الجديد (Logica Nova) لأرسطو. وحسب الإحصائيات التي قدمها سوليفان، كانت هناك إثنتا

---

(51) لم نأخذ هنا بعين الإعتبار ملخصات كتاب أبوليوس الواردة في مؤلفات لاتينية أخرى ذكرناها أعلاه.

(52) لم يكن القروسطويون الاتينيون حتى القرن 12م يعرفون لأرسطو في المنطق إلا هذا الكتاب وكتابي في *العبارة والمقولات* (انظر : Isaac J. (1953)).

عشر نسخة من كتاب أبوليوس واثنتا عشر من كتاب بويتيوس وأربع من الترجمة اللاتينية لكتاب التحليلات الأولى، حتى القرن 12م [53] .

علاقة أبوليوس ببويتيوس :

إذا قارنا بين كتاب في العبارة لأبوليوس وكتاب القياس الحملي لبويتيوس، فسوف نجد بينهما تشابها كبيرا، سواء من حيث البنية أو من حيث طبيعة الموضوعات المدروسة أو حتى الأمثلة المستعملة. وهنا يقدم مؤرخو المنطق افتراضين أساسيين: إما أن يكون بويتيوس قد نقل عن أبوليوس دون ذكر مصدره، وإما أن يكونا معا قد نقلا عن مصدر ثالث، ليس هو أرسطو، دون الإحالة عليه. وإذا كان هذا الافتراض الأخير صحيحا، فما هو هذا المصدر الثالث ؟

لنعرض أولا لبعض التشابهات بين الكتابين. فمن حيث البنية، تم تقسيم كتاب بويتيوس إلى بابين : اهتم الأول بالقضايا الحملية والثاني بالقياس الحملي. وهذا بالضبط هو التصميم الذي اعتمده أبوليوس في كتاب في العبارة. يلاحَظ أيضا أن بويتيوس، تماما كأبوليوس، وخلافا لأرسطو، لا يتحدث عن قضايا الجهة وقياس الجهة. وعلى غرار أبوليوس وأرسطو، لا يتحدث بويتيوس عن القضايا الشرطية ولا عن الأقيسة الشرطية. وإذا رجعنا إلى التعريف الذي يعطيه بويتيوس للقياس الحملي، فسوف نضطر إلى افتراض أن هذا المؤرخ، حسب سوليفان، كان يملك بين يديه نسخة من كتاب في العبارة لأبوليوس. وهنا يرجّح سوليفان الافتراض القائل بأن بويتيوس نقل عن أبوليوس دون أن يذكر مصدره، وذلك لأن التصريح بالمصدر هنا قد يُنقص من

---

(53) Cf. Sullivan (1967), p. 205.

قيمة عمل بويتيوس، على الأقل في أعين بعض معاصريه من اللاتين. أضف إلى ذلك أنه من المحتمل أن ينظر بويتيوس إلى أبوليوس باعتباره خصما منافسا له. ومن مؤرخي المنطق من يرجح أن أبوليوس وبويتيوس نقلا معا عن مصدر ثالث ليس هو أرسطو. لكن هؤلاء المؤرخين لا يذكرون هذا المصدر الثالث ويعترفون بعدم القدرة على تحديده[54] . وفي حالة صحة افتراض سوليفان القائل بأن بويتيوس نقل عن أبوليوس فسوف يكون هذا الأخير هو صاحب التأثير الذي مارسه بويتيوس على القرون الوسطى فيما يخص مسألة القياس الحملي.

مكانة كتاب في العبارة لأبوليوس في تاريخ المنطق :

رأينا أن كتاب في *العبارة* لأبوليوس هو أول كتاب لاتيني في المنطق الصوري. ولقد لعب دورا هاما في نقل المنطق اليوناني إلى العالم اللاتينوفوني بما فيه شمال إفريقيا وإسبانيا القديمين. وذكرنا كذلك أن هذا الكتاب سيطر على الساحة المنطقية، فيما يخص مادة القياس الحملي، في الفترة المحصورة بين القرن 6 م ونشأة ما سمي بالمنطق الجديد، أي مع نهاية القرن 12م. ولكن الغريب هو أن كتاب أبوليوس، بالرغم من أهميته، لم يدرَج بين المؤلفات التي كانت تشكل ما يسمى بالمنطق القديم.

حسب كرابمان (M. Grabmann)[55] ، يتكوّن المنطق القديم (Logica Vetus) من العناصر التالية:

---

(54) Cf. Isaac J. (1953), p. 29 ; Sullivan (1967), p. 227.

(55) Grabmann M. (1950), pp. 123-162.

1 . ترجمة بويتيوس لإيساغوجي فورفوريوس.

2 . ترجمة بويتيوس لمقولات أرسطو.

3 . ترجمة بويتيوس لكتاب في العبارة لأرسطو.

4 . تعليقان لبويتيوس على إيساغوجي، الأول يتعلق بترجمة فيكتورينوس لـ إيساغوجي، والثاني يتعلق بترجمة بويتيوس لنفس الكتاب.

5 . تعليق لبويتيوس على مقولات أرسطو، وتعليقان له حول كتاب في العبارة لأرسطو.

6 . مجموعة من مؤلفات بويتيوس في المنطق، وهي :

Introdoctio ad Syllogismos Categoricus

De Syllogismo Categorico

De Syllogismo hypothetico

De Divisione

De Differentiis Topicis

7 . تعليق لبويتيوس على طوبيقا كيكيرو.

أما المنطق الجديد (Logica Nova)، حسب كرابمان نفسه، فيشمل :

1 . ترجمة لاتينية لكتاب التحليلات الأولى (Analytica Priora) لأرسطو،

2 . ترجمة لاتينية لكتاب التحليلات الثانية (Analytica Priora) لأرسطو،

3 . ترجمة لاتينية لكتاب الطوبيقا (Topica) لأرسطو،

4 . ترجمة لاتينية لكتاب المغالطات (De Sophisticis Elenchis) لأرسطو.

5 . كتاب المبادئ الستة (Liber sex Principiarum) المنسوب إلى Gilbert de la Porrée، وهو كتاب تم نشره في أواسط القرن 12 م لإتمام مقولات أرسطو.

يلاحَظ مما تقدم أن كتاب في العبارة لأبوليوس لم يدرَج في مكونات المنطق القديم ولا في مكونات المنطق الجديد بالرغم من كونه أقدمَ نص لاتيني في المنطق الصوري، وبالرغم من كونه المصدر اللاتيني الوحيد للمنطق الصوري منذ القرن 5 م حتى القرن 11م، وبالرغم من وجود ملخصات له في كتب قديمة، وبالرغم من كون بويتيوس نفسه نقل عنه، وبالرغم من كونه بقي مستعملا كنص يُعتمد عليه في الجامعات خلال القرنين 12م و 13م إلى جانب كتب بويتيوس وكتب أرسطو المدرجة في المنطق القديم. لهذه الأسباب كلها، يعتقد كثير من مؤرخي المنطق أنه لابد من مراجعة مكونات المنطق القديم. وهنا يتفق سوليفان مع بوخنسكي في القول بأن المنطق القديم لا يزال في حاجة إلى دراسة جادة، فنحن نجهل أشياء كثيرة عن كيفية تكوّن هذا المنطق[56] . ولكن المعلومات التي نملكها اليوم، بالرغم من قلتها، تسمح لنا بالقول بأن كتاب في العبارة لأبوليوس كتاب هام، حسب تعبير بوخنسكي نفسه، لأنه كان وراء نشأة تقليد منطقي متميز دام عدة قرون في شمال إفريقيا والغرب اللاتيني. وهو تقليد يختلف عن التقليد الأرسطي وعن التقليد الرواقي وعن التقليد البويتيوسي سواء من حيث المصطلحات التقنية أو من حيث المضمون أو من حيث المنهج.

● **من حيث المصطلحات** : بنى أبوليوس مصطلحات منطقية كثيرة يمكن من خلالها اكتشاف أهمية كتابه. ومن بين هذه المصطلحات : القضية (Propositio) والمؤلفة (Coniugatio) والجامع (Collectio). وأدخل أيضا أبوليوس المصطلحات التالية : Quantitas، Qualitas، Particularis، Aequipollentes Conversio، Universalis، Indefinita، Dedicativa، Abdicativa، Incongruae، Alterutrae، Subpares وغيرها.

---

(56) Sullivan (1967), p. 234; Londey and Johanson (1987), p. 4.

● **من حيث المضمون** : بالرغم من كون كتاب أبوليوس يبدو ذا صبغة مشائية، فإن هذا الفيلسوف أدخل تعديلات هامة على المضمون التقليدي للمنطق الصوري، نذكر من بينها : التمييز بين اتحاد المقدمات (Coniugato) والضرب (Modus)، نظرية القضايا المتكافئة (Aequipollentes Propositiones)، إضافة تقابل جديد إلى تقابلات القضايا التي عرفها المشائيون قبله (وهو الدخول تحت التضاد)، ووضع مربع القضايا. وفي هذا الصدد، حقق أبوليوس تقدما ليس فقط على مستوى المصطلحات أو على مستوى المضمون، بل أيضا على مستوى التصور. فلما أدخل أرسطو علاقات التقابل كان يركز على القضايا باعتبارها أقوالا واقعية. وهكذا، عندما كان يناقش التضاد والتناقض، كان يركز بالخصوص على القضايا المتقابلة كأزواج مكونة من إثبات / نفي بحيث إذا أثبت شخص ما واحدة من القضيتين يكون في نفس الوقت قد أنكر الثانية. وحسب لوندي وجونسن[57] ، كان أرسطو ينظر إلى التقابل نظرة ديالكتيكية، ولم يكن أرسطو يرى بوضوح العلاقة بين هذه النظرة الديالكتيكية وعلاقات التقابل مُعَبّر عنها بواسطة القضايا المتقابلة باعتبار قيمتها الصدقية. أما عند أبوليوس، فإن القيمة الصدقية هي التي تشكل معيار التقابل وخاصيته الأساسية. وهذا مستوى أكثر تجريدا من الذي تصوره أرسطو. يقول لوندي : "إذا قارنا بين أرسطو وأبوليوس في هذا الصدد، فسوف نجد أرسطو بدائيا بالقياس إلى أبوليوس"[58] . فالمقاربة الصدق ـ علاقية التي قام بها أبوليوس أكثر

---

(57) Londey and Johanson (1987), p. 57.

(58) "Beside Apuleius, in this area at least, Aristotle tends to appear primitive and clumsy". Cf. *Ibid.*, p. 57.

دقة وأكثر صورية من المقاربة الديالكتيكية التي قام بها أرسطو. وبالتالي فإن ما فعله أبوليوس ليس مجرد نقل التقابلات من الكلام إلى الرسم، بل أيضا نقلها من تصور إلى آخر ونحت لها مصطلحات تناسب تصوره الجديد.

● **من حيث المنهج :** من أهم ما ميز الطريقة التي تَعامل بها أبوليوس مع موضوعاته المنطقية كونها أكثر صورية من الطريقة التي تبناها أرسطو. يقول سوليفان في هذا الصدد : "إذا أخذنا الكتاب في حد ذاته بعين الاعتبار، فإن مؤلَّف أبوليوس ليس كتابا هاما في المنطق، ولكن له قيمة متميزة بالرغم من ذلك (...) ففيما يخص بعض النقاط، يبدو عمل أبوليوس أرقى في صيغته الصورية من عمل أرسطو، مثلا فيما يتعلق بالأساس الذي عليه تم تمييز أشكال القياس وضروبه" [59] . وبهذا يكون أبوليوس قد ساهم في تقدم المنطق، سواء على المستوى الهورستيكي (مثال مربع التقابلات) أو على المستوى التنظيري (كونه أكثر صورية من أرسطو) أو على مستوى المصطلحات كما رأينا [60] .

---

(59) Sullivan (1967), pp. 233-234.

(60) وضع لوندي وجونسن قائمة كاملة بالمصطلحات التي استعملها أبوليوس ، سواء أكانت من وضعه أو من وضع غيره انظر :

Londey and Johanson (1987), pp. 74 - 79 .

■ المصادر والمراجع

- ALCUIN, *De dialectica*, J. P. Migne ed, PL, vol, 101, Paris, 1863.
- APULEIUS, *Apologia*, Rudolf Helm ed, Apulei Opera Quae supersunt, Vol. II; Fasc. 1: Apulei Platonici Madaurensis Pro se De Magia Liber (Apologia). Leipzig : Teubner, 1905. Traduit en français par P. Vallette, coll. des Univ. de France, Paris, 1924.
- *Florida*, Rudolf Helm ed., Apulei Opera Quae Supersunt, vol. II, Fasc, 2 : Apluei Platonici Madaurensis Florida. Leipzig: Teubner, 1905. Traduit en français par P. Vallette, coll. des Univ. de France, Paris, 1924.
- *Metamorphosis*, Rudolf Helm ed., Apulei Opera Quae Supersunt, vol. I, Apulei Platonici Madaurensis Metamorphoseon Libri XI. Leipzig : Teubner, 1907 ; réédité en 1955. Traduction anglaise par Thomas Taylor, 1822 ; trad. Française par P. Vallette, Paris, 1940-1945, en 3 vols ; trad. Allemande par R. Helm, réed. En 1970 et en 1980 ; trad. Italienne par Augello, 2ème édition, 1980.

الترجمة العربية: لوكيوس أبوليوس المدوري، تحولات الجحش الذهبي، ترجمة علي فهمي خشيم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ليبيا، ط. 2، 1984(ط. 1، 1980)

- περι Ερμενειασ, A. Goldbacher ed., Zeitchrift fur classiche philologie, VII, 1885, pp. 253 -277, Vienna : Carl Gerold's Son.
- περι Ερμενειασ, P. Thomas ed., Apulei madaurensis Opera Quae Supersunt, vol. III : De Philosophia Libri, pp. 176-194, Leipzig : Teubner, 1938, éd. Corrigée

1970 ; trad. Angl. Par Londey and Johanson (1987).)

- *Opuscules philosophique* (Dieu de Socrate, Platon et sa doctrine, Du mond), texte traduit et commenté par J. Beaujeu, Paris, les Belles Lettres, 1973.
- ARISTOTE, *organon*, trad. française complète par J. Tricot, Paris; 5 vols, 1969-1974. Texte grec dans les "Oxford classical texts", 3 vols 1949- 1964. Trad. Angl. par W.D. Ross, 1928 et 1950.
- AUGUSTIN (St), *De civitate dei*, in : Corpus scriptorum, series latina, vol 33-37; De la cité de Dieu, Introduction et note G. Bardy, traduction G. Combès,1959 - 1960
- AULUS Gellius, *Noctes Atticae*, M. Hertz and C. Hosius eds, A Gelli Noctium Atticarum Libri XX, vol. II, Leipzig : Teubner, 1903.
- BLANCHE (1970), La logique et son histoire, Paris, A. Colin.
- BOETHIUS, *De Syllogismo Categorias Aristotelis*, J.P. Migne, ed. PL, vol. 64, Paris, 1891, pp 793 _ 832.
- *Commentarii in Librum Aristotelis*. Carolos Meiser ed. Anicilii
- *Manlii Severini Boetii Commentarii in Librum Aristotelis Pars Posterior*, Leipzig : Teubner 1880.
- BOCHNSKI, J.M. (1951), *Ancient Formal logic*, Amsterdam.
- A History of Formal Logic, Notre Dame University Press.

BREHIER, E (1937), *La philosophie du Moyen Age*, Paris, PUF.

(1951), Histoire de la Philosophie, Paris, PUF.

- CASSIODORUS SENATOR, *Institutiones*, R. A. B. Mynors ed., Cassiodori Senatororis Institutiones. OXFORD, Clarendon, 1937

- CHARLES THE GREAT, *Capitulare de Imaginibus*, J.P. Migne ed., PL, vol. 98, Paris, 1862.
- DAREMBERG C.V et SAGLIO E., *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, 5 vols, Paris, 1877-1919.
- DIOGENES LAERTIUS, *Vitae philosophorum*, C.G. Gobet ed., Diogenis Laertii philosophorum, Paris: A. Firmin - Didot, 1878, ; trad. franç. de R. Genaille, Paris, Garnier- Flamamarion, 1965 (2 vols).
- *ENCYCLOPEDIE PHILOSOPHIQUE UNIVERSELLE*, "Les Oeuvres Philosophiques", Tome I, pp. 33-34, Presse Univ. de France, 1992. ENCYCLOPEDIA *BRITANICA*, vol. I, p. 497; vol. 14, p. 70.
- GIBSON, M. ed. (1981), *Boethius, His Life, Thought and Influence*, Oxford, Blachwell.
- GRABMANN, M. (1950), "Aristoteles in Zwoelften Jahrhundert", in *Medieval Studies*, vol. 12, pp. 123-162..
- HAIGHT, E.H. (1927), *Apuleius and His Influence*, N. York: Longman's. Green and Co.
- HASKINS, Ch. H. (1957), *Studies in the History of Medieval Science*, Cambridge, Harvard Univ. Press.
- ISAAC, J. (1953), *Le Peri Hermeneias en Occident de Boèce à St Thomas*, Paris, Vrin.
- ISIDORUS (de Seville), *Etymologiae*. W.M. lindsay ed., Isidori Hispalensis Episcopi Etymologiarum Sive Originum, Libri XX, vol. I, Oxford : Clarendon, 1911. Nouvelle éd. avec trad. annotée, Paris, Les Belles Lettres en cours dans la coll. "Alma". Sont parus les livres; 2,9,12,13,17.

- KNEALE, W. and KNEALE, M. (1964), *The Development of Logic*, Oxford, Clarendon.
- LANTOURE (1879), "Apulée de Madaure", in *Revue politique et littéraire*, 1879.
- LONDEY, D. and JOHANSON, C. (1987), *The Logic of Apuleius*, E.J. Brill. Contient l'Original Latin et la trad. angl. du texte établi par P. Thomas.
- LUKASIEWICG J. (1951), *Aristotle's Syllogistic*, Oxford, Clarendon Press.
- MAKOVELSKI A. (1978), *Histoire de la logique*, éd. du Progès, Moscou, Trad. du russe par Geneviève Dupond.

MARTIN R. (1991), "Apulée, Vergile, Augustin. Réflexions nouvelles sur la structure des confessions", in *Revue des Etudes latines*, tome 68, 1991, pp. 136-150.

- MONCEAUX, P. (1894), *Les Africains, étude sur la littérature latine d'Afrique (Les païens)*, Lecène, Oudin et Cie, Paris.

(1888), " Apulée magicien. Histoire d'une légende africaine ", in: *Revue des deux mondes*, vol. I, pp. 571-608.

(1889), *Apulée, Roman et magie*, Paris, Maison Quantin.

- PAVIS D'ESCURAC (1977), "Apulée, rhéteur africain de la province romaine", in *Les africains*, Tome V, pp. 49-73.
- PECK, H.T. ed. (1923), *Harper's Dictionary of classicle Literature and Antiquities*, N. York, Americain book Co.
- PHOTIUS (St), *Murio biblon* (ou Bibliothéque), éd. et traduction R. Henry, Paris Les Belles Lettres, 8 vols, 1959-1977.
- PORPHYRE (1887), *Isagoge*, Addfus Busse ed., Porphyrii Isagoge et in Aristotelis Categorias commentari-

um in commentaria in Aristotelem Graeca, vol. IV, Part. I, Berlin: Reimer.

- RASHDALL, Hastings (1936), *The Universities of Europe in the middle Ages*. 3 vols.
- SCHLAMP, J. (1987), *Photios historien des lettres*, la bibliothèque et ses notices bibliographiques, Liège-paris, Les Belles Lettres.
- SCHLAM, C.C. (1971), *The Classical World*, vol. 64, N° 9. Contient une bibliographie des travaux parus sur Apulée de 1938 à 1971.
- SEXTUS EMPIRICUS, *Adversus Mathematicus*. Hermann Mutshmann ed., Sexti Empirici Opera, vol. II. Leipzig: Teubner, 1914.
- SULLIVAN, M. W. (1967), *Apuleian Logic, the Nature, Sources and Influence of Apuleius's Peri Hermneias*, Amstrdam: North Holland Pub. Co.
- TATUM, J. (1979), *Apuleius and the "Golden ass"*, Ithaca, 1979.
- THOMSON, M. (1953), "On Aristotle's square of opposition", in *Philosophical Review*, LXII, pp. 251-265.

THOMAS, P. (1981), *The Syllogism*, Munich.

- VAN DE VYVER, A. (1929), "Les étapes du développement philosophique du Haut Moyen Age", in *Revue belge de philosophie et d'histoire*, vol. VIII, pp. 425-452.
- VEYNE, P. (1965), "Apulée à Cenchée", in *Revue de philologie*, vol. 39, pp. 241-251.

الفصل الرابع

المنطق الصوري :
ترجمة النصوص القديمة ووضع المصطلحات التقنية
نموذج فيكتورينوس الأفريقي

ا. من هو فيكتورينوس الإفريقي ؟

الإسم الكامل لهذا الفيلسوف هو: Marius Caius Victorinus Afer وهو ريطوريقي وفيلسوف أفريقي. لُقِّبَ بالأفريقي (Afer) لتمييزه عن باقي الأشخاص الحاملين لنفس الاسم من الرومان. ولد فيكتورينوس بأفريقيا البروقنصلية (تونس الحالية) حسب شهادة القديس جيروم[1] وذلك حوالي 300 م. قضى بأفريقيا معظم حياته. فيها دَرَسَ ودرَّس إلى أن حصل على كرسي في الريطوريقا. ثم رحل إلى روما حوالي 340م، بحثا عن حياة أفضل، وفيها اكتسب شهرة كبيرة. علّم كثيرا من أشراف المدينة. وقيل عنه، حسب شهادة القديس أوغسطينوس وغيره، بأنه كان أشهر علماء عصره[2] . وحوالي 353م نَحت له سكان مدينة روما، وهو على قيد الحياة، تمثالا بشخصه وُضع بساحة تراجان (Forum de Trajan). وأعجب بهذا التمثال القديس أوغسطينوس لما زار روما وكذلك فعل كل الأفارقة الذين زاروا تلك المدينة[3] . وحوالي 355م اعتنق فيكتورينوس المسيحية بعد أن كان خصما لذوذا لها لمدة طويلة. وأخيرا، حوالي 382 م، توفي هذا الفيلسوف. لكن، رغم شهرته في العصر القديم، أصبح فيكتورينوس منسيا منذ القرن 12م، حتى من طرف مؤرخي الأدب اللاتيني ومؤرخي المنطق أيضا[4]، رغم أهمية الأعمال التي قام بها في هذا الميدان كما سنرى.

---

(1) St Jérôme, *De viris illustradum*, VI : Victorinus natione afer.

(2) St Augustin, *Confessions*, VII, 9; VIII, 2.

(3) St Augustin, *Confessions*, VIII, 3.

(4) لم يذكره بوخنسكي ولا بلانشي. أما نيل ونيل فقد خصصا له فقرة لا تتعدى ثلاثة عشر سطرا.

II - ما هي القيمة العلمية لفيكتورينوس ؟

غالبا ما يُنعت فيكتورينوس بكونه أباً للأفلوطينية اللاتينية. لقد ترجم كثيرا من كتب الأفلوطينيين من اليونانية إلى اللاتينية، ويُعتبر كذلك أول من وفّق بين الفلسفة الأفلوطينية والدين المسيحي، بالإضافة إلى مشاركته الفعالة في النضال ضد الأريوسية[5]. كتب عنه القديس جيروم قائلا: "لقد كتب ضد أريوس بعقل ديالكتيكي وبطرق غامضة لا يفهمها إلا المتضلعون في العلم"[6]. يقول عنه مونصو بأنه كان يتعامل مع المسائل الغارقة في التجريد[7]، وكان دقيق الأسلوب وعميق الفكر، درس كثيرا المنطق والأفلوطينية وأعجب بهما، كما كان أستاذا بارعا في الفصاحة بل كان أشهر الفصحاء في عصره حسب شهادة القديس أوغسطينوس[8]. وفي نفس الوقت الذي كان فيه فيكتورينوس يشتغل بالتدريس ، كان يكتب كتبا كثيرة، منها تآليف أصيلة ومنها ترجمات تداولها معاصروه والقروسطويون حتى نهاية القرن 12م (أي لمدة ثمانية قرون). ولقد انصب اهتمام فيكتورينوس على الخصوص على فنون النحو والريطوريقا و الشعر والفلسفة والمنطق والميتافيزيقا واللاهوت.

---

(5) Monceaux P. (1905), *Histoire littéraire de lAfrique chrétienne*, vol. III, chap. 4 ; Séjourné P. (1949), " Victorinus Afer ", in *Dictionnaire de la théologie catholique*, col. 2887-2954.

(6) St Jérôme, *Op. Cit.*, C.I., cite par Séjourné (1949), col. 2894.

(7) Monceaux (1905), p. 380.

(8) St Augustin, *Ibid.*

III - حياته العلمية غير الدينية

يمكن تقسيم حياة فيكتورينوس العلمية (غير الدينية) إلى ثلاث فترات:

1 - فترة الاشتغال بعلوم اللغة، وفيها ألف كتابا فن النحو (Arts grammatica) وكتبا أخرى صغيرة في فن الشعر وفي اللغة بصفة عامة.

2 - فترة الاشتغال بالريطوريقا والمنطق، وفيها كتب فيكتورينوس الكتب التالية:

أ - تعليق حول طوبيقا كيكيرو.

ب - ترجمة وتعليق لقاتيغورياس أرسطو.

ج - ترجمة كتاب في *العبارة* لأرسطو.

د - ترجمة وتعليق لإيساغوجي فورفوريوس.

هـ - تأليف كتاب التعاريف.

و - تأليف كتاب الأقيسة الشرطية.

ر - تأليف كتاب تفسير ريطوريقا كيكيرو.

3 - فترة الميتافيزيقا، وفيها ترجم فيكتورينوس تساعيات أفلوطين وكتبا أخرى لفورفوريوس ولفلاسفة آخرين قبل فورفوريوس.

IV - مؤلفاته العلمية:

1 - كتاب فن *النحو* (Ars grammatica)

هو أكثر أعماله شهرة. وهو كتاب مدرسي في النحو اللاتيني، يحتوي على فصل خاص بفن العَروض، وهو عبارة عن مجموعة

الدروس التي كان يعطيها فيكتورينوس لتلامذته. ورغم كونه مدرسيا فهو كتاب يحتوي على ملاحظات أصيلة حسب شهادة مونصو[9]. يتكون الكتاب من أربعة فصول: الأول خاص بمسائل عامة حول النحو اللاتيني والثاني خاص بدراسة لبحور الشعر السبعة المعروفة آنئذ. أما الثالث فيعرض نظرية خاصة بالكاتب في محاولة تقليص الألحان إلى اثنين فقط. ويهتم الفصل الرابع بالمقارنة بين البحور [10].

هناك ثلاثة مخطوطات لهذا الكتاب تم الاحتفاظ بها وهي:

a)Codex Polatinus, N0. 1753.

b)Codex Porisinus, NO. 7539.

c)Codex Valentianus. cf. Keil,Grammatici Latini, T. VI, leipzig, 1874.

طُبعت هذه المخطوطات غير ما مرة. ومن أهم هذه الطبعات:

Victorinus, *Ars grammatica*, éd. keil, in: keil, Grammatica Latini, Leipzig, 1874, T. VI, pp. 1-184.

2 ـ تعليق حول طوبيقا كيكيرو :

هذا كتاب ضاع، تماما كما هو شأن أغلب مؤلفات فيكتورينوس في المنطق. لكن قبل ضياعه اقتبس منه كاسيودورس، حسب ما ورد في كتاب هذا الأخير: *Institutiones* ، الفصل II. اقتبس منه أيضا مؤرخ المنطق القديم المعروف بويتيوس حسب ما ورد في كتابه: *In Topica ciceronis* وفي هذا الكتاب الأخير يذكر بويتيوس محتوى تعليق فيكتورينوس: ففي الفصل الأول من هذا التعليق يفحص فيكتورينوس مقدمة كتاب كيكيرو ويعرض بعض العموميات. وفي الفصل

(9) Cf. Monceaux (1905), p. 388.

(10) Monceaux (1905), p. 389.

الثـاني يتناول أقسـام الجـدل والإبداع وتعـاريف الموضـع (Lieu commun)، والحجـة. أما في الـفصل الثـالث فيـدرس الكاتب بعض الأمثلة التـي قدمـها كيكيرو، وفي الفصل الرابع يعرض أمثلة من وضعه الخاص. ويلاحظ النقاد (مـونصو مـثلا) أن هذا التـعليق هو في الواقع عبـارة عن عرض للآراء الشخصية لفيكتورينوس.

لقـد صـاغ أيضـا فيـكتوريـنوس تعليـقـا حول المحـاورات الفلسـفيـة لكيكيرو. ولكننا لا نعـرف عنه إلا القليل. ولم يذكره إلا القديس جيروم وحده[11] .

3 ـ ترجمة وتعليق *لكاتيكورياس أرسطو*:

هذا أيضـا كتـاب ضـاع. ويبدو أنه كـان تعليـقـا ضـخـمـا، في ثمانيـة أجزاء. استفاد منه كثيرا بويتيوس وكل مناطقة القرون الوسطى[12] .

4 ـ ترجمة وتعليق لكتاب *في العبارة* لأرسطو *Perihermeneias* :

هو أيضا كـتاب ضاع. لـكن بويتيوس اسـتغله قبـل ضياعـه لدراسة نفس كتاب أرسطو حسب شهادة كاسيودورس[13] .

5 ـ ترجمة كتاب *إيساغوجي* لفورفوريوس تحت عنوان: Porphyrii Isagoge

ترجـمـه فـيكتـوريـنوس من اليـونانيـة إلى اللاتـينيـة. وهذه هي أول ترجمة لاتـينية لهذا الكتاب. ولقـد علق بويتيوس على هذه التـرجمة في مـؤلَّف له تحـت عنوان : *In Porphyrium* (in : PL, T.64; pp. 9 -70) وأعـد بويتيوس نفسُه ترجمة أخرى لإيساغوجي فورفوريوس تحت عنوان :

(11) Monceaux (1905), p. 391.
(12) Monceaux (1905), p. 392.
(13) Cassiodorus, *Institutiones*, II.

Rorphrii Introductio in Aristotelis Categorias, in : A. Busse (éd), *Commentaria in Aristolelem Graeca*, IV, 1, Berlin; 1887, pp. 25-51.

لكن، إذا قارنا بين ترجمة فيكتورينوس وترجمة بويتيوس لنفس الكتاب فسوف نجد أن بيويتيوس ينقل عن فيكتورينوس وأن ترجمة هذا الأخير أكثر دقة من الناحية الفلسفية. هذه شهادة لمؤرخ قديم هو كاسيودورس[14] ولمؤرخ معاصر هو مونصو[15] .

أما بويتيوس فيعترف هو نفسه بأنه علق على كتاب فورفوريس مرتين : المرة الأولى انطلاقا من النص اللاتيني الذي أعده فيكتورينوس انطلاقا من ترجمة أخرى أعدها بويتيوس نفسه. في التعليق الأول فسر بويتيوس ترجمة فيكتورينوس في جزئين تحت عنوان :

In Porphyrium a Victorius Translatum dialogi II, in: *PL* de Migne, T. 64, pp. 9-70.

وفي الثاني علق بويتيوس على ترجمته الشخصية لنفس الكتاب في خمسة أجزاء تحت عنوان :

Commentarirum in Porphyrium a se translatum libre V, in : *PL* de Migne, T. 64, pp. 71-158.

ورغم هذا المجهود الذي قام به بويتيوس فإنه، حسب مونصو، كان ينقل مقاطع عن فيكتورينوس وينسبها إلى نفسه [16].

---

(14) *Ibid.*

(15) Monceaux (1905), p. 393.

(16) Monceaux. *Ibid.*

ترجم أيضا فيكتورينوس لفورفوريوس كتابا في الميتافيزيقيا تحت عنوان : .De regressu animae وهو كتاب كانت له قيمة دينية آنئذ. لكن هذه الترجمة ضاعت كما ضاع الأصل.

6 ـ *كتاب التعاريف* :Libre de Definitionibus

من حسن الحظ أن هذا الكتاب وصلنا. ولكنه نسب خطأ لمدة قرون إلى بويتيوس، ثم أخيرا ثبت أنه لفيكتورينوس. ويُعتبر هذا الكتاب، حسب بعض المؤرخين (مونصو مثلا)، من أكثر مؤلفات فيكتورينوس أصالة : ففيه تظهر بشكل جيد شخصية الكاتب. وكان الكتاب متداولا بكثرة سواء في أوروبا أو في شمال أفريقيا. أما فيما يخص محتوياته فيمكن التمييز بين فصلين منه : يحتوي الأول على عموميات حول أهمية موضوع التعريف وطبيعة التعريف الخطابي وعلاقته بالتعريف الفلسفي. أما الفصل الثاني فأكثر أهمية من الأول لأنه يحتوي على تحليل دقيق وذكي لأصناف التعريف الخمسة عشر. ثم يشير الكاتب إلى الأخطاء التي ينبغي تجنبها عند تطبيق تلك التعاريف. يقول مونصو في هذا الصدد : "إن الكاتب متمكن من مادته (أي المنطق) ولا يضيع قط وسط التجريدات التي يتناولها، ويهتم كثيرا بشرح المصطلحات التقنية. وحول كل صنف من التعاريف يقدم أمثلة كثيرة»[17] . و لهذا الكتاب أيضا أهمية تاريخية يعترف بها المؤرخون لكونه يلخّص العلم التقليدي، مع تقديمه لبحوث شخصية للكاتب. ولقد أُعجب بهذا الكتاب مناطقة وريطوريقيو القرون الموالية. وكل الذين عرضوا فكرة التعريف من بعده اكتفوا بنقل كتاب فيكتورينيوس أو

(17) *Ibid*., p. 384.

تلخيصه. وهذا ما فعله بويتيوس وكاسيودورس وإيزيدور[18]. ومن المؤكد أن كتاب فيكتورينوس في التعاريف كان متداولا بكثرة في المدارس وكان من بين المعالم التراثية في ميداني المنطق والريطوريقا [19] .

هناك نسختان مخطوطتان من هذا الكتاب :

1) Codices Manocenes; Nos. 14272 et 14819, l'un du Xe s. ou XIe s. et l'autre du XIIe s.

2) Codex Bernensis, No 300, du XIe s.ou XIIe s ; Codex Parisimus (B.N de Paris, Nouvelle acquisition No. 1611, XIe s.

نشرت هذه المخطوطات مرتين :

1) Scheps, zu Mario Victorinus de definitionibus, in : Le Philologus, T. 56, 1897.

2) Stangl, Mario Victoriniana, Munich; 1888, reproduit dans Hadot, Marius Victorinus, recherche sur sa vie et ses Oeuvres; Paris; 1971, pp. 329- 362.

7 ـ كتاب *الأقيسة الشرطية* De Syllogismis hypotheticis:

هو كتاب ضاع، مع الأسف. ولكن لدينا عنه معلومات وردت في كتاب آخر لفيكتورينوس تحت عنوان تفسير ريطوريقا كيكيرو Explanationes in ciceronis Rhetoricam. تحدث عنه كذلك المؤرخ إيزيدور [20]. ويقول عنه هذا الأخير :

---

(18) Cf. Boetius, *Commentaria in Ciceronis Topica*, PL, vol. 64, pp. 875-910; Cassidorus, Op. Cit., in PM, vol. 70.

(19) Monceaux (1905), p. 385.

(20) Victorinus, *Explanationes*, éd. Halm, pp. 184-189; Isidore (de Séville), *Orinie*, II, 25, 28.

كتاب إيزيدور هذا عبارة عن مقدمة موسوعية لجميع المعارف في عصره في عشرين جزءا. يتناول فيه الكاتب على الخصوص الفنون والعلوم والتقنيات القديمة. فهو كتاب هام في تاريخ العلم القديم. يسمى أحيانا بـ : *Etymologiae*. إزيدور هذا من أصل قرطاجني (وليس قرطاجي).

Modas syllogismorum hypotheticorum si quis plenius nosse desiderat, librum legat Marii Victorini qui inscribitur De syllogismis hypotheticis. (21)

ويذكره أيضا كاسيودورس في قوله :

(22)Victorinus de syllogismis hypothticis dixit.

ولقد كتب بويتيوس عن الأقيسة الشرطية الكثير، ولا ندري هل نقل مرة أخرى عن فيكتورينوس قبل ضياع كتابه(23) .

8 ـ كتاب تفسير روطوريقا كيكيرو (Explanationes in ciceronis Rhetoricam)

لقد وصلنا هذا الكتاب كاملا. وهو تعليق مستفيض لكتاب *الإبداع* De inventione لكيكيرو. لكن فيكتورينوس، رغم كونه بدأ بنيّة تفسير كتاب كيكيرو، لا يتحدث كثيرا عن هذا الأخير. بل أطلق العنان لفكره وعرض آراء شخصية كثيرة.

وصلنا هذا الكتاب في جزئين : يحتوي الأول على مائة صفحة، والثاني على خمس صفحات. فيهما يفسر الكاتب ما عرضه كيكيرو في كتاب الإبداع وفي نفس الوقت يؤرخ للريطوريقا. ويحتوي الكتاب أيضا على آراء شخصية لفيكتورينوس في الريطوريقا والفلسفة والمنطق وخاصة حول نظرية القياس ونظرية التعريف.

هناك ثلاث نسخ مخطوطة منه وهي :

(1) Codex Colonienis No. 166, VIIe s.

(2) Codex Manocensis No. 6400, Xe s.

(3) Codex Bambergensis, XIe s.

---

(21) Isidore, *Ibid.*

(22) Casiodorus, *Op. Cit.*, II.

(23) Bochenski (1961), pp. 193 sqq.

وهناك طبعتان أساسيتان لهذا المخطوط :

(1) Ed. Halm, in : Rhetores latini Minores; Leipzig; 1863, pp. 155 - 304 .

(2) Orelli, Cicero, t.V, pars I, pp. 2 - 174.

9 ـ ترجمات وتعاليق لكتب الأفلطونيين :

هي كتب في الميتافيزيقا ترجمها فيكتورينوس قبل اعتناقعه للمسيحية. أهمها :

أ. كتاب عودة *الروح* (de regressu animae) لفورفوريوس. ولكن هذه الترجمة ضاعت كما ضاع الأصل اليوناني. ويشهد القديس أوغسطينوس بأن ترجمات فيكتورينوس لكتب الأفلوطينيين كانت دقيقة جدا سواء من الناحية اللغوية أو من الناحية الفلسفية. ويشهد كذلك أن فيكتورينوس كان من أنصار الأفلوطينية التي انتشرت آنئذ بشمال إفريقيا القديم وبروما[24] .

ب. كتاب *تساعيات* (Ennéades) أفلوطين. وهي ترجمة ضاعت مع الأسف. لكن قبل ضياعها أخذ عنها أوغسطينوس الفلسفة الأفلوطينية.

10 ـ كتاب ضد *أريوس* (Adversus Arium) هذا كتاب في اللاهوت ويشكل، مع الكتب الدينية الأخرى التي خلفها لنا الكاتب، ما سمي بتساعيات فيكتورينوس، على غرار تساعيات أفلوطين. وتنقسم هذه التساعيات إلى ثلاث مجموعات من الكتب :

أ. ثلاث مقالات ضد أريوس.

ب. ثلاثة ترتيلات (أو تسابيح) حول الثالوث المقدس.

---

(24) St Augustin, *Confessions*, VIII, 2,3; Ibid., VII, 9,13,20,26.

ج. ثلاثة تعاليق حول رسائل القديس بولوس.

ويلاحظ أن كتاب *ضد أريوس* هذا غارق في الغموض الفلسفي نظرا لاحتوائه على مصطلحات تقنية جدا أغلبها من وضع فيكتورينوس. ويتضمن الكتاب أيضا ترجمة لبعض النصوص الأفلوطينية على الشكل التالي :

أ. مجموعة نصوص في الرسالة الأولى الموجهة إلى أحد الأريوسيين واسمه Candidus.

ب. مجموعة نصوص أخرى في الفصلين الثاني والثالث.

ج. مجموعة نصوص أخرى في الفصل الرابع.

ويشهد أوغسطينوس بأن هذه الترجمات خالية من الأكاذيب[25] .

11 ـ كتاب *نشأة الكلمة الإلهية* (Libre de generatione divini verbi):

هو كتاب جدلي يلجأ فيه الكاتب إلى استعمال تعقّلات غارقة في التجريد للإجابة عن رسالة لأحد أصدقائه من الأريوسيين وهو Candidus حول فكرة الله الأفلوطينية وحول اللوكوس الإلهي حسب الأريوسيين. يتبنى هذا الأريوسي القول بأن العالم خلق من لا شيء ولم يصدر عن الله ولهذا سمّى فيكتورينوس كتابه هذا بكتاب النشأة وفيه يحيل أحيانا على الكتب المقدسة المسيحية وأحيانا أخرى على كتب الأفلوطينية. وهنا حاول فيكتورينوس الدفاع عن نوع من التطابق بين الأفلوطينية والمسيحية. وفي هذا الكتاب اقتبس فيكتورينوس عن فورفوريوس مقولاته في الوجود. كما أنه استعمل مصطلحات من وضعه مثل:

Substantia, Subsistantia, Existeneia, Existeneialis

(25) *Ibid*.

هناك كتب دينية أخرى ألفها فيكتورينوس أهمها :

12- De Homousio recipiendo، وهو ملحق لكتاب ضد أريوس

13- De Trinitate هذا كتاب ضاع.

14- Liber ad justinum Manichaeum.

15- De verbis Scripturae.

16- Libre de physicis.

يدور مضمون الكتاب الأخير حول العالم الفيزيائي. ويتناول فيه الكاتب وجود الله ويرد على الملحدين والوثنيين، ويتناول فيه أيضا خلق المادة ونظام العالم الفيزيائي.

7- عمل فيكتورينوس في مجال المصطلح الفلسفي :

من الناحية التاريخية يعتبر فيكتورينوس أول من عبر عن كثير من المفاهيم الإغريقة المنطقية والميتافيزيقية باللغة اللاتينية. لقد ظهرت مآت الألفاظ عنده لأول مرة كما تشهد بذلك كتب التاريخ والمعاجم اللاتينية[26]. وكثير من هذه الألفاظ مبنية بواسطة المقاطع اللغوية التالية :

entia	mentum
atus	alis
itas	osus
etas	iter

لكن هذه الألفاظ لم تعمر كثيرا. وعلى العكس من ذلك، هناك كلمات، مثلا التي بنيت بواسطة ens للإشارة إلى الكينونة (أو الوجود : Etre) مثل Substentia، عاشت كثيرا بفضل تبني بويتيوس لها. يقول مونصو

(26) Cf. P. Séfourné (1949), col. 2895.

في هذا الصدد : "لقد ساهم فيكتورينوس في الغرب المسيحي في خلق لغة فلسفية جديدة"[27] . لقد تميز فعلا فيكتورينوس بالتجديد في كثير من المعاني الفلسفية القديمة وإبداع معاني أخرى جديدة. فكثير من المصطلحات المتداولة في القرون الوسطى هي من صنعه، وليس من صنع أرسطو كما يعتقد البعض. فمن بين الكلمات التي أبدعها فيكتورينوس أو جدد في معناها القديم نجد :

أ. التي جدد في معناها القديم :

Progressio

Potentia

Motus

ب. التي أبدعها :

Substantia

Subsitantia

consubstantia

in intellecto

in coelestibus

Existentia

Existentialis

inexistentialis

Praexistentia

---

(27) Monceaux (1905), p. 417.

VI. أثر فيكتورينوس على ما بعده:

يعترف المؤرخون القدامى وبعض المعاصرين أن فيكتورينوس مارس سلطة علمية على عصره وعلى ما بعده في الميادين التي اشتغل بها وخاصة المنطق والريطوريقا. وكان علماء العصر القديم والقرون الوسطى يتناصحون بقراءة أعماله. ومن بين العلماء الذين تأثروا بإنتاجه نذكر على سبيل المثال :

Augstinus (4 s.)

Beda (673 - 735(

Boetius (4 - 5s.)

Alcuin (735 - 804)

Cassiodorus (6 s.)

Eginhard (770 - 840: Ezinar)

Isidorus (6 - 7 s.)

Loup (mort en 623)

كان Alcuin (Albinus Flaccus) مثلا، يعتبر كتب فيكتورينوس من أغنى ما تملكه خزانة مدينة York في بريطانيا (ق 8م). وفي ق 9م كانت كتب فيكتورينوس حاضرة في مدينة Saint - Riquir. وفي سنة 1141م يحيل Thierry de Chartres (ت: 1155) على كتبه ويعتبرها المراجع الأساسية للطلبة. وفي القرنين 11م و12م كان العلماء يتداولون ترجمات فيكتورينوس في ألمانيا وفي بريطانيا (Duham) وفي باريز (Notre - Dame) وخاصة كتاب *Explanationes*. وهو كتاب في الجدل كما رأينا. ومن الجدير بالذكر هنا أنه بفضل فيكتورينوس تم إدخال الجدل إلى اللاهوت المسيحي.

VII. حول طريقته في الترجمة :

لم يكن فيكتورينوس يمارس الترجمة الحرفية، أي ترجمة كلمة بكلمة على عكس بويتيوس، بل كان يؤول الكلمات ليحافظ على معناها الفلسفي، ولهذا يمكن القول بأن كل ترجمة بالنسبة له هي عبارة عن نوع من التفسير، أي عبارة عن عمل شخصي. ويشهد مؤرخو الأدب الإفريقي اللاتينوفوني (مونصو مثلا) على أن التأويل الذي كان يمارسه فيكتورينوس على النصوص المترجمة كان أكثر صدقا من غيره. قارن مثلا ترجمته لإيساغوجي فورفوريوس مع ترجمة بويتيوس لنفس الكتاب. يعيب بويتيوس على فيكتورينوس كونه يخالف أحيانا النص الأصلي. ولكن تبين أن تأويلات فيكتورينوس في محلها. لقد خالف فعلا فيكتورينوس فورفوريوس في نقاط عدة، وخاصة في نظرية النوع، ولم تكن هذه الخلافات تُعجب بويتيوس. لكن هذا الأخير سرق الكثير من الأول[28] .

(28) *Ibid.*, p. 393.

VIII. خاتمة :

نختم أخيرا هذا الفصل بالملاحظات التالية :

1 . يتضح مما تقدم أن هناك فلاسفة مغاربيين اشتهروا في العصر القديم والوسيط وساهموا مساهمة فعالة في تطوير المنطق وتقريبه من العقلية المغاربية . ولكنهم الآن، مع الأسف، أصبحوا مجهولين سواء من طرف الغربيين أو من طرف المغاربة.

2 . التذكير بأن المغاربيين القدماء اتصلوا مباشرة بالمنطق اليوناني، أي من خلال اللغة اليونانية، وساهموا في نقله إلى اللغة اللاتينية عن طريق الترجمة والشرح. وللتأكد من هذا يكفي الرجوع إلى أعمال فيكتورينوس (ق 4م) وتيكونيوس الأفريقي (ق 4م) وفرونطو (ق 2م) وأبو ليوس الماداوري (ق 2م) وغيرهم.

3 . الانتباه إلى الشهرة التي أحرز عليها بعض المناطقة القدماء ومؤرخي المنطق القديم مثل بويتيوس وغيره، فقد تكون شهرة مكتسبة على حساب فيكتورينوس المسروق منه.

4 . نستنتج أخيرا ضرورة إعادة النظر في التراث المغاربي القديم في ميدان المنطق وتاريخ العلوم بشكل عام.

IX. مصادر ومراجع

- Augustin (St), *Confessions*, VII, 9; VIII, 2.
- Bochenski (1961), *A History of Formal Logic*, Notre Dame Press.
- Boèce, *Porphyrii Isagogem Commenta*, éd. G. Schepss et S. Brandt, *CSEL*, 48, Vienne/ Leipzig, 1906.
- Boèce, *Commentaria in Porphyium a victorino translatum*.
- Boéce, *De hypothticis Syllogimis*, éd . L. Obetello, 1969.
- Boèce, *Commentaria in Ciceronis Topica*, in : Migne; PL, Vol. 64; pp. et éd. J.C. Orelli, in : Ciceronis Opera, Tome V, 1833. 1039-1174 .
- Cassiodore, *Institutiones divinarum et saecularium lectionum*, éd. R.A.B. Mynor, Oxford, Clarendon, 1937.
- Isidore (de Séville), *Originum sive etymologiarum Libri* (Classifivations des connaissances en Arts libéraux, sciences morales, naturelles, agriculture et arts manuels), 20 livres, II, 25,28.
- Jérôme (St), *De viris illustribus* (biog. et Oeuvres de 4 siècles en 135 livres), I, 16, in : Migne, PL, T. 33.
- Victorinus M,C. *De definitionibus*, éd, stangl, Munich, 1888.
- Victorinus, *Explanationes*, éd . Halm, in : Rhetores latini Minores.
- Victorinus, *Ars grammatica*, in : keil, Grammat. lat. VI, pp. 1 - 148.
- Victoninus, *rhetoris commenta* in M.T. Ciceronis rhetoricam, in : Halm c. Rhetores latini minores.
- Marii Victorini, *ars grammatica*, in : Keil éd. *Grammatici latini*, Leipzig, 1874, T.VI, pp. 3 - 184.

- Marii Victorini, *liber de definitionbus*, éd Stangl, reproduit dans P. Hadot, *Marius Victorinus, recherche sur sa vie et ses œuvres*, Paris 1971.
- Benz F. (1932), *Marius Victorinus*, Stuttgart.
- *Dictionnaire Biographique des auteurs* (1956), Laffont - Bompiani, Paris.
- *Encyclopaedia Britanica*, vol .25, p. 891.
- *Encyclopédie Philosophique Universelle*, (Les oeuvres philosophique, vol, I, pp. 345 et 288), paris, PUF, 1992.
- Gilson E. (1992), *La philosophie au Moyen âge*, Tome I, pp. 121 sqq.
- Gore, (1887), "Victoninus Afer", in *Dict. of Christ. biog.* London, pp.1129- 1138.
- Ghellink J. De - (1911), "Rimniscences de la Dialectique de M/ Victorinus dans les conflits théologique des XIe et XIIe s", in : *Revue Néoscolastique*, 1911.
- Geiger G. (1888 - 1889), *C. Marius Victorinus Afer*, ein neuplatonisher philosoph, Metten.
- Hadot P (1968), *Porphyre et Victorinus*, Paris.
- Hadot P. (1984), *Arts libéreaux et philosophi dans la pensée antique*, Paris.
- Koffmane; (1880), *De Maris Victorino Philosopho*, Breslau.
- Monceaux P. (1905), *Histoire littéraire de l'Afrique Chrétienne*, tome III, chap. 4, et dans Melange Havet; 1909, pp. 289 - 310 .
- Monceaux P. (1894), *Les Africains*, pp. 401 sqq.
- Séjourné (1949), "Victorinus Afer", in : *Dictionnaire de la Théologie catholique*, Vol. XV, col. 2887 - 2954.

الفصل الخامس

منطق الخطابة القضائية:

نموذج فرونطو

لننبه أولا إلى أن منطق الخطابة، أو الريطوريقا (Rhêtorikê اليونانية)، هو المبحث الذي يهتم بتقنيات التدليل غير الصورية في الخطابات الدينية والسياسية والقانونية والفلسفية[1]. و ـ فن من الفنون الحرة السبعة التي ذكرناها سابقا. في العهد القديم كان المبحث بسيطا يهتم فقط بفن الخطابة، ولكنه تطور وأصبح مسلكا يشمل، بالإضافة إلى مادة الريطوريقا، مواد أخرى مثل النحو والجدل.

نشأ المبحث عند اليونان انطلاقا من إرهاصات طويلة خاصة في ميادين القضاء والأدب والفلسفة وبالضبط مع السفسطائيين. ولكن الريطوريقا لم تأخذ موقعها الذي تستحقه إلا مع أرسطو الذي خصص لها كتابا مستقلا ضمن مجموعة كتبه المنطقية المعروفة باسم الأوركانون.

ينبغي أن ننبه هنا القارئ الكريم إلى أن الريطوريقا كفن في الإقناع تختلف عن المنطق الصوري في كون الأولى لا تتناول إلا المحتمل على عكس المنطق الصوري الذي يتخذ له موضوعا اليقين أو الصدق الضروري (موضوع كتاب التحليلات الأولى). أضف إلى هذا أن الريطوريقا تُستعمل في مجالات الحياة اليومية وتتوجه إلى جمهور عريض أحيانا لا ينفع معه المنطق الصوري حسب أرسطو. تلعب الريطوريقا دورا أساسيا لا يستطيع المنطق الصوري أن يلعبه. فهي وسيلتنا الوحيدة في الإقناع عندما تعجز الوسائل البرهانية عن ذلك.

---

(1) Cf. Cicero (1924), *Division de lart Oratoire-Topiques*, trad. Fr. de Berneque, Paris : Les belles Lettres ; Cicero (1921), *L'Orateur*, trad. fr. de H. Berneque, Paris : Les Belles Lettres .

وهي الوسيلة الناجعة لإقناع مستمع أو مخاطَب لا يستطيع تتبع تعقل معقد. ولكن، رغم هذه الفروق بين الريطوريقا والمنطق الصوري، فهي جزء من المنطق بشكل عام. لكن أرسطو جعل الريطوريقا أقل أهمية من المنطق الصوري. غير أن هذا التفاضل لم يعد قائما اليوم.

لننبه كذلك إلى أنه، قبل أرسطو، لم يكن هناك فرق بين المنطق والجدل. أما اليوم فإن المصطلحات المنطقية أصبحت أكثر دقة. فالريطوريقا تنطلق من مقدمات مقبولة عموما دون أن تكون ضرورية ويكون المخاطب هو الجمهور. أما في الجدل (الطوبيقا) فقد ننطلق من مقدمات ضرورية ويكون المخاطب شخصا واحدا.

ظهر لأول مرة أول كتاب منهجي في الريطوريقا في جزيرة صقلية، صاغه رجلان هما Tisias و Corax[2] ثم طور السفسطائيون عمل هذين الرجلين من خلال اهتماماتهم باللغة عامة وبالنحو والأسلوب وعناصر الإقناع خاصة. وبعد جورجياس (Gorgias) أصبحت الخطابة نوعا أدبيا وانتشرت في أثينا ثم روما ثم شمال إفريقيا. ألف فيها أرسطو ثلاثة كتب. خصص الأول لتصنيف أنواع الخطاب والثاني لطرق الإقناع والثالث لدراسة الأسلوب باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع[3] .

لنلاحظ كذلك أن هناك علاقة وطيدة بين الفلسفة والريطوريقا باعتبار أن هذه الأخيرة تفترض ثقافة فلسفية كبيرة كما تفترض دراية

---

(2) Cf. Cicero, *Brutus*, 46

(3) Cf. Aristote, *Rhétorique*, Budé, 3 vols; Reboul O. (1984), *La Rhétorique*, PUF.

لا يُستهان بها بفن الجدل. وهكذا نلاحظ من جديد أن الريطوريقا والجدل، رغم اختلاف موضوعيهما، مرتبطان أيما ارتباط. بالنسبة للقدماء، هناك ثلاثة أنواع من الريطويقا:

- الريطوريقا السياسية: Délibératoire
- الريطوريقا القضائية: Judiciaire
- الريطوريقا البيانية: Epidictique

معيار النوع الأول هو المنفعة. ويتناول التقنيات الممكنة لإقناع الجماهير في التجمعات السياسية. أما معيار النوع الثاني فهو العدل. ويتناول طرق التدليل والإقناع أمام القضاة. أما الريطوريقا البيانية فتتناول المدح أو التأنيب وتعتمد التحسين والتقبيح كمعايير.

كيف انتقلت الريطوريقا إلى شمال إفريقيا القديم ومن هم روادها؟

يُعتبر الأديب الروماني كيكيرو (Cicero) من أهم رواد الريطوريقا القديمة بالعالم اللاتينوفوني. وكان له على شمال إفريقيا القديم وقع كبير. ويُعتبر كتاباه Topica و Oratore من أهم المؤلفات التي تُعَرِّف بهذا الفن وتاريخه.

دخلت الريطوريقا في مناهج التربية والتعليم بكل عواصم العالم القديم (أثينا, رومان, قرطاج, ...) واحتضنها رجال الفكر بشمال إفريقيا القديم وبرعوا فيها إلى درجة جعلت مونصو يقول عنهم: "لقد ولد المَغاربة ريطوريقيين".

برز منهم في هذا الميدان كل من أبوليوس وتيكونيوس وأوغسطينوس وفرونطو وغيرهم. وسوف نخصص ما تبقى من هذا

الفصل لهذا الأخير باعتاره مؤسس مدرسة مستقلة في الخطابة القضائية ساهمت في التدبير العقلاني لقضايا الفكر بشمال إفريقيا القديم.

من هو فرونطو؟

هو ماركوس كورنيليوس فرونطو الكيرتي (Marcus Cornelius Fronto). وهو خطيب ومحامي بارع، أمازيغي الأصل والنشأة[4]، روماني الثقافة. ولد بمدينة كيرتا (Cirta) (قسطنطينة بالجزائر الحالية) عام 100 م وتوفي بروما عام 166 م. عادل في شهرته الكاتب الروماني المعروف كيكيرو (أو شيشرون عند العرب: (Cicero)). علّم الريطوريقا والجدل للإمبراطور الروماني ماركوس أو غيليوس (Marcus Aurelius) وتتلمذ عنه أيضا الأديب والفيلسوف المعروف أولوس جليوس (Aulus Gelius) . وبعد دراسته الابتدائية والثانوية بنوميديا، رحل فرونطو إلى قرطاج، العاصمة العلمية لشمال إفريقيا القديم، ثم إلى روما لإتمام دراسته. وفي روما تتلمذ عن الفيلسوف الرواقي أتنودوروس (Athenodorus) وعن الخطيب ديونسيوس (Dionysius). ولما أتقن أساليب الريطوريقا، مارس مهنة المحاماة. فرافع في قضايا عامة وقضايا سياسية وخلق من حوله مدرسة تكونت من مريدين كانوا يُدْعون بالفرونطيين. من بين هؤلاء ماركوس أوغليوس صاحب كتاب الليالي الأتيكية. ولهذا الريطوريقي المغاربي نظرية في الفصاحة مؤسسة على مبدأي الشعور

---

(4) كتب فرونطو يوما إلى زوجة الإمبراطور Faustine قائلا: «إنني بربري، ... إنني ليبي، ومن منطقة الليبيين النوميديين».

". Cf. *Epit. Graec.* 1, p. 242 cité par Monceaux, *Les Africains*, p. 240. voir aussi *Ibid.*, p. 212.

والانفعال. وكان يعتبر الريطوريقا أهم أشكال الأدب، بل كان يُرجع كل أشكال الأدب إلى الريطوريقا. وله أيضا نظرية في التربية.

أما في ما يخص مؤلفاته، فقد ضاع معظمها, وخاصة خطبه. ولم يصلنا من كتبه إلا أجزاء متفرقة، منها:

1 . بعض مراسلاته،

2 . بقايا خطبة صيغت للدفاع عن القرطاجيين،

3 . بقايا كتابين حول الريطوريقا: الأول حول الفصاحة والثاني حول الخطابة،

4 . بقايا من كتابات في التاريخ حول مبادئ التاريخ وحول حروب الفرس،

5 . بقايا خطب نموذجية في الريطوريقا (5).

أما في ما يخص مادة المنطق، فقد اهتم فرونطو بها من خلال اهتمامه بالريطوريقا. وله في هذا الباب نظرية عرضها في كتاب له تحت عنوان: .De Elequantia فيه يعدد الكاتب مزايا الفصاحة، ويولي اهتماما خاصا لدور الألفاظ وتقنيات تركيب الجمل الفصيحة. وفي هذا الإطار تأثر فرونطو بالمنطق الرواقي من خلال أستاذه أثينودوروس (Athenodorus).

لا نعرف أكثر من هذا عن فرونطو. ولقد ذكرنا أن ما كتبه هذا الريطوريقي المغاربي ضاع كله. ولم يصلنا من كتبه وخطبه إلا أجزاء متفرقة ذكرناها قبل حين. أما ما نعرفه عنه فقد اقتبسناه من كتابين

(5) Cf. Monceaux (1894), pp. 225 sqq

أساسين هما: كتاب الليالي الأتيكية للفيلسوف أولوس جيليوس وكتاب الأفكار للفيلسوف ماركوس أوغيليوس. وعن هذين الكتابين نقل الجميع وخاصة مونصو[6].

وقد يكون من المفيد للقارئ الكريم الرجوع إلى المصادر والمراجع التالية:

Brock D. (1911), *Studies in Fronto and his age*, Cambridge.

Grimal P. (1911), "Ce que Marc Aurèle doit à Fronton", in: *Revue des Etudes Latines*, Tome 68, pp. 151 sqq.

Fronto, *Correspondances*, 2 vols, 1912-1920, publié avec une tradution anglaise par les Editions Loeb Classical Library.

(6) Monceaux. *Les Africains*, pp. 211 sqq

الفصل السادس

منطق التأويل والمناظرة:
نموذج تيكونيوس

يُعرف هذا الفيلسوف المغاربي القديم باسم تيكيونيوس الأفريقي (Tyconius Afer)، وهو كاتب وفيلسوف ومجادل كبير، ضوناتي التوجه، عقلاني المنهج. ازداد بأفريقيا البروقنصلية حوالي330 م. يصفه القديس أوغسطينوس بكونه شخصا ذكيا وفصيحا رغم كونه من أعدائه(1). أما عن حياته، فلا نعرف عن هذا الشخص إلا القليل. ولقد اشتهر بكونه اهتم كثيرا بتقنين تفسير النصوص الدينية وذلك بوضع منهج جديد مبني على مجموعة من القواعد يهدف الكاتب من ورائها إلى تحقيق موضوعية أكثر في فهم النص الديني قصد تجنب المجادلة العقيمة. أما في ما يخص مكانته الثقافية في الوسط الشمال إفريقي القديم، فيمكن اعتبار تيكونيوس نموذجا للعقلانية المغاربية القديمة انطلاقا من التفكير المنظم والنقدي والمنهجي الذي تبناه هذا الفيلسوف. ويحتل تيكونيوس على الخصوص مكانة متميزة في التراث الأدبي الضوناتي بفضل أصالة أعماله الأدبية وبفضل التوجه العلماني الذي تبناه ودافع عنه. وكأي ضوناتي, كان تيكونيوس أيضا مناظرا كبيرا. لكن أعماله, مع الأسف الشديد, لم تصلنا كاملة باستثناء كتاب القواعد (2).

---

(1) Cf. Augustin, *Contra Epistulam Parmeniani*, I. , Cité par Monceaux (1920), p. 168 et p. 166, note 5.

(2) Cf . Tyconius, *Liber de septem regulis*, in : Migne ed. , Pat. Lat. , tome XVIII, pp. 15-65. voir aussi l'éd. Critique de Burkitt (1894), *The Book of Rules of Tyconius*, Cambridge (vol. III, 1 des Texts and studies de Robinson).

• إسهامات تيكونيوس في ميدان الجدل:

شارك تيكونيوس بحماس في المناظرة الساخنة التي دارت بين الضوناتيين والكاثوليكيين بشمال إفريقيا والتي شارك فيها القديس أوغسطينوس مدافعا عن الكنيسة الرسمية. من المعروف أن تيكونيوس كان عضوا رسميا في حزب الضوناتيين إلى أن تم طرده منه بسبب آرائه الفلسفية التي لم تعد تخدم التوجه الضوناتي.

اهتم تيكونيوس على الخصوص بدراسة النصوص الدينية ومحاولة تقنين تأويلها قصد فهمها فهما سليما. ويمكن تصنيف مؤلفاته إلى ثلاثة أصناف:

1. مؤلفات في المناظرة وأهمها كتاب: De Bello Intestino الذي نشر حوالي 370 م. وكتاب Expositiones diversarum Causarum الذي نشر حوالي 375 م.
2. مؤلفات في تقنين فهم النص الديني. ومن أهم هذه المؤلفات كتاب القواعد: Liber Regularum الذي نشر حوالي 382 م.
3. مؤلفات في التفسير التطبيقي. ومن أهمها كتاب حول سِفر الرؤيا (Apocalypse) الذي نشر حوالي 385 م.

ونظرا لخصوصيات هذا العرض فإننا سوف نحصر اهتمامنا في كتاب القواعد فقط باعتباره مجهودا قيما في ميدان المنطق الجدلي ونظرية التأويل.

دخل تيكونيوس حلبة المناظرة عام 370 م. وألف في هذا الميدان كتابين أساسيين هما:

De Bello (370 م) و Expositiones (375 م). لـكـن، مـع الأسـف الشـديد، لم يصلنا مـن هذين الكـتـابين إلا شـذرات. ولولا أعـداء تيكونـيوس, خـاصـة أوغسطينـوس وبارمـينيـانوس، لما تعـرفـنا على محتويات هذين الكتابين.

حسب ما أورده أوغسطينوس[3]، يبدأ تيكونيوس في هذين الكتابين بالدفـاع عن دعوى مـحورية في مناظراتـه تتمـثل في كونيـة الكنيسـة، الشيء الذي أدّى به منطقيـا إلى نقض دعوى الضـوناتيين الأسـاسيـة المتمـثلة في اعتـبار الكنيـسة الحق هي الكنيـسة الأفريقـيـة (المغـاربية). وبالتالي، حسب تيكونيوس، لا حق لـلضوناتيين في امتلاك الدين الحق وحدهـم. ولقد أدى هذا بفيلسوفنا إلى صـياغـة اعتـراضات هامـة ضد ظاهرة الانشقـاق التي ساندها الضـوناتيُّون المغـاربيون رغبـة منهم في إعطاء هوية مستـقلة للكنيسة المغاربيـة وفصلها عن الكنيسة الرسـمية الرومانية. «بناء على وحـدة الكنيسة, يقول تيكونيوس، وقـصد الحفاظ على السِّلم، عـلى الفضـلاء أن يتـحـملوا مـوقـتـا الرذلاء، مع العلم أن التمييز بين هؤلاء وأولائك لن يحصل إلا يوم القيامة[4] ».

الأطروحة الثـانية التي ناظر حـولها تيكونيـوس هي مسألة الـتعمـيد (Baptême). وفي هذا الصدد يرفض تيكونيـوس ضرورة إعادة التعـميد لمن تم تعميـده سابقا في تقليد كـاثوليكي ثم التحق بالكنيسة الضـوناتية. وفي كل هذا يعتمد تيكونيوس على قدرته على التحاج وعلى نصوص دينية مختارة.

هذا هو باخـتـصـار مـحتـوى الكتابين المذكـورين في المناظرة واللذين أثارا كثـيرا من النقاش في شـمال إفريـقيا القـديم. وبهذا الصدد يعـترف مونصو (Monceaux) أن تيكونيوس دشن بطريقتـه في المناظرة منهجا جـديدا في الـتـحـاج. فـبدل أن يتـبنّـى التـجـريم، كـمـا يـفـعل زمـلاؤه الضـوناتيون، وبـدل الشتم أو الاسـتناد إلى التـقليـد أو سلطة السلف أو

(3) cf. Augustinus, *Contra Epistulam Parmeniani*, I, 1

(4) Cf. Augustinus, *Contra Epistulam*, III, 3, 17

سلطة النصوص الدينية كما هي مفهومة عادة، يرتكز تيكونيوس على الدراسة الموضوعية للمسائل التي اختلف حولها رواد الكنيستين. ومن أجل القيام بدراسة موضوعية من هذا النوع، صاغ تيكونيوس مجموعة من القواعد قصد تقنين تفسير النصوص الدينية بشكل عقلاني. وهذا هو موضوع كتاب القواعد الذي نشره تيكونيوس حوالي 382 م.

كتاب القواعد السبع لتيكونيوس مشهور في الوسط الثقافي المغاربي القديم. وموضوعه هو التقنين العقلاني لتأويل النصوص الدينية. وهو نموذج آخر للتدليل على مساهمة المغاربة القدامى في ميدان المنطق التطبيقي، خاصة منطق المناظرة. لقد وصلنا هذا الكتاب كاملا، وكان يُحال عليه منذ القرن 6 م وخلال القرون الوسطى تحت اسم *القواعد* (Regulae) أو تحت اسم كتاب تيكونيوس (Libri Tyconii).

في مقدمة الكتاب يقول المؤلف: « لقد اعتقدت ضروريا، قبل البدء في أي عمل، صياغة مجموعة من القواعد اعتبرها بمثابة مفاتيح أو مصابيح لاختراق أسرار الشريعة الإلهية (...) وإذا تم قبول هذه القواعد، فإن كل الأبواب الموصدة سوف تنفتح وسوف تتبدد كل الظلمات: سوف تكون هذه القواعد بمثابة دروب مضيئة، بفضلها يصبح بإمكاننا اقتحام الغابة الكثيفة لأسرار النبوة دون خطر التيه»[5]. يتكون الكتاب من سبعة فصول يتناول كل فصل قاعدة مستقلة. وبهذا يكون عدد القواعد المتضمنة في كتاب تيكونيوس سبعا، وهي:

- القاعدة الأولى: في طبيعة الله وجسده (أي الكنيسة)،
- القاعدة الثانية: في شطري الجسم الإلهي،
- القاعدة الثالثة: في الشرائع (أو القوانين)،

(5) Cité par Monceaux (1920), p. 180.

- القاعدة الرابعة: في النوع والجنس،
- القاعدة الخامسة: تتناول الإحالات الكرونولوجية الواردة في الكتاب المقدس وحساب نهاية العالم،
- القاعدة السادسة: عبارة عن خلاصة لما سبق،
- القاعد السابعة: تتناول الشيطان وجسده.

لا حاجة إلى الدخول في تفاصيل هذه القواعد لأنها سوف تبعدنا عن موضوع هذا الكتاب. يكفي أن نعرف هنا أن نسق تيكونيوس في التفسير جديد. فهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها اقتراح منهج للتفسير مقنن بطرق عقلانية[6]. أضف إلى ذلك أن الكاتب لم يتأثر باليونان، بل طور مفاهيمه وحده. وهكذا يكون تيكونيوس نموذجا آخر لتمييز المدرسة الشرقية عن المدرسة المغاربية حتى في الديانة المسيحية وذلك بكون الثانية تعتمد التحليل العقلي. ولقد تبنى كثير من المثقفين المسيحيين، سواء مغاربيين أو غير مغاربيين، قواعد تيكونيوس في المناظرة. وهذا هو ما يتضح من كتب مثقفين مغاربيين هما بيتليانوس (Petilianus) والقديس أوغسطينوس. ولقد انتشر كتاب تيكونيوس خاصة في ناحيتي قرطاج ونوميديا، ثم في أوروبا القروسطوية كاملة. ساهم في هذا الانتشار المجهود الذي قام به القديس أوغسطينوس في التعريف بكتاب القواعد من خلال ردوده على المؤلف[7].

في كتاب القواعد أثار إعجاب أوغسطينوس الهم المنهجي والاهتمام البالغ باستعمال العقل في عملية التأويل وقواعد المناظرة، وكذلك التشابه الحاصل بين عملية التفسير كما عرضها تيكونيوس والعمليات الريطوريقية التقليدية. وبهذا الصدد يسجل أوغسطينوس أنه يمكن رد نسق تيكونيوس إلى فن تأويل الاستعارات. يقول أوغسطينوس: "كل

---

(6) cf.Moneaux (1920), p. 191

(7) Cf. Augustinus, *De Doctrina Christiana*, L. 3

هذه القواعد، باستثناء واحدة، التي تحمل عنوان "الشرائع"، تجعل فهم شيء حاصلا بفهم شيء آخر. وهذا هو روح تعبير مجازي"[8] . يمكن القول باختصار إن منهج تيكونيوس هو تطبيق ذكي لمناهج الريطوريقيين على عملية تأويل النصوص، خاصة النص الديني. ولقد طبق تيكونيوس نفسه منهجه هذا وذلك في كتابه حول نهاية العالم.

يتضح من كل هذا أن تيكونيوس لم يكن مجرد رجل دين. بل كان أيضا أديبا وريطوريقيا مرموقا. ويظهر هذا في طريقته في التحاج حيث يطبق قواعد الريطوريقا بطريقة احترافية. وهذا ما لاحظه مونصو نفسه عندما قال عنه: «إنه يقود التعقلات بثقة كبيرة ويمارس الاستنباط بمهارة لا يتمتع بها إلا مفكر كبير ومنطقي ممتهن»[9].

هذا كل ما نعرفه عن تيكونيوس حتى الآن. ويمكن للقارئ الكريم، إذا رغب في المزيد من المعلومات، الرجوع إلى كتب تيكونيوس نفسه. ولقد ذكرنا أهم مؤلفاته في بداية هذا الفصل[10] . هناك أيضا عرض تحليلي ونقدي لمؤلفات تيكونيوس في العمل الذي نشره مونصو عام 1920[11]. أما النصوص اللاتينية لمؤلفات تيكونيوس فموجودة في مجموعة مين المعروفة[12] . و أما نص كتاب القواعد فموجود أيضا ضمن مجموعة مين المذكورة أعلاه. ولقد طبع لأول مرة عام 1569، وترجم إلى الإنجليزية عام 1894 [13].

---

(8) Cf. Augustinus, *De Doctrina Christiana*, Livre III, 37, 56 repris par Monceaux (1920), p. 195.

(9) cf. Monceaux(1920), p. 212.

(10) Cf. *Dictionnaire de la Théologie Catholique*, Vol. XV Col. 1932-1934.

(11) Monceaux / (1920), vol. V, Chap. I, pp. 165-219.

(12) Migne, *Pat. Lat.* , Tome XVIII.

(13) Burkitt F. (1894), *The Book of Rules of Tyconius*, Collection: Texts and Studies, tome III, fasc. 1, Cambridge.

الفصل السابع

منطق التأويل والجدل:
نموذج أوغسطينوس



من هو القديس أوغسطينوس؟

القـــديس أوغـــسطـينوس (Aurelius Augustinus) هو فـيلسـوف ريطوريقي أفـريقي. ازداد بمدينة تاگـاست (Tagaste)، سـوق أهراس بالجـزائر الحاليـة، عام 354 م، من أم أمازيـغية مـحض ومن أب خليط من العنصـــر الأمـازيغي والعنصـر الرومي حـسب مـا أورده صـديقـه وزمـيله بوسيـديوس (Possidius) [1]. تلقّى تعليمـه الابتدائي بمسـقط رأسـه والثـانوي بمدينة مـاداورا (Madaura) مـسقط رأس الفـيلسـوف الأمازيغي أبوليوس المداوري. ثم تلقّى دراسته الجامـعية بعاصمة العلم

(1) Cf. Possidius, *Vita St. Augustini*. In Migne, *PL*, tome 32, col.33-57

والاقتصاد لشمال إفريقيا القديم، قرطاج. دَرَّسَ أوغسطينوس بهذه الأخيرة قبل أن ينتقل إلى روما عام 383م وبعدها إلى ميلانو حيث حصل على لقب ومنصب "أستاذ في الريطوريقا". وبعد أربع سنوات من التدريس، رجع فيلسوفنا إلى وطنه الأصل حيث اعتنق أولا الديانة المانوية قبل أن يصبح مسيحيا. وفي مدينة هيبون (Hippone)، عنّابة بالجزائر الحالية، اشتغل أوغسطينوس أسقفا إلى أن وافته المنية عام 430 م، وهو العام الذي اجتاح فيه الوندال شمال إفريقيا القديم.

ثقافته الفلسفية:

نشأ القديس أوغسطينوس في تقليد ثقافي يقوم على اعتبار الفنون الحرة السبعة أساس التكوين الفلسفي. ماذا كان محتوى هذا الأساس التربوي المهيئ للدراسات الفلسفية؟ من الناحية الموضوعية، نلاحظ أن مصطلح " الفنون السبعة" الذي كان متداولا في الثقافة المغاربية القديمة، كان مصطلحا مطاطيا. أما من الناحية التاريخية فيمكن إرجاع فكرة هذا النسق إلى أفلاطون باعتباره ميز بين المباحث العقلية التي تنتمي إلى ثقافة الأحرار والعمل المهني اليدوي الذي يعتبره أفلاطون نشاطا خَسِيسا لا يمارسه إلا العبيد من الناس[2] . ورغم وجود هذه الفكرة في جمهورية *أفلاطون*، فإن مدلولها لم يصبح واضحا إلا خلال الفترة المحصورة ما بين 170 ق. م[3]. و 90 ق. م . ولم يكن الفلاسفة هم الوحيدين الذين اهتموا بالفنون الحرة، بل كان كيكيرو (Ciceron) يضع هذه الفنون في مقدمة دراسة الخطابة. بل حتى

(2) Cf. Platon, *République*, 7, 522 b sqq.

(3) Cf. Marrou (1937), p. 220.

الأطباء، مثل جالينوس، كانوا يهتمون بالفنون السبعة. وأصبحت هذه الفنون في العهد الروماني برنامجا ضروريا لكل دراسة عليا، سواء أكانت فلسفية أو غير فلسفية. ويمكن مقابلتها بما نعرفه اليوم باسم برامج الدراسة الثانوية المؤدية إلى شهادة الباكالوريا.

يمكن تصنيف الفنون السبعة إلى مجموعتين: تحتوي الأولى على النحو والريطوريقا والديالكتيك، أي على علوم اللغة وعلوم الخطابة وعلوم المنطق. وتحتوي المجموعة الثانية على الحساب والهندسة والفلك والموسيقى. وتُعتبر المجموعة الأولى أساسية وتمثل الجدع المشترك بين كل العلوم.

تم استعمال التسمية "الفنون الحرة" (Artes Liberales) خلال القرون الوسطى على الخصوص في الوسط اللاتيني، مع العلم أن كلمة "فن" في هذه التسمية لم تكن تحيل على ما تحيل عليه اليوم. فهي آنئذ كانت تحيل على العلوم (وليس الفنون) التي كانت تدرس في المدارس والجامعات. وسميت "حرة" لأن الغرض من تدريسها لم يكن محصورا في توجيه الطالب إلى مهنة معينة، بل كانت تُدرس كما يُدرس العلم من أجل العلم. وتعتمد على الخصوص على مزج الفلسفة باللاهوت، الشيء الذي أعطى، في الواقع، ما يُعرف بالثقافة السكولائية (Scholasticism).

لقد بدأ أوغسطينوس في كتابة مؤلفات حول كل واحد من الفنون الحرة السبعة (باستثناء علم الفلك)، ووضع لهذه الكتب العنوان المشترك التالي: Disciplinarum Libri .

ولكن، من أصل سبعة كتب، لم يتمم أوغسطينوس إلا واحدا منها، وهو كتاب النحو (De Grammatica). أما ما كتبه حول الريطوريقا والديالكتيك فلم يصلنا كاملا.

مكانة أوغسطينوس في الثقافة المغاربية القديمة:

يحتل أوغسطينوس مكانة هامة في التراث المغاربي المكتوب باللغة اللاتينية، تماما كما يحتل ابن رشد مكانة هامة في التراث المغاربي المكتوب باللغة العربية. التراث واحد واللغات متعددة. وكلا الفيلسوفين تأثر بثقافة عصره. وبما أن أوغسطينوس هو الذي يهمنا هنا، فسوف نحصر اهتمامنا في الكلام عنه.

من المعروف أن أوغسطينوس تأثر، على مستوى الأسلوب، بالكاتبين اللاتينيين المرموقين فيرجيل (Virgile) وكيكيرو (Ciciro)، وتأثر على مستوى الأفكار بالتقليد الأفلوطيني الذي كان شائعا آنئذ بشمال إفريقيا بفضل أعمال الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس المداوري (ق 2 م). اهتمام أوغسطينوس بالتقليد الأفلوطيني نابع من كون هذا الأخير يقدم الأسس النظرية التي تخدم الديانة المسيحية كنسق فكري. فالكتب الأفلوطينية تميز بصراحة بين المحسوسات من جهة والروحانيات من جهة ثانية. وعلى ثنائية المعقولات والمحسوسات هذه سوف يبني أوغسطينوس نظريته في المعرفة، مع العلم أن الله عنده، المقابل للعقل الأول عند الأفلوطينيين، هو مصدر كل شيء ويعادل الوجود والخير والحق. فهو النقطة الثابتة التي تنطلق منها كل الموجودات في تدرج ونظام عقليين. وقولنا "ثابتة" يعني كونها لا تتغيّر بينما ما يأتي بعدها هو موضوع للتغيرات الزمكانية.

وانطلاقا من المبادئ الأولى للفلسفة الأفلوطينية، طور أوغسطينوس الأسس الإبستيمولوجية والنفسية لما يُعرف اليوم ب: "فلسفة العقل" (Philosophy of Mind). ومن الملاحظ أن اهتمام أوغسطينوس بالعقل لم يأت من فراغ، بل من كونه يعتبر العقل أداة يدخل بها الإنسان في علاقة مع الحقائق المنزهة عن الفساد. فالعقل عنده هو القمّة المعرفية للنفس البشرية، لأنه يسمح لنا بدخول عالم الحقائق المطلقة[4].

يحصر أوغسطينوس العقل البشري في الملكة العاقلة فقط. فالعقل عنده هو قدرة الذهن على تناول العمليات الإستنباطية حيث الضرورة المنطقية هي معيار التماسك المنطقي. وبالتالي فإن العقل ظاهرة إنسانية فقط. فالإنسان هو الحيوان العاقل الوحيد بهذا المعنى. ننبه هنا إلى أن أوغسطينوس لا يحصر الضرورة المنطقية في الجانب الصوري فقط. بل لها أيضا جانب نفسي وأنطولوجي. وهنا تلتقي سيكولوجية أوغسطينوس مع إبستمولوجيته. ورغم كون أوغسطينوس يعتبر ظاهرة التعقل ظاهرة إنسانية محض، فإنه لا يقطع الصلة بين العقل الإنساني والعقل الإلهي. فهو يؤمن بالمعرفة الإشراقية متأثرا في ذلك بالمذهب الفلسفي الافلوطيني. فالله يلعب دورا أساسيا في العملية المعرفية وذلك بإنارته عقل الإنسان حتى يتمكن من إدراك الحقائق العليا. أضف إلى هذا أن أوغسطينوس يأخذ بمذهب السعادة العقلية (Eudaemonism) ويقّر بأن السعادة العقلية هي الخير الأعظم على خلاف الفلاسفة القورينائيين الذين يعتبرون السعادة الحسية (Hedonism) هي الخير الأعظم[5] .

---

(4) Cf. *De Libro Albitrio*, II, 8.

(5) Cf. Voula Stouna (1998), *The Epistemology of Cyrenaic School*, Cambridge Univ. Press.

من خلال هذه العُجَالة حول ثقافة أوغسطينوس الفلسفية، يتبين أن فيلسوفنا لم يخرج عن التقليد الشمال إفريقي. فالافلوطينية إنتاج شمال إفريقي محض. والمدرسة القورينية التي صاغت مذهب البحث عن السعادة، منذ القرن الرابع قبل الميلاد، هي أيضا تقليد شمال إفريقي. كل ما فعله أوغسطينوس هو كونه مزج الإثنين وحاول تطبيق الناتج على الديانة المسيحية لتتوافق مع عقلية شمال إفريقيا القديمة.

أثر أوغسطينوس فيما بعده:

أثَّر أوغسطينوس على مؤرخ المنطق الروماني بويتيوس (Boethius) وعلى يوحنا سكوتوس (John Scotus) وعلى القديس أنسليم (St. Anslem) في ما يخص البرهان الأنطولوجي، وعلى بونافنتورا (Bonaventure) وآخرين من فلاسفة القرن 13 م. كما أثر على فلاسفة النهضة الأوروبية وخاصة العقلانيين منهم مثل ديكارت (في ما يخص مسألة الكوجيطو و الأفكار الفطرية) وعلى كانط (في ما يخص فكرة التعالي) وعلى مالبرانش (في كتابه "بحث حول الحقيقة") وعلى فتجنشتين (Wittgenstein) في كتابيه "بحوث فلسفية" و "الرسالة المنطقية الفلسفية"[6].

---

(6) Cf. Malebranche N. , *A la rechèrche de la vérité*, Livre II, 2 éme partie, chapitre 6 et Introductions; Wittgenstein L. , *Philosopical Introductions*, part I, parags: 1- 3 et 32; Matthews G. B. (1992), *Thoughts Ego in Augustine and Descartes*, Cornell Univ. Press. Matthews G. B. ed. (1999), *The Augustine tradition*, Univ. of Califomia Press.

إسهامات أوغسطينوس في ميدان المنطق:

ننبه أولا إلى أن علماء اللاهوت المسيحيين لم يرفضوا المنطق، على عكس ما حصل لبعض فقهاء الإسلام في العصر الوسيط. فالمنطق عند أوغسطينوس، مثلا، هو علم ضروري لأنه يسمح باكتشاف المغالطات وضحدها في كل المسائل المتعلقة بالنصوص المقدسة. وإلى جانب الاهتمام بعلم المنطق الصوري، يلح أيضا أوغسطينوس على الاهتمام بعلم المناظرة لأنه يسمح بالدفاع عن الحقيقة بطرق إقناعية مشروعة(7).

اشتغل أوغسطينوس بشكلين من أشكال المنطق: المنطق الصوري والمنطق الجدلي. وألف في الصنف الأول كتابا تحت عنوان: في الدیالتیكا (De Dialectica). أما الصنف الثاني فقد مارسه وألف فيه مؤلفات كثيرة سوف نذكر أهمها بعد حين. كما ألف أيضا في الريطوريقا كتابا تحت عنوان: مبادئ الريطوريقا (Principia Retrorices). وتمثل كتب المنطق التي ألفها أوغسطينوس جزءا من الكتب الفلسفية التي خلفها لنا فيلسوفنا. لكن، مع الأسف الشديد، لم تصلنا هذه الكتب كاملة.

أما عن أسلوبه في الكتابة، فقد اختار أوغسطينوس أن يكتب في الديالكتيك وحوله بأسلوب حواري على الطريقة السقراطية. وكان يتقن التحاج إلى درجة أن بعض الضوناتيين من أعدائه كانوا يتهمونه بالسفسطة. انظر على سبيل المثال كتاب المدينة الإلهية، الذي هو كتاب في الفلسفة السياسية والذي يمكن اعتباره تمرينا على ممارسة

---

(7) Cf. Augustine, *De Doctrina Christiana*, Livre 2, 31,48, 49.

الجدل حيث يتحاور أوغسطينوس مع عدد من الفلاسفة والكتاب الذين عرفهم أوقرأ لهم، مثل كيكيرو (Ciciro) وفارون (Varron) وأبوليوس (Apuleus) وأفلوطينوس (Plotinus) وفورفوريوس (Porphyre) وغيرهم.

مصطلح "الديالكتيك" عند أوغسطينوس:

يستعمل أوغسطينوس ما يسميه بالديالكتيك في معنيين: المعنى الأول مقتبس عن الرواقية ومفاده أن الديالكتيك هو "علم المنهج" أو هو "دراسة القوانين التي تحكم سير العقل"، وهذا هو موضوع المنطق كما نعرفه اليوم[8]. أما المعنَى الثاني فهو مقتبس عن أرسطو ويفيد أن الديالكتيك يحيل على علم المناظرة أوْ علم إقناع الخصم [9]. أحيانا يلتبس مصطلح الديالكتيك في كتابات أوغسطينوس مع مصطلح "الريطوريقا". لهذا نجد بعض الباحثين يحذف تماما مصطلح الديالكتيك من قاموس أوغسطينوس ويحمل معناه الأول على الريطوريقا.

حضور الديالكتيك كممارسة في كتابات أوغسطينوس:

يتحدث أوغسطينوس عن الديالكتيك بمعنى المنطق الصوري في كثير من كتاباته. وسوف نكتفي هنا بذكر أهمها:

1 ـ في كتاب *أهمية النفس* (De Quantitate animae)، يعرض أوغسطينوس قواعد التعريف الجيد[10].

---

(8) Cf. Augustin, *Contra Cresconium*, Livre I, chap. 15, parag. 19 et ch. 20, par. 25, in: PL, t. XLIII, C. 457; Marrou (1937), p. 195; Augustine, *De Ordine*, Livre II, chap. 13, parag. 38.

(9) Cf. Augustin, *Contra Cresconium*, Livre I, chap. 13, parag. 16; Marrou (1937), p. 240.

(10) Cf. *De Quatitate animae*, chap. 2, parag. 27.

2 - في كتاب *المعلم* (De Magistro)، يعرض أوغسطينوس مبادئ منطق المحمولات[11] .

3 - في كتاب *المذهب المسيحي* (De Doctrina Christiana)، يتحدث أوغسطينوس عن الجنس والنوع[12] .

4 - في كتاب *الثالوث المقدس* (De Trenitate)، يتحدث أوغسطينوس عن النفي وعلاقته بالمحمول[13] .

5 - في كتاب *ضد يوليانوس* (Contra Iulianum)، يتحدث أوغسطينوس عن القضية الكلية الموجبة وعلاقتها بالكلية السالبة[14] .

6 - في كتاب *الديالكتيكا* (De Dialectica) يتحدث أوغسطينوس عن فن المصطلح. وهو الكتاب الوحيد الذي خصصه أوغسطينوس كاملا للمنطق. لكن، مع الأسف الشديد، لم يصلنا من هذا المكتوب إلا بضع ورقات لا يتعدّى مجموعها عشر فقرات من الحجم المتوسط[15] .

من خلال هذه النصوص الستة، يتبين أن أوغسطينوس ليس منطقيا محترفا ولا نجد عنده تقنيات عالية في المنطق الخالص. فلا يمكن مقارنته مثلا مع الشراح المناطقة الإغريق مثل تيوفراسطوس وجالينوس والإسكندر الأفروديسي ولا مع المناطقة المغاربيين الذين سبقوه أو عاصروه مثل أبوليوس وفكتورينوس. فلا مجال للمقارنة

(11) Cf. *De Magistro*, chap. 4, parag. 9.

(12) Cf. *De Doctrina Christiana*, 3, 34 (47); 2, 31 (48-49); 2, 37(55); 2, 35 (53).

(13) Cf. *De Trenitate*, 5, 7, (8)- 8 (9).

(14) Cf. *Contra Iulianum* 6, 6 (16).

(15) Cf. *Infra*.

مثلا بين نظرية التعريف التي يعرضها أوغسطينوس في كتاب أهمية النفس مع التي يعرضها فيكتورينوس في كتاب التعريف (Liber de Definitionibus). فالثاني أكثر تقنية من الأول[16] . ولكن هذا لم يمنع من كون أوغسطينوس قد نجح في تطبيق المنطق في كتاباته. فليس فقط المحاورات الفلسفية، بل كل أعمال أوغسطينوس تثبت أنه يملك معرفة عميقة بقوانين المنطق تماما كما يملك معرفة عالية بفن المناظرة[17] .

ما هي مصادر المنطق عند أوغسطينوس؟

من الواضح أن أوغسطينوس اقتبس المنطق الصوري عن التقليد الأرسطي، خاصة عن كتاب المقولات[18]. ومن الواضح أيضا أنه اقتبس الديالكتيك عن التقليد الرواقي، خاصة مبحث المصطلح الوارد في كتاب الديالكتيك لأوغسطينوس[19] . ولقد ألح أوغسطينوس نفسه على أهمية المنطق الرواقي وذلك في كتابه: ضد كريسكونيوس[20]. والواقع أن أوغسطينوس كان يريد من الديالكتيك أن يلعب دورا بيداغوجيا في تكوين الفيلسوف، تماما كما أراد ابن رشد من منطق البرهان أن يلعب نفس الدور. ومن المحتمل أيضا أن يكون أوغسطينوس قد قرأ مؤلفات مواطنيه في المنطق مثل التي نشرها أبوليوس المداوري وفيكتورينوس الأفريقي[21] .

(16) Cf. Monceaux, *L'Afrique Chrétienne*, 3, pp. 384-385.

(17) Cf. Marrou (1937), p. 459.

(18) cf. Augustin, *Confessions*, 4, 16 (28).

(19) Cf. Marrou (1937), pp. 576-578.

(20) Cf. Augustin, *Contra Cresconium*, 1, 13 (16).

(21) انظر هنا، الفصلين الخاصين بهذين الفيلسوفين.

ما بقي من مؤلفات أوغسطينوس في المنطق:

من أشهر مؤلفات أوغسطينوس في الجدل التي وصلتنا نذكر ما يلي:

● ***أولا*** : مؤلفات ضد الشكاك. ومن أهمها:

ضد الأكاديميين (Contra Academicos)، وفيه يرد المؤلف على دعاوي الشكاك الأكاديميين، لأن الشكانية، في اعتقاد أوغسطينوس، هي مذهب يحول دون المعرفة الحق التي هي مصدر السعادة العُظمى. وفي هذا الكتاب يميز أيضا أوغسطينوس بين عملية الإيمان وعملية التعقل. ويعتبر أن الإيمان لا يخضع للفهم العقلاني، مع العلم أن الإيمان شرط ضروري للفهم.

● ***ثانيا*** : مؤلفات ضد المانويين. ومن أهمها:

1.**أعمال ضد فيليكس المانوي** (Acta Contra Felicem Manicaeum)

وهو عبارة عن تقرير حول حوار عمومي مع واحد من زعماء المانوية.

2 . **أعمال ضد فورتوناتوس المانوي** (Acta Contra Fortunatum)

وهو أيضا خلاصة لحوار مع واحد من أبلغ المدافعين عن الديانة المانوية.

3 . **ضد فاوستوس المانوي** (Contra Faustus Manichaeum)

وهو مؤلف في المناظرة من ثلاثة وثلاثين كتابا.

● ***ثالثا*** : مؤلفات ضد الضوناتيين. ومن أهمها:

1 . **أعمال مؤتمر قرطاج** (Gesta Collationis Carthaginiensis)

وهو تقرير حول حوار دار بقرطاج خلال شهر يونيو 411 م بين الضوناتيين والكاتوليكيين.

2 . **ضد گاودنتيوس** (Contra Gaudantium) وهو كتاب موجه إلى أحد الضوناتيين الذي كان أسقف تِمگاد التي كانت معقلا للضوناتيين بجبال نوميديا القديمة في الفترة التي عاش بها أوغسطينوس.

3 . **ضد رسالة بارمينيان** (Contra epistolam Parmeniani) وهو كتاب موجه إلى الضوناتي بارمينيانوس الذي كان أسقف قرطاج (ت. 392 م).

4 . **التعميد أو ضد الضوناتيين**: (De Baptismo, Contra Donatistas) وهو كتاب من سبعة أجزاء يضحد فيها أوغسطينوس دعوى الضوناتيين القائلة بأن التعميد ممكن أكثر من مرة لنفس الشخص.

5 . **مزمور ضد الضوناتيين**: (Psalm Contra Partem Donati) وهو عبارة عن مقطوعة شعرية تتناول أهم المسائل التي تمت مناقشتها مع المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية.

● ***رابعا :*** مؤلفات ضد بيلاجيوس.

لنذكر أولا أن بيلاج (Pelage) كان من كبار المتمردين على الكنيسة الكاثوليكية خلال القرن الرابع الميلادي. أسس مذهبا دينيا عُرف باسم البلاجيانية (Pelagianism). وهو مذهب «يُنكر الخطيئة الأصلية وما يترتب عنها من فساد الطبيعة البشرية. ويطلق هذا الاصطلاح الآن على النظرية التي تقرر أن الإنسان طيب بالفطرة». ومن أهم الكتب الجدلية التي ألفها أوغسطينوس ضد بيلاجيانوس نذكر ما يلي:

1. **ضد يوليانوس** (Contra Iulianum) وهو عبارة عن مناظرة مع بيلاجيانوس في ستة كتب.

---

(22) انظر : مراد وهبة وآخرون، *المعجم الفلسفي*، 1971 ، ص: 43.

2 . **النفس وأصولها:** (De anima et eius Origene)

3 . **أعمال ضد بيلاجيانوس** (De gestis Pelageii)

وبالإضافة إلى كتب المناظرة ألف أيضا أوغسطينوس في المنطق الصوري ثلاثة كتب وهي:

مبادئ الريطوريقا: Principia Rhetarices[23].

كتاب في المقولات: Categorie Decem: ex Aristote Decerptae[24]

مبادئ الديالكتيكا: . Principia Dialectica[25]

لكن الباحثين يجمعون على أن الكتابين الأول والثاني منحولان. أما الكتاب الثالث فهناك شواهد تبرر نسبته إلى أوغسطينوس رغم إنكار البندكتيين لهذه النسبة.

محتويات كتاب الديالكتيكا:

هذا الكتاب هو الوحيد من كتب أوغسطينوس الذي يحمل عنوان "المنطق". وهو واحد من مجموعة كتب كان المؤلف ينوي من نشرها التعليق على الفنون السبعة الحرة واحدا واحدا باعتبارها تشكل المنظومة التعليمية المثال للتحضير لمهنة الفيلسوف[26]. ومن حسن حظنا أننا نملك الآن النسخة الأصلية من كتاب الديالكتيكا. ويمكن الرجوع إلى النص اللاتيني ضمن مجموعة مين[27].

(23) In: Codex Bernensis, 363.

(24) PL, t. 32, c. 1419-1440.

(25) PL, t. 32, c. 1409-1420.

(26) Cf. Augustin, *De Ordine*, L.I; Hadot I. (1984), pp. 101 sqq.

(27) cf. Migne J. P. (1944-64), *Pat. Lat.*, Tome 32, c. 1409-1420. Réédité par Crecelius sous le titre: *Aur. Augustini de Dialectica Liber.* Traduit en Français par Barrou M.H. (1873) in *œuvres complètes de St. Augustin*, Paris, Vives. Pour les besoins de ce travail, la traduction anglaise de J. Marchand est la seule utilisée. Une version électronique est également disponible sur le Web.

تم تقسيم الترجمة الإنجليزية التي اعتمدنا عليها هنا إلى عشر فقرات متفاوتة الحجم. وفي ما يلي أهم المواضيع التي تناولتها كل فقرة.

الفقرة الأولى: فيها يُعَرِّف أوغسطينوس الديالكتيك بقوله: " الديالكتيكا هي علم المناظرة الجيدة ". ثم بعد ذلك يعرض نظرية في اللغة تشبه بشكل مثير للانتباه تلك التي عرضها فتجنشتين في كتابه: الرسالة المنطقية الفلسفية وهي المعروفة باسم " نظرية الصورة ". عندما نتناظر أو نتحاج، يقول أوغسطينوس، نحن نستعمل تعابير. والتعابير، يضيف أوغسطينوس، هي إما بسيطة أو مركبة. والتعبير البسيط هو الذي يشير إلى شيء بسيط مثل " رجل "، " حصان "، " يجري"، " يناظر". نلاحظ هنا أن الأفعال عندما تخضع للعمليات الصرفية تبدو مركبة، ولكن أوغسطينوس يعتبرها بسيطة ولا يأخذ بعين الاعتبار الضمائر التي تحيل عليها تلك الأفعال. لكنه يستثني من هذه القاعدة الأفعال المرفقة بضمير المتكلم والمخاطب المفردين. ويعتبرها مركبة في اللغة اللاتينية. فعندما أقول" أمشي "، فينبغي أن نعرف أن هذه الكلمة مركبة من فعل المشي ومن الذي يمشي، أي "أنا".

الفقرة الثانية تتناول التعابير المركبة. ويبدأ أوغسطينوس بتعريف هذه الأخيرة بقوله: هي التعابير التي تحيل على أكثر من شيء واحد مثل قولنا " الرجل يمشي " أو " يمشي الرجل نحو الجبل ". هناك تعابير مركبة تشكل جملا مثل التي ذكرناها قبل حين. وهناك تعابير مركبة لا تشكل جملا. يترك أوغسطينوس هذا النوع الأخير جانبا ويهتم بالتعابير المركبة التي لها معنى وهي نوعان: إما هي تعابير تمثل جملا تفيد الإثبات مثل قولنا " يمشي الرجال " (أو " كل رجل فهو

يمشي ": (Omnis homo ambulat) أو النفي مثل قولنا: " لا يمشي الرجال "، وإما هي تعابير تمثل جملا لا يمكن إثباتها ولا نفيها كما هو الحال في التعابير التي تفيد الطلب أو التمني أو ما شاكلهما. فهذا النوع من التعابير لا يقبل الصدق أو الكذب. لهذا لا يعتبرها أوغسطينوس موضوع جدل أو نقاش.

الفقرة الثالثة تتخذ لها موضوعا الجمل التي تفيد الإثبات أو النفي. وهي إما بسيطة أو مركبة. البسيطة هي التي يتم النطق بها دون ربطها مع جملة أخرى كقولنا "كل الرجال يمشون" والمركبة هي التي تصبح قيمتها الصدقية تقال على الرابط الذي يجمعها كقولنا "إذا كان الرجل يمشي فهو يتحرك". ثم بعد ذلك يعرض أوغسطينوس كل أوجه الصدق التي تجعل من الشرط صادقا أو كاذبا.

الفقرة الرابعة تعرض ما يسميه أوغسطينوس بالأجزاء المفردة. ومن هذه الأجزاء يميز الكاتب أولا نوعين: الأول هو البسيط ويمثل المواد الأولية لبناء الدياليكتيك، والثاني هو المشترك. ويهتم الفصل الخاص بالبسيط بما يُسَمَّى بـ: " العبارة " (De Loquendo) أما موضوع المشترك فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

أ. مجموعات كلمات متراصة لكنها لا تشكل عبارة كاملة.

ب. عندما يتم تتميم عبارة ليتم تقويمها كعبارة بسيطة فسوف نجد أنفسنا في مبحث العبارة (De Proloquendo).

ت . الفصل الذي فيه يتم بناء الجملة بحيث تتعلق قيمتها الصدقية بالروابط التي تدخل في تكوينها، وهذا هو مبحث القياس، أو المبحث الذي يهتم بتحصيل نتيجة (De Proloquiorum Summa).

الفقرة الخامسة تتناول تعريف الكلمة وتحديد معناها. فالكلمة هي علامة على شيء ما يمكن فهمه بالسماع بعد أن ينطق بها المتكلم. والشيء هو كل ما يمكن الإحساس به أو فهمه. والعلامة هي ما يعرض نفسه للحواس وهي شيء غير نفسها بالنسبة للعقل. والكلام هو تقديم علامة أو علامات في صوت متميز. وهذا الصوت المتميز هو ما يمكن التعبير عنه في حروف. والكلمة، رغم كونها مجموعة من أصوات، فإنها عندما تكون مكتوبة تصبح علامة. وعندما يراها القارئ تصطدم الحروف مع العقل فيسطع عنه الصوت. فالعلامة هي شيء مزدوج الدلالة لأنها تعرض نفسها على الحواس وتعرض نفسها على العقل باعتبارها شيئا آخر. وبالتالي فإن ما نقرأه ليس هو الكلمات بل العلامات التي تدل على الكلمات. وهكذا فإن أية كلمة لها صوت يقابلها. لكن الصوت لا علاقة له بالديالكتيك لأن الديالكتيك يحصل بالكلمات باعتبارها علامات وليس باعتبارها أصواتا. وعندما يتم استعمال الكلمة ليس للإحالة على نفسها بل باعتبارها شيئا يُحيل على شيء آخر، فإن هذا هو ما يسميه أوغسطينوس بالتعبير أو القول (Dictio). بتعبير آخر, ما يسمى "كلمة" هو في نفس الوقت كلمة ودَلالة الكلمة. ولكن ما يُفهم من الكلمة وما هو موجود في العقل هو ما يسميه أوغسطينوس بـ: "القابل للقول" (Dicibile).

الفقرة السادسة تتناول تحليل أصل الكلمة. فكل كلمة، باستثناء صوتها، تقدم بالضرورة أربعة أوجه: الأصل، القوة، التصريف (أو التغير) والرتبة. ويمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى الفقرة المذكورة للمزيد من التفاصيل حول هذه الأوجه.

الفقرة السابعة تتناول تحليل قوة الكلمة. ويمكن قياس قوة الكلمة، حسب أوغسطينوس، بدرجة قدرتها على تحريك المستمع. فالكلمة

يمكن أن تحرك المستمع بذاتها أو بما تعنيه أو بهما معا. ويقدم أوغسطينوس في هذه الفقرة تفاصيل حول ذلك لا داعي لذكرها هنا.

الفقرة الثامنة تدرس علاقة قوة الكلمة بالديالكتيك. وتهتم بالخصوص بظاهرة غموض الكلمات.

الفقرة التاسعة تعرض أشكال الغموض وتهتم بالتمييز بين غموض المنطوق وغموض المكتوب.

الفقرة العاشرة تتناول ما يسميه أوغسطينوس بالملتبس أو مزدوج المعنَى: (equivoca). وفيها يميز الكاتب بين ثلاثة أنواع من الغموض التي تترتب عن ازدواجية المعنَى. ويفرّع كل نوع إلى أقسام جديدة، ثم يُنهِي الفقرة بالغموض الذي يلحق المكتوب وحده.

وبالفقرة العاشرة ينتهي الكتاب. لكن هذا الأخير ينتهي بشكل مفاجئ، لأن الكاتب لا يختم موضوع عرضه ولا يستخلص أية خلاصة ولا يتحدث عن غير ما ذكرنا من موضوعات الجدل. فهل كان أوغسطينوس ينوي إنهاء هذا الكتاب لو لم تفاجئه المنية؟

لننبه كذلك أن هناك تشابها في الموضوع بين كتاب الديالكتيكا المذكور وما ورد في كتاب المذهب المسيحي[28]، حيث يدرس المؤلف في الكتابين معا التمييز بين فكرتي الغموض والالتباس في معاني الكلمات. ومن الواضح أن أوغسطينوس يعتمد في هذين الكتابين على التعريفات والتقسيمات التي عُرفت عن الرواقية. ومن المحتمل أيضا أن تكون هذه التعريفات والتقسيمات مقتبسة عن كِتاب "في العبارة" لأبوليوس المداوري[29].

(28) Cf. *De Doctrina Christiana*, L. II, ch. 10, parag. 15, in: PL, t. 34, c. 42.

(29) انظر هنا، الفصل الخاص بأبوليوس المداوري.

أهم المصادر والمراجع :

● أولا : مؤلفات أوغسطينوس:

لننبه أولا إلى أن كل مؤلفات أوغسطينوس باللغة اللاتينية. وكان فيلسوفنا يكره اليونانية رغم كونه يعرفها. ونظرا لكثرة المؤلفات التي ورثناها عن أوغسطينوس فلن نتمكن من تقديم لائحة كاملة لها. سوف نقتصر فقط على التي لها علاقة بموضوع هذا الكتاب، أي التي لها علاقة بالمنطق والجدل والريطوريقا والفلسفة بشكل عام[30] .

لقد تم نَشْرُ أعمال أوغسطينوس في صيغتها الأصلية غير ما مرة. ومن أقدم الطبعات التي جمعت كل مؤلفات أوغسطينوس تلك التي صدرت في القرن 17م تحت عنوان: Opera Omnia التي أعاد طبعها مين (Migne) في مجموعته المعروفة تحت عنوان:

Patrologiae Cursus Completus, Series Latina, [PL], Paris, 1844-1864, vols 32-47.

وهناك طبعات نقدية هامة لنفس الأصل نذكر منها:

1) Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum, Vienna: Tempsky, 1865 [CSEL].
2) Corpus Christianorum, Series Latina, Turnhout: Brepolis 1953 [CCL].
3) Bibliothèque Augstinienne , Oeuvres de St. Augustin, Paris: Desclee de Brouwer, 1949 [BA].
4) Nuova Biblioteca Agostiniana, Opera de S. Agostino, Edizione Latino Italiana, Rome, Citta Nuova, 1965 [NBA].

---

(30) Cf. Portalié E., " St. Augustin ", in : Dictionnaire de la Théologie Catholique, col. 2268-2472.

أما أهم مؤلفات أوغسطينوس التي لها علاقة بموضوعنا فيمكن حصرها في ما يلي:

1. الحياة السعيدة (De Beata Vita) وهو حوار فلسفي موضوعه السعادة، وفيه يظهر تأثير أفلوطين وفورفوريوس واضحا على أوغسطينوس. تُرجم إلى الإنجليزية عام 1990 ضمن مجموعة : The Work of St. Augustine.

2. الاعترافات (Confessiones) وهو عمل في ثلاثة عشر جزءا على شكل سيرة ذاتية، تُرجم إلى الإنجليزية عام 1991 من طرف H. Chadwik[31].

3. سِفر التكوين بالمعنى اللفظي (De Gensiad Litteram) وهو كتاب يتكون من إثنى عشر جزءا يعلق فيه المؤلف على سفر التكوين المعروف كنص مقدس مسيحي ويحاول عرض مذاهب فلسفية لاهوتية. تُرجم إلى الإنجليزية على يد J.H.Jaylor عام 1982.

4. التالوث المقدس (De Trinitate) وهو كتاب لاهوتي يتكون من خمسة عشر جزءا. تُرجم إلى الإنجليزية عام 1990 ضمن مجموعة : The Work of St. Augustine

5. المدينة الإلهية (De Civitate Dei) وهو كتاب من اثنين وعشرين جزءا يتناول موضوعات في علم الاجتماع السياسي. تُرجم إلى الإنجليزية عام 1998 على يد R.W. Dyson

6. في المنطق (De Dialectica) وهو كتاب صغير الحجم وغير

(31) انظر تفاصيل محتويات هذا الكتاب في : Marrou (1937), pp. 63-64

كامل يتناول فيه المؤلف أوليات حول تعريف الكلام وأصنافه على الطريقة الرواقية. تم تحقيق النص اللاتيني ونشره عام 1857 من طرف W. Crecelius. هناك أيضا تحقيق آخر وترجمة إلى الفرنسية على يد M.H. Barreau ضمن... . Œuvres Complètes. تُرجم أيضا الكتاب إلى الإنجليزية عام 1975 على يد Barrell Jackson.

7. خلود النفس (De Immortalitate animae)

8. حول الإرادة (De Libero Arbitrio) وهو حوار في ثلاثة كتب يحاول فيه المؤلف إثبات وجود الله كواقع ترنسند نتالي[32] .

9. ضد الأكاديميين (Contra Academicos) وهو حوار في ثلاثة كتب يرد فيه المؤلف على الشكانيين. ترجم إلى الإنجليزية على يد King Peter عام 1995.

10. المعلم (De Magistro) هو حوار بين أوغسطينوس وابنه أديوداتوس (Adeodatus) حول المعرفة وتوصيلها. ترجم إلى الإنجليزية على يد King Peter عام 1995.

11. نظام العالم (De Ordine) وهو حوار يتحدث عن العناية الإلهية وعن النظام الذي يحكم العالم.

12. ضد گاودنتيوس (Contra Gaudentium) وهو كتاب ينتقد فيه أوغسطينوس واحدا من زعماء المذهب الضوناتي. وگاودنتيوس هذا هو أسقف قرية جبلية اسمها تيمگاد (Timgade) التي كانت قلعة من قلاع الضوناتيين المغاربة القدامى.

(32) Cf. Gilson E. (1949), Introduction à l'Etude de St. Augustin, Paris, Librairie Philo. J. Vrin., pp. 15-23.

13 . التعميد، أو ضد الضوناتيين (De Baptimo, Contra Donatistas) هو مؤلف من سبعة كتب، يتناول فيه أوغسطينوس بالتحليل والنقد وجهة نظر الضوناتيين القائلة بأن التعميد ممكن، بل واجب، أكثر من مرة بالنسبة لنفس الشخص. ليعلم القارئ الكريم هنا أن مسألة التعميد هي ركن من أركان المذهب المسيحي المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية والمعروف بالضوناتية (Donatism).

14 . المذهب المسيحي (De Doctrina Christiana) هو كتاب حول الثقافة المسيحية يهدف إلى شرح الحقائق الواردة في الكتاب المقدس وإلى تقديم برنامج تعليمي ضروري للمثقف المسيحي. ويشمل هذا البرنامج مجموعتين من العلوم: مجموعة العلوم الزمكانية وتشمل النحو والتاريخ والجغرافيا والتاريخ الطبيعي والفنون الميكانيكية؛ ومجموعة العلوم العقلية وتشمل الريطوريقا والديالكتيكا والرياضيات (أي الحساب والهندسة وعلم الفلك الرياضي) والموسيقى والفلسفة[33] .

● ***ثانيا : مؤلفات حول أوغسطينوس:***

كُتب حول أوغسطينوس الكثير من الكتب والمقالات. وآخر ما كُتب حوله موسوعة في تسعمائة صفحة تحت عنوان: Augustine Thought and Ages نشرها A.D.Fitzgerald عام 1999. هذا مع العلم أن ما كُتب حول أوغسطينوس يصعب حصره. ولهذا سوف نكتفي بذكر ما نعتبره هاما في ما يلي:

---

(33) Cf. Marrou (1937), p. 403.

- Ayers R . H (1979), *Language, Logic and Reason in Th Church Fathers.* A study of Tertullian, Augustine and Aquinas, N . York.
- Bardy G. (1940), *St Augustin, L'homme et L'œuvre*, Paris (excellente étude bibliographique).
- Bonner Gerald (1986) *Augustine of Hippo : life and controversies*, Canterbury press .
- Bubacz Bruce (1981), *St Augustin Theory of Knowledge* : A contemporary Anolysis. Edwin Mellin.
- Callahan J.F. (1967), *Augustine and the Greek philosophy*, Villanova.
- Comeau M. (1930), *La Rhétorique de la St Augustin*, Paris :Boivin .

Encyclopedie Philosophique Universelle, Vol. 1, pp. 70 -74.

- Gilson E. (1949), *Introduction à l'étude de St. Augustin,* Paris (3éme éd).
- Gilson E. (1930), *Etude sur le rôle de la pensée médiévale dans la formation du système cartésien.* Paris : J. Vrin.
- Goutier H. (1926), *La vocation de Malebranche*, Paris : Vrin. [Rapport de Malebranche à Augustin].
- Kirwan Christopher (1989), *Augustine, The Arguments of Philosophers*, Routlege.
- Markus R. A. ed. (1972), *Augustine : a collection of critical Essays.* Anchor Books.

- Matthews G. B. ed. (1999), *The Augustinian tradition*, Univ. Of California Press.
- Marrou Henri - Irence (1937), *St Augustin et la fin de la culture classique*, Paris : Boccard.
- Madee G. (1988), *La Bibliothèque augustinienne*, Paris.
- Nash Roland H. (1969), *The light of the Mind : St Augustine's Theory of Knowledge*. Kentucky Univ. Press.
- Nourrisson (1865), *La philosophie de St Augustin*, Paris : Didier.
- O'Daly G. (1987), *Augustine's Philosophy of Mind*. Univ. of California Press.
- Pepin J. (1976), *St Augustin et la Dialectique*, Villanova.
- *Dictionnaire de la théologie catholique*, Vol. I, Item : "Augustin", c. 2268- 2472 .



الفصل الثامن

المنطق الصوري في خدمة الفكر الديني:

نـمـوذج أريـوس

الأريوسية: لمسة عقلانية مغاربية للديانة المسيحية

الأريوسية (Arianisme) هي مقاربة عقلانية مغاربية للديانة المسيحية أسسها الكاهن الأمازيغي أريوس Arius (250 م _ 336 م) في بداية القرن 4 م. لا نعرف عن حياة أريوس الأولى شيئا باستثناء كونه مواطنا ليبيا درس بالإسكندرية وانطاكيا (Antioche) وتوفي باسطمبول.

كان أريوس رجل دين مسيحيا، مارس الكهانة بإحدى كنائس الإسكندرية. ولكنه انشق عن الكنيسة الكاثوليكية لكونه تبنّى موقفا مخالفا للتوجه العام للكنيسة الكاثوليكية في ما يخص مسألة الثالوث المقدس. يتمثل هذا التوجه العام في القول بأن الله موجود على شكل ثلاثة تجليات: الله الأب، والله الإبن، وروح القدس. لكن، من المسيحيين من أنكر ألوهية الإبن (أي المسيح) وأثبت إنسانيته. ومنهم من فعل العكس. أما أريوس فقد أنكرهما معا وتبنّى مبدأ التوحيد المطلق القائل بأن الله واحد لا شريك له ولم يلد ولم يولد. ويتميز هذا الموقف الأريوسي بكونه لم يخرج عن النصوص المقدسة المعروفة شريطة أن نتناولها بشكل عقلاني. وهكذا يمكن القول بأن الأريوسية هي في الواقع نموذج آخر لمظاهر الفكر العقلاني عند المفكرين الأمازيغيين القدامى.

أحدث هذا الموقف ضجة في الأوساط المسيحية الكاثوليكية لشذوذه عن التوجه العام المعروف. لهذا تم إعلان الأريوسية هرطقة أو بدعة (hérésie). لكن أريوس، مع ذلك، اكتسب أنصارا كثيرين، ونشر كتابا تحت عنوان "المأدبة" (Thaleia) عام 323 م. غير أن أعمال أريوس،

مع الأسف، لم تصلنا كاملة. لهذا سوف نعتمد في هذا العرض على نصوص من الدرجة الثانية.

وفي سنة 325 م، تم عقد مؤتمر نايكيا Nicaea، وهي مدينة إيزنيك (Iznik) بتركيا الحالية، قصد تدارس المشاكل التي تترتب عن الأفكار الجديدة التي قدمها أريوس. وانتهى المؤتمر بإعلان أريوس منشقا والأريوسية بدعة، بعد أن رفض أريوس توقيع وثيقة الإيمان التي تنص على أن المسيح له طبيعة إلهية تشبه طبيعة الله الأب. وبعد ذلك تم نفي صاحبنا إلى آسيا الصغرى حيث قضى نحبه عام 336 م. لكن أفكاره انتشرت بجميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية بما في ذلك شمال إفريقيا. ومن المعتقد أنها مَهّدت الطريق إلى ظهور الديانة الإسلامية باعتبارهما معا يرتكزان على مبدأ وحدانية الله.

الأريوسية كمذهب:

الأريوسية كما قلنا ليست دينا جديدا وإنما هي تأويل جديد لدين قديم. فهي إذن "مذهب"، أو لسة، من مجموع المذاهب التي نشأت عن التأويلات المختلفة للديانة المسيحية في صيغتها الكاثوليكية الرسمية. لكن الأريوسية تميزت عن غيرها من المذاهب في كونها مست في العمق الديانة المسيحية. وسوف نرى أنها كانت الانطلاقة التاريخية للاصلاحات العقلانية التي شهدتها الكنيسة ابتداء من القرن السادس عشر، خاصة البروتستانية، بجميع أشكالها، ونزعة شهود يهوه المعاصرة.

أول همّ كان يشغل أريوس هو الدفاع عن وحدانية الله وتنزيهه عن كل شريك أو مولود أو والد. فالله واحد وذاتي الوجود ومنزه عن كل

فساد. أما المسيح فهو كائن مخلوق، وبالتالي لا يمكن أن يكون إلاها ولا مشتركا مع الإلاه في ألوهيته، لأن الألوهية لا يمكن أن تتعدد ولا يمكن تقاسمها مع أي كان، كما لا يمكن تمريرها من كائن إلى آخر (من أب إلى ابن مثلا). ولو كان الأمر كذلك، لكانت الألوهية قابلة للفساد. والله منزه عن ذلك.

من كل هذا يستنتج أريوس أن عيسى عليه السلام مخلوق، له بداية ويحتل رتبة من رتب الوجود تختلف عن الرتبة التي يحتلها الله عز وجل. وبهذا الاعتبار لا يمكن لله والمسيح تقاسم نفس الجوهر كما يعتقد المؤمنون بالثالوث المقدس.

لِنُذَكِّر هنا أن النصوص المسيحية المقدسة المتضمَّنة في العهد الجديد تُقدم عيسى المسيح باعتباره "ابن الله"[1] ، بينما يقدمه الإنجيل الرابع باعتباره "كلمة" الله (Logos). ولما جاءت الأريوسية، وهي محاولة مغاربية لعقلنة المسيحية كما قلنا، تم تجريد النصوص الدينية من الغموض الذي يشوبها وذلك بفضل استعمال المنطق الأرسطي، خاصة من طرف مدرسة أنطاكيا التي ينتمي إليها أريوس. وبهذا العمل أعْطَى أريوس دفعة جديدة إلى الثقافة بالمراكز العلمية القديمة، خاصة بالإسكندرية (مصر) وبانطاكيا (سوريا). وكانت لغة المثقفين آنئذ هي اليونانية. لهذا نجد ما كتبه أريوس كله باليونانية.

---

(1) Cf . Mathew 11 :27 ; John 10 :36.

الأسس المنهجية للاطروحة الأريوسية:

نلاحظ أن أطروحة أريوس تأسست على ثلاثة أنواع من الدلائل، وهي:

1. دلائل نصية تعتمد على الرجوع إلى النصوص المقدسة،
2. دلائل مَشْيَخية (Patristiques) وتعتمد على الاستشهاد بكبار شيوخ اللاهوت المسيحي،
3. دلائل عقلانية وتعتمد على المنطق الأرسطي.

وبما أن الذي يهمنا هنا هو الجانب العقلي فقط من منهجية أريوس، فسوف نحصرحديثنا في النوع الثالث من الدلائل.

في ما يخص الدلائل العقلية، ينطلق أريوس من مقابلة الحدّيْن "مولود". و "غير مولود". ومن الواضح أن دلالتي هذين الحدين ليستا من نفس الطبيعة. فالمولود، باعتباره لا يمكن أن يكون في ذاته سبب وجوده، لا يمكن أن يكون هو الله، أي الكائن الأول أو الكائن الضروري. بعد ذلك يعرض أريوس لكل الصعوبات التي تترتب عن مفاهيم الإنتاج والتناسل. كيف يمكن للإبن المولود أن يشترك مثلا في صفة الأزَل مع الأب غير المولود ؟ فمن المنطقي أن يسبق الوالد المولود بناء على مبدأ أسبقية السبب على النتيجة.

ولا يمكن للأب أن يكون له ولد قبل أن يكون له ولد ! يقول أريوس: الولد موجود إما بإرادة الوالد أو بدون إرادته. في الحالة الأولى، كان بالإمكان أن لا يوجد الإبن. وفي الحالة الثانية، يكون الأب موضوع إكراه، وبالتالي موضوع حرمان من الحرية. والله منزه عن ذلك.

ويعتقد أريوس أنه، لقبول تشارك الكلمة(Logos) في الجوهر مع الله، من الضروري التضحية بأحد أمرين: إما بثالوث الأشخاص والسقوط في المذهب السابلياني (Sabellianisme) أو بوحدة وبساطة الله.

من الخصائص التي تميز الأريوسية في التدليل كونها تبنت عناصر برهانية مشائية. ويظهر هذا خاصة عند رائدين من روادها وهما: أيتيوس (Aetius) (ت: 366 م). وأونوميوس Eunomius (394-335م). لقد قدم الأول مذهبه في التوحيد في ثلاثمائة قياس أرسطي، حسب ما ذكر عنه معاصره إبفانيوس (Epiphanius) ولقد بلغ بالرجلين اهتمامهما بالجدل والمنطق درجة جعلتهما موضع اتهام بالسفسطة. وكثير من الكُتّاب المحدثين يربط الأريوسية بمدرسة أنطاكيا[2] التي تميزت بكونها مدرسة عقلانية حيث نشط فيها المنطق والجدل على الخصوص. وفي هذه المدرسة تلقّى أريوس تكوينه الأكاديمي على يد القديس الريطوريقي السوري لوكيانوس (Lucianus) (ت: 312 م)[3] .

ومن المفترض أيضا أن يكون الأريوسيون قد تأثروا ببعض الأفكار الأفلوطينية التي تسربت إلى مذهبهم عن طريق اليهودي فيلون الإسكندراني، وخاصة في ما يتعلق بطبيعة اللوغوس الخالق (أو الفاطر)[4] .

---

(2) Cf. Newman J.H. (1876), *The Arians of the Fourth Century*, C.1, section I et II, 4th ed., London.

(3) نشطت مدرسة أنطاكيا خلال القرن 4 م، ووصلت أوج نشاطها خلال القرن 5 م. وكانت أنطاكيا مركزا ثقافيا يتنافس مع الإسكندرية كما كانت مركزا تجاريا هاما. تأسست المدينة حوالي 300 ق.م. وأصبحت عاصمة سوريا الرومانية عام 64 ق.م. وعندها كانت في الرتبة الثالثة بعد روما والإسكندرية. دخلها العرب عام 637 م، ثم بدأت في الإنحطاط إلى أن سيطر عليها الصليبيون عام 1098 م. وأخيرا سقطت تحت يد الأتراك منذ عام 1517 م. وبقيت المدينة تركية منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

(4) Cf. Harnack Adolf (1901), *Outlines of the History of Dogma*, engl. Translation, 4th ed. L'original allemand, en 3 vols a été publié en 1886.

أثر الأريوسية في ما بعد أريوس:

رغم معارضة الكنيسة الرسمية للمذهب الأريوسي، فقد انتشر هذا الأخير انتشارا واسعا، خاصة عند الشعوب الجرمانية. وكان الوندال من بين تلك الشعوب التي تبنت ودافعت عن الأريوسية. وكذلك فعل الاستروگوتيون. وفي بداية القرن 16 م، تم إعادة إحياء الأريوسية مع الإصلاحات الدينية الحديثة، خاصة مع التوجه البروتستانتي الليبرالي. ولقد أخذ هذا الأخير عن الأريوسية، بالإضافة إلى المبادئ، توجهها المنهجي المتمثل في تناول النصوص الدينية بالتحليل العقلاني. وهذا هو الموقف الذي تبناه أيضا شهود يهوه المعاصرون. أما في ما يخص علاقة الأريوسية بالإسلام فمن المحتمل أن تكون الأريوسية قد ساعدت في انتشار الديانة الإسلامية لقيامهما معا على مبدأ التوحيد المطلق. ولكن هذه العلاقة في حاجة إلى المزيد من البحث.

■ المراجع:

- *The Catholic Encyclopedia*, www edition.
- Le Bachelet X. (1904), " Arianisme ", in : *Dict. de la Théologie Catholique*, c. 1779-1863.
- *Encyclopedia Britannica*, " Arianism ".
- Harnack Adolf (1909), *Outlines of The History of Dogma*, engl. Transl., 4 Th ed.
- Newman J. H. (1876), *The Arians of The Fourth Century*, c.1, sect. I and II, 4 Th ed., London.



الفصل التاسع

الرياضيات في الفكر المغاربي القديم :
نموذجا إيراطوستنس وتيودورس



الغرض من هذه الفقرات هو التنبيه إلى أن تاريخ الرياضيات بشمال إفريقيا، تماما كتاريخ باقي العلوم، في حاجة إلى إعادة نظر، لأن مؤرخي الرياضيات بهذه الجهة لا يترددون في القول بأن الرياضيات كنشاط عقلاني بشمال إفريقيا، لم يبدأ إلا مع نهاية القرن الثامن الميلادي. وهم في هذا ينطلقون من مبدأ لا مبرر له بموجبه يحصرون الفكر العلمي بشمال إفريقيا في الفترة العربية الإسلامية. ويقيسون شمال إفريقيا على الجزيرة العربية في كونها لم تعرف أي شكل من أشكال العلوم قبل مجيئ الإسلام. وهذا خطأ لا بد من تصحيحه. وسوف نقدم في ما يلي نموذجين هامين لكبار الرياضيين المغاربيين قبل مجيئ العرب إلى بلاد الأمازيغ. ونقصد بالنموذجيين هنا: نموذج إراطوسطنس ونموذج ثيودورس، وهما معا قورينيان.

أولا : إراطوسطنس القوريني وأعماله في الرياضيات :

إراطوستنس القوريني (275 ق.م _ 194 ق.م.) هو مفكر مغاربي قديم ازداد بقورينا (ليبيا الحالية) ودرس بها قبل أن ينتقل إلى الإسكندرية ثم إلى أثينا. وبالإسكندرية كان محافظا لمكتبة الإسكندرية المشهورة. اشتهر إراطوستنس بالأعمال التي خلفها لنا خاصة في الرياضيات والجغرافيا وعلم الفلك. ويشهد له التاريخ على الخصوص بابتكاره لتقنية خاصة تسمح بتحديد الأعداد الأولية وأخرى تسمح بتضعيف المكعب، كما تمكن إراطوستنس من حساب محيط الكرة الأرضية بدقة وحساب المسافة بين الأرض والشمس ووضع خريطة للعالم القديم.

سوف نتناول أثناء حديثنا عن هذا الرياضي الشمال إفريقي أربعة موضوعات: تضعيف المكعب وغربال إراطوستنس وقياس محيط الأرض وخريطة العالم.

1 . تضعيف المكعب

في الرياضيات القديمة، كانت هناك ثلاثة مشاكل أساسية عَسُر تدبيرها على الرياضيين القدامى. لكن، كان لها دور هام في تطوير الهندسة والرياضيات. وهذه المشاكل هي:

- تربيع الدائرة،
- تضعيف المكعب (أو نسخه، أو إنتاج مكعب يماثله)،
- تثليث الزاوية (أو تقسيمها إلى ثلاثة أقسام متساوية).

وسوف نحصر اهتمامنا هنا في العمل الذي قام به فيلسوفنا إراطوستنس والمتعلق بمشكلة تضعيف المكعب، أو ما يُسَمَّى بالمشكل

الديلي نسبة إلى الجـزيرة اليونانية ديلوس (Delos). صـحيح أن مشكلة تربيع الدائرة أكثر أهمية في الأوساط الرياضـية الحديثة، ولكن صـحيح أيضـا أن مشكلة تضـعيف المكـعب كانت أهم من غـيرها في الأوسـاط الرياضية القديمة.

من الناحيـة التاريخية، يقدم لنا إراطوسنطس أصل هذا المشكل في الاستشهاد التالي:

في كتابه المُسَمَّى Platonicus، كتب إراطوستنس قائلا:

" لَمَا أخبـر الإله سكان ديلوس عن طريق المَوْحَى أنه، للتـخلص من الطاعـون الذي حل بهم، عليـهم أن يبنوا مـعـبدا يكـون نسخـة مطابقـة للمعـبد الموجود عندئذ. وجـد الحِرَفِيـون أنفسهم في حيـرة كبيـرة في ما يخص كيـفية جعل جـسم صـلب نسخة لجسم صـلب آخـر. ولهذا ذهب هؤلاء الصناع عند أفـلاطون طلبا للنصـيحـة. وأجابهم هذا الفيلسوف بأن المقصود من كلام المَوْحَى ليس هو كون الله أراد مـعبدا يكون نسخة للمعبد الموجود، بل أراد خزي اليونان على إهمالهم للهندسة " [1].

ظهـر هذا المشكل عـام 430 ق.م. وهو عـام حل فـيـه الطاعـون باليونان. ويمكن تلخيصه كما يلي:

المشكل المطروح في الاستشهـاد الذي أورده إراطوستنس يتمثل في بناء حـجم مكعب(V2) يماثل حـجم مكعب آخـر مـعطى (V1). ويمكن إرجاع هذا المشكـل، من الناحية الرياضـية، إلى إيجـاد الجذر التـربيعي للعدد 2 .

(1) Cf. Heath T.L. (1931), A History of Greek Mathematics, vol. I, Oxford.

المعطيات الأولية التي نملكها هي كما يلي:

حول المكعب الموجود:

نعتبر أن (a) أحد أضلاعه، وأن $a = 1$

وبالتالي فإن حجمه (V1) سوف يكون: $V1 = a^3 = 1$

حول المكعب المراد بناؤه:

نعتبر أن ضلعه (x) غير معروف: $x = ?$

وبالتالي فإن حجمه (V2) وهو مماثل للحجم (V1) سوف يكون:

$$V2 = x^3 = 2V1 = 2$$

ومنها: $x^3 = 2$

$$x = \sqrt[3]{2}$$

السؤال المطروح الآن هو: هل هناك حلول عقلانية لهذا المشكل؟

لنفرض أن الجواب بالإيجاب. أي أن حلولا عقلانية لهذا المشكل ممكنة.

في هذه الحالة، $x = p / q$

وبالإبدال نحصل على: $(p/q)^3 = 2$

أي أن: $p^3 = 2q^3$

نحن نعرف أن المكعب هو عدد مضروب في نفسه ثلاث مرات. وبالتالي فإن عدد العوامل الأولية (Nfp) لمكعب يقبل القسمة على 3. وإذا رجعنا إلى المعادلة أعلاه سوف نجد أن طرفها الأول، (أي p^3) قابل للقسمة على 3. أما الطرف الثاني (أي $2q^3$) الذي هو نفسه المكعب مضروبا في 2، فلا يقبل القسمة على ثلاثة. وبالتالي لا يمكن

إرضاء التساوي بين الطرفين المشكّلين للمعادلة. أي أن (x) عدد غير جذري.

نستنتج من كل هذا أن افتراضنا المتمثل في القول بوجود حلول عقلانية للمشكل المطروح غير صائب.

مساهمة إراطوستنس في حل هذا المشكل:

نعرف منذ البداية أن لدينا خطّا (أو ضلعا) معينا طوله هو (a) وهو يمثل ضلع المكعب المرغوب في تضعيفه. والمطلوب هو إدراج متوسطين متناسبين (x) و(y) بحيث:

$$a/x = x / y = y / 2a$$

لحل هذا المشكل وضع إراطوستنس آلة ورد وصفها في إحدى رسائله إلى الملك بطليموس الثالث[2] .

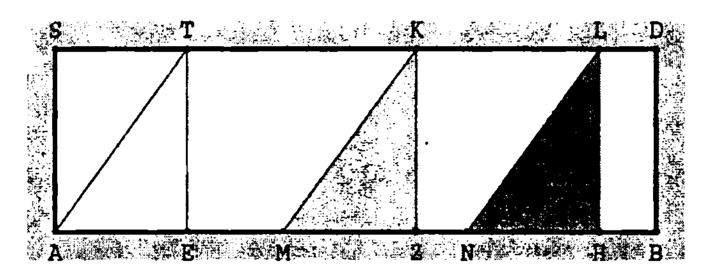
تُسَمّى هذه الآلة ب: "ميزولاب إراطوستنس". ويعتمد عملها أساسا على مبرهنة طاليس المعروفة.

مبرهنة طاليس هي مبرهنة في الهندسة موضوعها العلاقات بين المثلثات. برهن عليها لأول مرة أوقليدس في كتابه العناصر (الكتاب السادس، القضية الثانية). ويمكن استعمالها لأغراض كثيرة أهمها حساب الأطوال في مثلث، شريطة أن يكون لدينا مستقيمان متوازيان. ولقد استعملها إراطوستنس لحل مشكلة تضعيف المكعب كما سنرى.

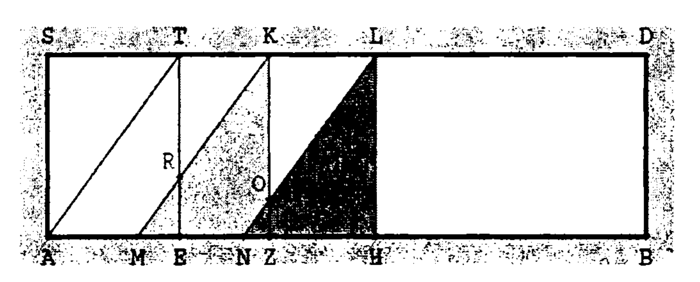
---

(2) Cf. Heath T.L. (1931), *A History of Greek Mathematics*, vol. I, Oxford.

تتكون آلة إراطوستنس من قاعدة صلبة مستطيلة الشكلABDS ومن ثلاثة مثلثات: AET و MZK و NHL، كما هو مبين في الشكل التالي:



المثلث الأول بدءا من اليسار ثابت، بينما المثلث MZK متحرك بحيث يمكن للضلع MZ التحرك على السكة AB كما تتحرك النقطة (K) على السكة TD. ويبقى المستقيمان ZK وAB متعامدين. نفس الشيء يقال على المثلث NHL، فهو أيضا يتحرك بنفس الطريقة. وهكذا، بتحريك المثلثات يمكن أن نحصل على الشكل التالي:



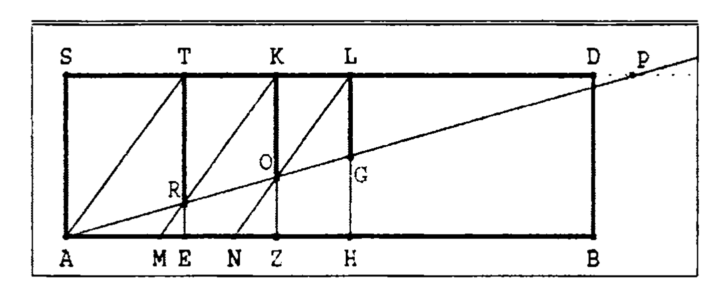
في هذا الشكل الثاني يتقاطع TE مع MK في R ويتقاطع KZ مع LN في O.

لنعلم أن آلة إراطوستنس وُضعت بحيث تسمح بتضعيف مكعب طول ضلعه هو: a = 1/ k SA، مع k = 2. وبالتالي فإن طول ضلع المثلث المرغوب في تضعيفه هو: a = 1/2SA.

لتكن الآن (G) نقطة على LH بحيث:

LG = a = 1/ 2SA

أي طول ضلع المكعب المرغوب فيه. المطلوب إذن هو تحريك المثلثين حتى تقع النقاط R وO و G على خط مستقيم، كما هو مبين في الشكل التالي:



وبناء على مبرهنة طاليس، نستنتج في النهاية أن:

LG/KO = LP/KP = OP/RP = KO/TR = KP/TP = RP/AP = TR/SA

ومن هنا نحصل على:

LG/KO = KO/TR = TR/SA

معنى هذا أنه، باعطاء المعادلات التالية:

LG = a, KO = x, TR=y, SA = 2a

يكون: a/x = x/y = y/2a

وهكذا يمكن القول بأن حجم مكعب ضلعه KO سوف يكون ضعف مكعب ضلعه LG. ويمكن التعبير عن هذا بلغة الرياضيات المعاصرة كما يلي:

$$x^3 = 2a^3$$

أو، بتعبير آخر :

$$x/a = \sqrt[3]{2}$$

ويمكن تعميم هذه الطريقة بالنسبة لكل (K)، بحيث K>0، ويكون ممكنا، ابتداء من الضلع (a) لمكعب حجمه V، الحصول على الضلع (x) لمكعب حجمه يعادل kv . أي أن:

$$X^3 = ka^3$$

أو : $x/a = \sqrt[3]{k}$

وهكذا حل إراطوستنس مُشكلا من بين المشاكل الأساسية التي اعترضت الرياضيين القدامى.

2 . غربال إراطوستنس:

من بين الأعمال التي خلّفها لنا هذا العالم في الرياضيات الغربال الذي يُعرف باسمه Sieve of Eratosthenes. وهو منهج بواسطته يمكن التعرف على الأعداد الأولية (الصماء). ويدخل هذا العمل في إطار نظرية الأعداد التي تدرس خصائص الأعداد الطبيعية المعروفة اليوم تحت رمز(N). العدد الأولي (الأصم) هو عدد طبيعي أكبر من 1 ويكون قابلا للقسمة بدون باقي على 1 أو على نفسه فقط.

وبفضل غربال إراطوستنس يمكن التعرُّف على كل الأعداد الأولية إلى حدود عدد معطى (n) كالآتي:

1 . نعدد الأعداد الصحيحة ابتداء من العدد 2 هكذا:

2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20.

2 . نضع علامة على العدد الأول في اللائحة باعتباره أوليا.

وهكذا نحصل على لائحة للأعداد الأولية تحتوي فقط على عدد واحد وهو 2. ويبقى في لائحتنا الأصلية:

3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20.

3 . نحذف من اللائحة مضاعفات العدد الأولي المعروف، أي مضاعفات العدد 2. وهكذا يبقى من اللائحة الأصلية ما يلي:

3،5،7،9،11، 13، 15، 17، 19.

4 . إذا كان أكبر عدد في اللائحة الباقية أصغر من مربع أكبر عدد في لائحة الأعداد الأولية الموضوعة، فلنضع إشارة على كل الأعداد في اللائحة الأصلية الباقية باعتبارها أعدادا أولية. بمعنى آخر، نرجع إلى الخطوة رقم (2). وبما أن 19 أكبر من مربع 2، فسوف نرجع إلى الخطوة رقم 2:

الأعداد الأولية المعروفة حتى الآن هي: 2، 3 .

اللائحة الباقية هي:

3، 7، 9، 11، 13، 17، 19.

ثم الخطوة 3:

الأولية المعروفة هي 2، 3 .

الباقية هي:

5، 7، 11، 13، 17، 19.

وبما أن 19 أكبر من مربع 3 (= 9) فنرجع إلى الخطوة رقم (2). فتكون الأعداد الأولية المعروفة هي: 2، 3، 5.

والباقية هي: 7، 11، 13، 17، 19.

ثم الخطوة رقم (3).

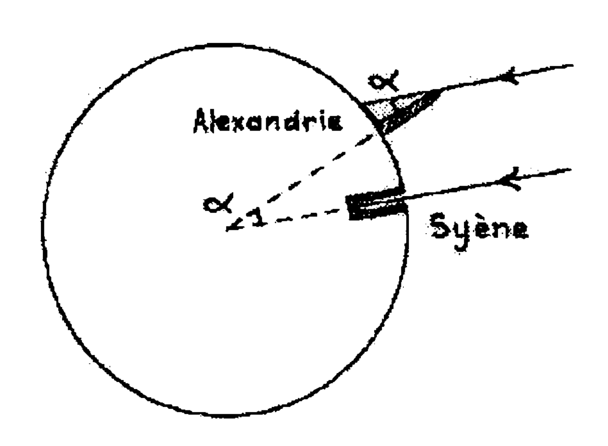
وسوف تكون النتيجة كما يلي:

الأعداد الأولية في مجموعة الأعداد من 2 إلى 20 هي:

2، 3، 5، 7، 11، 13، 17، 19.

3 . قياس محيط الكرة الأرضية:

ابتكر إراطوستنس تقنية خاصة تسمح له بقياس محيط الأرض لأول مرة في تاريخ الإنسانية. وترتكز هذه التقنية على تجربة تنطلق من ظاهرة أمبريقية أساسية لاحظها إراطوستنس تتمثل في كون أشعة الشمس في مدينة أسوان (Syene القديمة)، الواقعة جنوب شرق الإسكندرية بحوالي 800 كلم، تكون عمودية وقت الظهر في اليوم الأول من فصل الصيف. ويمكن التأكد من هذا من ملاحظة أشعة الشمس تضيئ قعر بئر عميق. أما في الإسكندرية، في نفس الوقت، فإن أشعة الشمس تسقط مائلة بزاوية قدرها 7 درجات.(انظر الشكل أسفله)



انطلق إراسطوستنس في عمله هذا من مجموعة من الافتراضات، أهمها ما يلي:

1 . مرة واحدة في السنة تكون أشعة الشمس عمودية تماما على سطح الأرض في مدينة أسوان.

2 . افترض أيضا إراسطوستنس أن الأرض كروية الشكل. وهذا اعتقاد ظهرت بوادره الأولى مع أرسطو وعرفه كذلك أرشميدس.

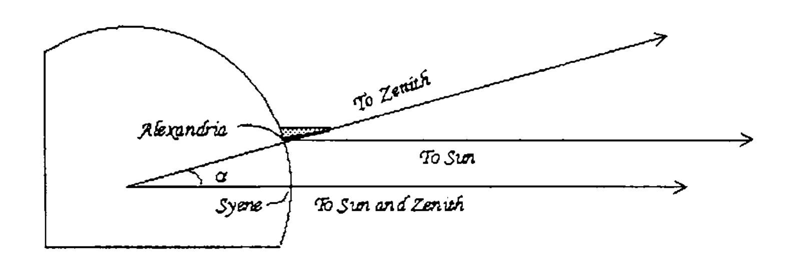
3 . افترض إراسطوستنس أن المسافة بين الإسكندرية وأسوان تعادل 5000 سطاد.

4 . كان يفترض أيضا أن الإسكندرية وأسوان تقعان معا على نفس خط الطول.

5 . كان يفترض كذلك أن أشعة الشمس تصل إلى الأرض على شكل خطوط متوازية. وهذا اعتقاد كان شائعا في أوساط العلماء القدامى.

وهكذا، ففي يوم انقلاب الشمس الصيفي، قرر إراطوستنس قياس ظل منتصف النهار الذي يُسقطه عقرب الساعة الشمسية في مدينة الإسكندرية. فوجد ما قدره 1/50 من محيط الدائرة، أي ما يعادل (″12 °7). واستنتج من ذلك أن محيط الكرة الأرضية سوف يعادل:

50 x 5000 = 250.000 سطاد. أو ما يماثل 46.250 كلم.



α/360° = D/Circonf. of the earth

لكن، رغم كون هذه النتيجة جيدة، فإن بعض الأخطاء قد تسربت إلى المعطيات التي اعتمد عليها إراسطوستنس، ومنها:

أ- المسافة بين الإسكندرية وأسوان هي 800 كلم وليس 729 كلم كما افترض إراسطوستنس،

ب- لا تقع المدينتان على نفس خط الطول، بل بينهما فرق يعادل °3 عرضية.

ج _ الفرق الزاوي ليس هو °12 °7 بل ´5 °7.

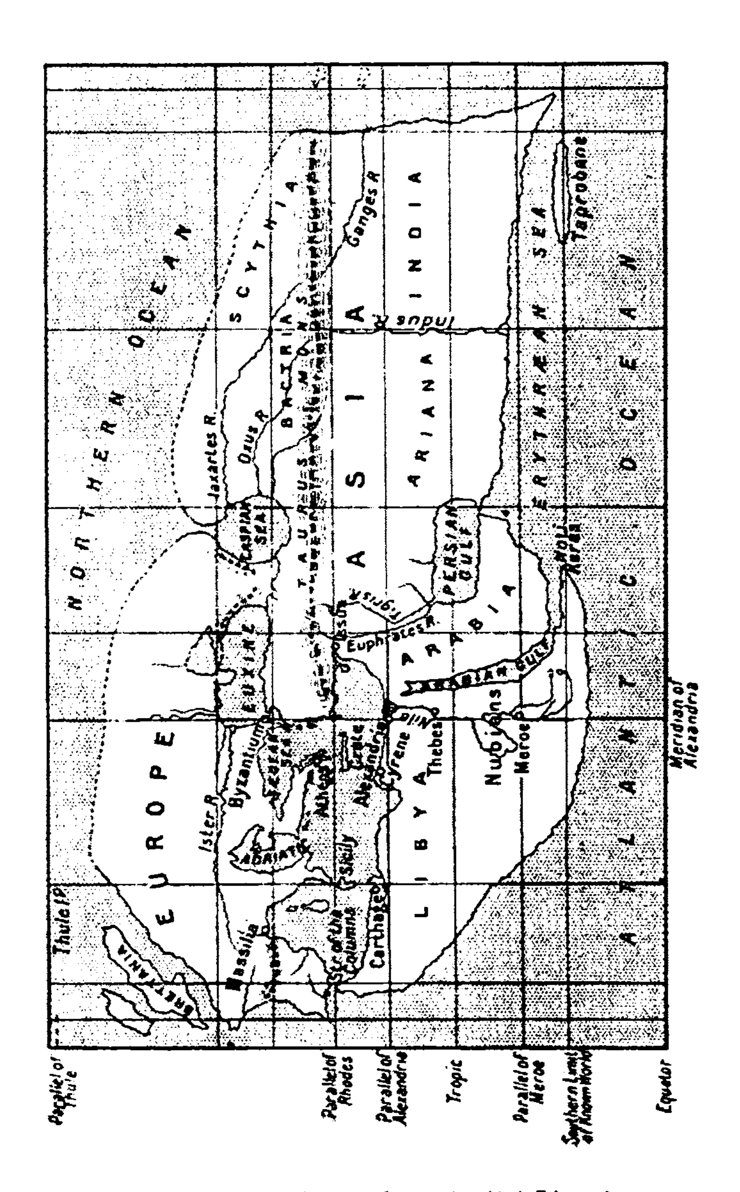
لكن، رغم هذه الأخطاء، فإن الجديد عند إراسطوستنس هو كونه فكَّر في قياس محيط الأرض في القرن الثالث قبل الميلاد. وتوصل إلى نتائج تقريبية في الوقت الذي كانت فيه وسائل القياس شبه منعدمة.

من الواضح أن إراطوستنس لجأ إلى استعمال الهندسة لتحقيق مشروعه المتمثل في قياس محيط الكرة الأرضية. وبواسطة الهندسة أيضا تمكن هذا العالم المغاربي من تحديد مقدار ميل محور الأرض بدقة كبيرة حيث حصل على ˝15 ´51 °23. وقام أيضا بتحضير خريطة للنجوم تحتوي على 675 نجما. واقترح كذلك إضافة اليوم الكبيسي كل أربع سنوات.

4 . خريطة العالم القديم كما صاغها إراطوستنس

يُعتبر إراطوستنس من كبار الجغرافيين القدامَى إلى جانب سترابون (Strabo) وهيباركوس (Hipparchus) وبطليموس (Ptolemy) . ومن الباحثين من يعتبره أب الجغرافيا على الإطلاق. ومن المعتقد أنه هو أول من استعمل كلمة "جغرافيا".

برع إراطوستنس على الخصوص في ما سُمي اليوم بالجغرافيا الرياضية. لهذا نجده يهتم بقياس محيط الأرض وقياس المسافة بين الأرض والقمر وتقسم العالم القديم إلى مناطق جغرافية. ومن اهتمامه بهذه الموضوعات جاءت الخريطة التي خلفها لنا هذا العالم الشمال إفريقي القديم. وهي كما يلي:



خريطة العالم القديم كما صاغها اراسطوستنس

إلى جانب هذه الخريطة، ألف إراطوستنس في الجغرافيا كتابا في ثلاثة أجزاء، اقتبس عنه سترابون الكثير.

■ المراجع :

من أهم مؤلفات إراطوستنس كتاب Platonicus الذي درس فيه المؤلف مبادئ الهندسة والحساب والموسيقى. لكن الكتاب ضاع. ولا نعرف عن محتوياته إلا ما نقله لنا بعض المؤلفين القدامى من أمثال:

Theon of Smyrna (70 - 135), *Expositio rerum Mathewaticarum ad legendum Platonem Utilius*.

Pappus of Alexandria (290 - 350), *Synagoge* ? VIII.

ترك لنا أيضا إراسطوستنس كتابات في الشعر الفلكي والمسرح والأخلاق.

ولمعرفة تفاصيل أعمال إراسطوستنس في الرياضيات على الخصوص، يمكن الرجوع إلى:

Heath T.L. (1921), *A History of Greek Mathematics*, 2vols, rep. in 1981, Oxford, Clarendon Press; Heath T.L. (1932), *Greek Astronomy*, London, rep. in 1963 and 1969.

ثانيا : ثيودورس القوريني وأعماله في الرياضيات :

هو فيلسوف شمال إفريقي قديم، ازداد بقورينا (ليبيا الحالية) في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. تتلمذ عن الفيلسوف اليوناني المعروف بروتاغوراس (Protagoras) وكان صديقا لسقراط وأستاذا في الرياضيات لمجموعة من الفلاسفة اليونان من بينهم أفلاطون وتيا ثيتوس[3] .

لينتَبه القارئ الكريم إلى عدم الخلط بين تيودورس الرياضي المغاربي هذا وشخص آخر يُسَمَّى بتيودورس الأثيني (417 ق.م - 369 ق.م) المعروف بالمُلحد، والذي هو أيضا قوريني رغم نسبته إلى أثينا، وينتمي إلى المدرسة الفلسفية القورينية التي أسسها أريستبوس (435 ق.م - 366 ق.م).

لا نعرف عن ثيودورس الرياضي الذي هو موضوع حديثنا الآن أكثر مما قدمه لنا تلميذه أفلاطون في بعض محاوراته. من المؤكد أن أفلاطون يقدره كثيرا. فلقد كان يزوره من حين لآخر بقورينا لحل المشاكل الرياضية التي استعصت عليه. ولقد استعمله كشخصية أساسية، إلى جان تلميذه تياتيتوس (Theaetetus: 417 ق.م - 369ق.م)، في محاورتين هامتين هما: تياتيتوس والسفسطائي. في المحاورة الأولى يدور الحوار بين تيودورس وتلميذه تياتيتوس الذي كان آنئذ يافع الشباب، وذلك خلال سنة 399 ق.م. ومن المفيد أن ننبه هنا إلى أن تياتيتوس هذا كان واحدا من أُنجب تلامذة تيودورس القوريني في الرياضيات. ولقد نقل عنه أوقليدس الكثير، كما نقل هو نفسه عن أستاذه تيودورس.

---

(3) Cf. Diogène, *Vies*, III, VI.

عبّر تيودورس عن نجابته ليس فقط في الرياضيات، بل أيضا في علوم أخرى، خاصة علمي الفلك والموسيقى[4]. كما مارس أيضا الفلسفة على الطريقة القورينية، خاصة في ما يتعلق بميدان الأخلاق. أما في ميدان الرياضيات فكل ما نعرفه عن تيودورس هو ما أورده أفلاطون في محاورة تيا تيتوس. لكن، بإمكاننا أن نكتشف بعضا من الإرث العلمي الذي تركه لنا تيودورس من خلال الأعمال المنسوبة لتيا تيتوس والمعروضة في الكتابين العاشر والثالث عشر من عناصر أوقليدس[5]. وهذا ما تأكد لكثير من المؤرخين القدامى مثل بابوس (Pappus) والمحدثين مثل هيث (Th.L.Heath) [6].

تتلخص أعمال تيودورس في الرياضيات في كونه برهن على عدم قياسية الأعداد المثلة للجذور التربيعية من $\sqrt{3}$ إلى $\sqrt{17}$. وهذا بالضبط هو ما يقوله تيا تيتوس في محاورة أفلاطون التي تحمل نفس الإسم. لكن، مع الأسف الشديد ضاع برهان تيودور حول هذه المسألة. غير أن المؤرخين المتخصصين حاولوا إعادة بنائه من خلال ما يذكره تيا تيتوس وما جاء في عناصر أوقليدس المذكور. من الناحية التاريخية، تم طرح مسألة الكميات غير القابلة للقياس (أو الصمّاء) عند اليونان القدامى على شكل لا قياسية كميات الأطوال. ولكن، لا نعرف بالضبط متى حصل هذا الطرح. كل ما نملكه عن هذه المسألة هو بعض الشواهد التي تركها لنا الرياضي الإسكندراني بابوس والتي تركها أيضا

(4) Heath T.L. (1921), *A History of Greek Mathematics*, vol. I, pp. 203-204 and 209-212.

(5) *Dictionary of Scientific Biography*, N. York, 1970-1990.

(6) Pappus of Alexandria (290-350), *Synagoge* (Mathematical Collection), written in around 340; Heath T.L. (1921), *A History of Greek Mathematics*, 2 vols, Oxford: Oxford university Press, Clarendon Press.

بروكلوس القسنطيني (410م - 485 م). هناك شواهد أُقدم ظهرت عند أفلاطون وأرسطو. ويتفق هؤلاء جميعا على نسبة اكتشاف الكميات غير القابلة للقياس إلى ما كان يُسَمَّى آنذاك ب: "جماعة الفيثاغوريين". وكانت المقاربة الفيثاغورية للكميات الصماء مقاربة هندسية خالصة باعتبارها اعتمدت على تناسب (أو عدم تناسب) الأطوال الهندسية كتناسب ضلع المربع مع قطره مثلا. ومن هنا يظهر أن عدم قياسية بعض الكميات ليست من اكتشاف تيودورس القوريني. لكن الجديد عنده يتمثل في كونه حوّل المقاربة الهندسية إلى مقاربة رقمية. وهذا بالضبط هو ما يذكره أفلاطون في محاورة تيا تيتوس حيث عرض المؤلف شخصية تيا تيتوس الشاب وأستاذه تيودورس كمساهمين في تطوير نظرية الأعداد القديمة. ثم تميَّز أيضا تيودورس في كونه نجح في البرهنة على عدم قياسية الكميات التي تمثلها الجذور التربيعية من $\sqrt{3}$ إلى $\sqrt{17}$.

لِنُنَبِّهَ هنا إلى أن عدم قياسية $\sqrt{2}$ كانت معروفة قبل تيودورس، اكتشفها اليوناني هيبياس (ق 5 ق. م.). ونال على اكتشافه هذا عقابا شديدا من طرف الفيثاغوريين لكونه يخالف مبادئ مذهبهم وخاصة المبدأ القائل بأن كل الظواهر الطبيعية قابلة للقياس باستعمال أعداد طبيعية(7) .

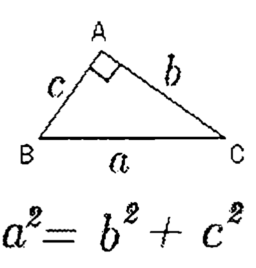
ينطلق تيودورس في تناوله للكميات الجذرية من المشكل الرياضي الذي طرحته المدرسة الفيثاغورية والمتعلق بالجذر التربيعي للعدد 2. لا نعرف تفاصيل منهجية تيودورس في البرهنة على عدم قياسية الأعداد

---

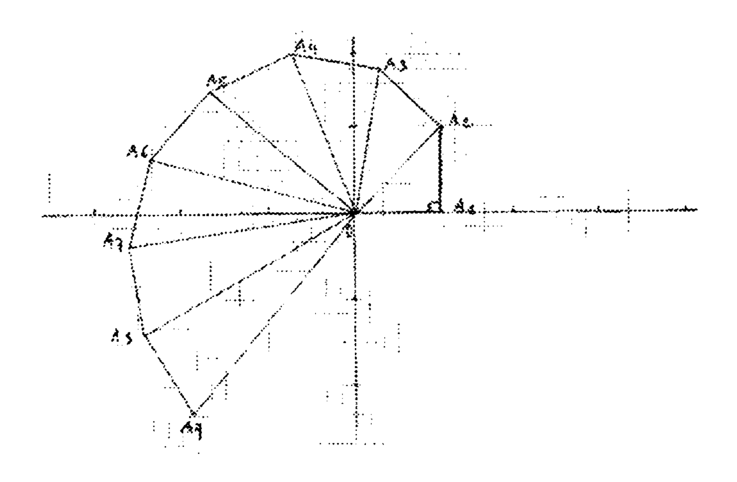
(7) Cf. Heath T.L. (1921), *A History of Greek Mathematics*, vol. I.

الصماء بشكل عام، ولكن من المحتمل جدا أن يكون قد عرف البرهان على لا قياسية الجذر التربيعي للعدد 2 المعتمدة على طريقة البرهان بالخلف. في هذا الصدد يتساءل أفلاطون: لماذا وقف تيودورس عند17 √ ؟ لقد بين تيا تيتوس، على لسان أفلاطون، أن الكميات الصماء غير متناهية وبالتالي لا مبرر للوقوف عند العدد 17.

الإجابة عن سؤال أفلاطون السابق متضمنة في الفكرة التي تُنسب إلى تيودورس والمتعلقة ببناء حلزون (Spirale) يسمح بالحصول على الجذور التربيعية للأعداد الصحيحة. ويعتمد هذا الشكل الهندسي على مبرهنة معروفة تُنسب إلى فيتاغورس مفادها أن مربع الوتر في مثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربع الضلعين الباقيين، كما هو مبين في الشكل التالي.



ينطلق حلزون تيودرس من مثلث قائم الزاوية بحيث يكون واحد من الساقين معادلا لوحدة قياس باقي المثلثات المنتظر رسمها لاكتمال الحلزون. نضع هذا الساق الذي يعادل الواحد على الطرف الخارجي لوتر المثلث الأول على أساس أن يكونا متعامدين، كما هو مبين في الرسم أسفله.



للمزيد من التفاصيل حول أعمال تيودورس وسيرته الذاتية يمكن الرجوع إلى المؤلفات التالية:

Dictionary of Scientific Biography, N. York, 1970 - 1990.

The Encyclopedia Britannica.

Heath T. L. (1921), *A history of Greek Mathematics*, vol. II, Oxford.

Plato, *Theactetus*, translated by Robin H. A. Waterfield, London : Pinguin Books, 1987.

▫ خاتمة

يتضح مما تقدم أن هذا الكتاب جزء من مشروع حضاري يهدف إلى إعادة الاعتبار للمكونات الثقافية لشمال إفريقيا القديم. ويهدف على الخصوص إلى تصحيح بعض الأخطاء التاريخية التي أصبحت اليوم شائعة إلى درجة أكسبَتْهَا البداهة. ومن أهم هذه الأخطاء ما يلي:

1. نسبة أعمال علماء شمال إفريقيا إلى شعوب اللغات التي كتبوا بها. فالذين كتبوا باليونانية، كالرياضي المغاربي ثيودورس والجغرافي المغاربي إراطوستنس واللاهوتي المغاربي أريوس، نُسبوا إلى اليونان. والذين كتبوا باللاتينية منهم، كما هو حال القديس أوغسطينوس والفيلسوف أبوليوس والريطوريقي فرونطو، نُسبوا إلى الرومان. ويقال نفس الشيء على الذين كتبوا باللغة العربية اليوم. فابن رشد فيلسوف عربي، وابن خلدون مؤرخ عربي، والجابري مفكر عربي، وهكذا. نريد من هذا الكتاب المساهمة في تكوين وعي جماعي عند عامة سكان شمال إفريقيا اليوم بوجوب استرجاع ما ضاع منهم من حضارة وما اختلسه الآخرون من أفكار وألحقوه بحضارتهم.
2. من الأفكار الشائعة أيضا التنقيص من قيمة الإنتاج الثقافي المغاربي القديم واعتبار فترة ماقبل الغزو العربي لشمال إفريقيا شبيهه بفترة الجاهلية بالجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام. ولقد اتضح لنا من خلال هذا الكتاب أن المغاربة لم يكونوا يعبدون الأصنام قبل القرن 7 م. ولم يكونوا مجرد رعاة أو

رُحَّل. بل كـانوا يمارسـون ديانـات سـماوية، مـثل اليـهـودية والمسيحيـة، بل وبرعوا في تفسير هذه الديانات والتـعليق عليها. كمـا كانت لهم مراكـز ثقافية من مـدارس وجامعـات نافست في شـهـرتهـا مـراكز الإسكـندرية وروما وأثينا. ومن هذه المراكـز الثـقافيـة تخرَّج علمـاء أطبـقت شُهـرتهم الآفـاق، مثل القـديس أوغسطينوس الـذي مثّل الأب الروحي للثقـافة السكولائيـة حتى مـجيء الرشـديين اللاتين. ومـثل العـبقـري أبوليـوس المداوري الذي مارس جميع أصناف العلوم بالإضـافة إلى تدشينه للجنس الأدبي المعروف بالقـصة النثرية لأول مرة في تاريخ الإنسـانية. ومن هؤلاء العلمـاء أيضـا الرياضي الجـغـرافي إراطوسـتـينس الذي فـاجـأ الناس بدقـة قـيـاسـاته وبـأصـالة أفكاره في مـيـداني الرياضيـات والجغرافيـا. فهؤلاء جميـعا دلائل كافيـة على مدى انتشار ثقافة العالم القديم بشمـال إفريقيا ومدى مساهمة المغاربة القـدمـاء في تطوير تلك الثـقـافـة، في وقت كـانت فـيـه الجـزيرة العربية ترزحُ تحت نير الجاهلية وثقافة الصراعات القبلية.

3 ـ من الأخطاء الشائعة أيضـا حول الوضـع الثقافي بشمال إفـريقيا القديم القول بأن الـثقافة بهذه المنطقـة كانت ثقافة عـملية لا تعدو مـجرد أفكار بدائيـة حـول عمليـات اسـتغـلال الأرض والصيـد وتربيـة الماشيـة، وبالتالي فـإن هذه الثقـافة لم ترق إلـى مسـتوى التجريـد الذي تميزت به ثقافة الشـعوب القديمة المتحـضرة مثل اليـونان والرومـان. وهذا كـمـا رأينا جـهل مطبق بالحـقـائق التاريخيـة. ألم يكن من بين المغاربيين علماء في مسـتوى علماء اليـونان والرومـان؟ ألم يتناول علمـاء مغـاربيـون قدامـى قضـايا

غارقة في التجريد مثل القضايا المنطقية والرياضية؟ إن الذين ينكرون المجهودات التي بذلها المغاربة القدامى كمساهمة في تطوير الحضارة الإنسانية يخالفون الصواب، إما جهلا أو عمدا. والمرجَّح أنهم يفعلون ذلك عمدا لأغراض إيديولوجية قصد التنقيص من قيمة الشعوب المغاربية لإخضاعها لحضارات أخرى تدعي الأفضلية وتُقصي غيرها.

ولكن، مع الأسف الشديد، ضاع أغلب ما كتبه المغاربة القدامَى، إما بفعل الزمن أو بفعل أعمال التخريب التي صاحبت فترة الإضطرابات مع نهاية الفترة القديمة بشمال إفريقيا، خاصة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين. ولم يصلنا مما خلَّفه أسلافنا إلا ما احتوته كتب أعدائهم عنهم أو فضلات من كتبهم الأصل. ولكن، رغم ذلك، فإن حجم النصوص التي بين أيدينا اليوم كاف لإلقاء الضوء على بعض الحقائق التاريخية ومواصلة الرحلة الثقافية حيث تركها أسلافنا القدماء. لهذا نحن في حاجة إلى مجهودات إضافية لنفض الغبار على ماضينا واسترجاع ممتلكاتنا الثقافية وإعادة الاعتبار لأبرز ما ميزها. وليس هذا الكتاب إلا خطوة أولى في مشروع ضخم من المفترض أن يشمل تاريخ جميع أشكال العلوم والآداب والفنون.

وعلى الأجيال الحاضرة تمرير المشعل إلى الأجيال القادمة. وعلى المثقفين المغاربة أن يكفوا عن إهانة المنتوج الثقافي المحلي وعن الرفس على أرواح أجدادهم وعن ممارسة الإرهاب الثقافي بترويج أفكار مستوردة. لقد آن الأوان للمصالحة مع الذات وتكريمها والاعتزاز بها. وبهذا وحده يمكن للمغرب أن يحقق استقلاله الثقافي ويستعيد كل أبعاد حريته ومكانته في تاريخ الإنسانية.

فــهــرس

مقدمة عامة ---------------------------- 5

○ *الفصل الأول:* بعض معالم الفكر المغاربي القديم ----------- 11

○ *الفصل الثاني :* المنطق في الفكر المغاربي القديم ----------- 85

○ *الفصل الثالث :* المنطق الصوري : الدراسات النقدية

واللمسات الأخيرة (نموذج أبوليوس)--------105

○ *الفصل الرابع:* المنطق الصوري: ترجمة النصوص

ونحت المصطلحات (نموذج فيكتورينوس)-------151

○ *الفصل الخامس:* منطق الخطابة القضائية: نموذج فرونطو-----171

○ *الفصل السادس :* منطق التأويل والمناظرة: نموذج تيكونيوس----179

○ *الفصل السابع:* منطق التأويل والجدل: نموذج أوغسطينوس ----187

○ *الفصل الثامن :* المنطق الصوري في خدمة الفكر الديني:

نموذج أريوس-----------------213

○ *الفصل التاسع:* الرياضيات في الفكر المغاربي القديم:

نموذجا تيودورس وإراطوستنس ---------223

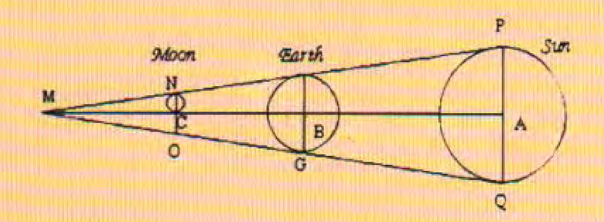
خاتمــة--------------------------244

هذا الكتاب

هذا الكتاب جزء من مشروع حضاري يهدف إلى إعادة الاعتبار للمكونات الثقافية القديمة لشمال إفريقيا. ويهدف على الخصوص إلى تصحيح بعض الأخطاء في التأريخ للفكر العلمي ببلادنا التي أصبحت اليوم شائعة إلى درجة أكسبتها البداهة. ومن هذه الأخطاء:

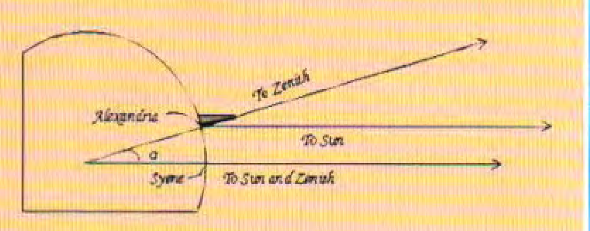
1 . نسبة أعمال علماء شمال إفريقيا إلى شعوب اللغات التي كتبوا بها؛
2 . التنقيص من قيمة الإنتاج الفكري المغاربي القديم بالمقارنة مع الإنتاج الفكري القروسطوي؛
3 . اعتبار الثقافة الأمازيغية ثقافة شفوية بدائية لا ترقى إلى درجة التجريد التي نعرفها عند بعض شعوب العالم القديم مثل اليونان والرومان.

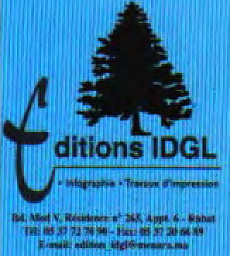
باختصار، يهدف هذا الكتاب إلى نفض الغبار عن تراثنا الثقافي العلمي القديم واسترجاع ما ضاع منه وما تم اختلاسه من طرف شعوب أخرى، حتى نتمكن من دمج هذا التراث في هويتنا الثقافية لتكتمل أبعادها التاريخية.



المؤلف:

عبد السلام بن ميس دكتور دولة من جامعة الصوربون بباريس، منذ عام 1990، يهتم بالمنطق وفلسفة العلوم والإبستيمولوجيا وتاريخ الأفكار العلمية. يشتغل منذ 1982 استاذا باحثا بجامعة محمد الخامس - أكدال، الرباط. نشر الأستاذ بن ميس مقالات عدة وكتبا من بينها: قضايا في الإبستيمولوجيا والمنطق (المدارس 2000)، السببية في الفيزياء الكلاسيكية والنسبانية (توبقال 1994). واشتغل المؤلف أيضا أستاذا زائرا بجامعة بوردو 3 بفرنسا (1999) وبجامعات أمريكية مختلفة (2004). رئيس قسم الفلسفة بجامعة محمد الخامس، الرباط (2005-2009). مسؤول عن فريق البحث ,الفلسفة في خدمة الإنسان,.





Bd. Med V, Résidence n° 265, Appt. 6 - Rabat
Tél: 05 37 72 78 90 - Fax: 05 37 20 66 89
E-mail: editions_idgl@menara.ma